

جامعة أل البيت

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

الإقطاع العسكري الإسلامي والإقطاع الأوروبي ما بين القرنين

(4 - 6هـ/10-12 م)

"دراسة مقارنة"

The Islamic Military feudalism And European feudalism between

(4 -6 H / 10 -12A – D)

" A Compartive Study "

إعداد الطالبة

نجلاء مفتاح الطالب

الرقم الجامعي 1220303005

إشراف الاستاذ الدكتور

عليان عبد الفتاح الجالودي

2015/2014م

جامعة آل البيت   قرار لجنة المناقشة

عمادة الدراسات العليا



رسالة ماجستير بعنوان

الإقطاع العسكري الإسلامي والإقطاع الأوروبي ما بين القرنين

(4- 6هـ/ 10- 12 م)

"دراسة مقارنة"

The Islamic military feudalism and European feudalism between

(4- 6 A.H /10 -12 A.D)

"A Comparative Study "

إعداد الطالبة

نجلاء مفتاح الطالب

الرقم الجامعي 1220303005

إشراف الأستاذ الدكتور

عليان عبدالفتاح الجالودي

2015/2014م

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
الأستاذ الدكتور : عليان عبدالفتاح الجالودي	(مشرفاً ورئيساً)	
الأستاذ الدكتور : نوفان رجا السوارية	عضواً	
الدكتور : أنور الخالدي	عضواً	
الدكتور: عيسى محمود العزام	عضواً - مناقش خارجي	

نوقشت هذه الرسالة وأوصي بإجازتها / تعديلها / رفضها بتاريخ: 2015/7/12م

الإهداء

إلى بلدي الذي أتمنى من الله العزيز القدير أن يعيد الأمن والأمان إليه في أسرع وقت

ليبيا

إلى من تكبدت عناء تنشئتي في الصغر , وحملت هم نجاحي في الكبر

أمي الغالية

إلى من تخلى عن كل شيء في سبيل الوقوف بجانبي لتحقيق أحلامي

أبي الغالي

إلى أحق الناس بحسن صحبتي من البشر

أخوتي الأعزاء

أهدئ ثمرة جهدي المتواضع

الشكـــــر والتقـــــــدير

الحمد لله ربي العالمين , والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلَّم وبعد . يسعدني ويشرفني أن أتقدم بخالص الشكر والعرفان إلى الأب الحنون الذي نهلت من علمه أستاذي الدكتور **عليان عبد الفتاح الجالودي** الذي مد لي يد العون وساعدني في إتمام هذا البحث العلمي .

كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى الأساتذة الأفاضل , أعضاء لجنة المناقشة : الدكتور أنور الخالدي , الدكتور نوفان الحمود والدكتور عيسى العزام , الذين تفضلوا بقراءة هذا البحث وعملوا على تقويم اعوجاجه , وجميع أعضاء الهيئة التدريسية في قسم التاريخ وعلى رأسهم الأستاذة الدكتورة هند أبو الشعر والى الأخت فاتنة العزة وجميع من مد لي يد العون .

ولا يفوتني أن أتقدم بخالص الشكر والعرفان إلى صديقتي مارينا أحمد الشياب على ما بدلته من جهد وما قدمته لي هي وعائلتها الكريمة , كما أتقدم بالشكر إلى صديقاتي دينا اعتوم , سامية البزي , فاطمة اذياب , وأخيرًا أقدم خالص شكري لمكتبة عادل والأخ محمد محمود خمايسة على مساعدتهم لي في طباعة وتصوير هذا البحث العلمي .

نجلاء مفتاح الطالب

المحتويات

قائمة المختصرات التي سيرد ذكرها في الحواشي

ط = طبعة .

ص = صفحة .

ع = عدد .

ت = تاريخ الوفاة .

هـ = هجري .

(د , ن) = دون ناشر .

(د , م) = دون مكان نشر .

(د , ت) = دن تاريخ نشر .

tra= Translated ترجمة .

edi= Edition طبعة .

edi= Edited تحرير .

الملخــــص

الإقطاع الإسلامي والإقطاع الأوروبي (من القرن الرابع إلى القرن السادس الهجريين / التاسع إلى القرن الثاني عشر الميلاديين)

" دراسة مقارنة "

تناولت هذه الدراسة الإقطاع الإسلامي والإقطاع الأوروبي ما بين القرنين "4 - 5هـ /10 -11 م" دراسة مقارنة , وهو موضوع لم ينال ما يستحقه من دراسة على الرغم من أهميته والنتائج المترتبة عليه .

أما الهدف من اختيار هذا الموضوع هو الكشف عن تتبع التطورات التي رافقت ظهور وانتشار النظامين ومعرف ملامح التشابه والاختلاف بينهما , وبخاصة أن الموضوع لم يدرس دراسة وافية .

تناولت **الفصل الأول** نشأة الإقطاع وتطوره في المشرق الإسلامي والغرب الأوربي قبيل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي , تعريف نظام الإقطاع في المشرق الإسلامي والغرب الأوروبي .

أما في **الفصل الثاني** فقد عالجت فيه الإقطاع العسكري في العصرين البويهي والسلجوقي" إذ تناول أحوال الخلافة العباسية قبيل دخول بني بويه , معني الإقطاع العسكري , وسبب ظهوره , أهم الإصلاحات الاقتصادية ونظامي الإلجاء والضمان , وحقائق حول الإقطاع البويهي , أحوال الخلافة العباسية قبيل دخول السلاجقة بغداد , سبب اعتماد نظام الملك الإقطاع , وسياسته في توزيع الاقطاعات , نظامي الإلجاء والضمان , الإقطاع في ظل الأتابكيات السلجوقية , أنواع الإقطاعات السلجوقية , نتائج الإقطاع السلجوقي , موازنة بين الدولة البويهية والدولة السلجوقية.

وعالجت في **الفصل الثالث** الإقطاع في الغرب الأوربي من حيث عناصر النظام الإقطاعي ومنها طبقة السادة الإقطاعيين والتي تظم طبقة الملوك والنبلاء وطبقة رجال الكنيسة وطبقة الفرسان والمتمثلة في الفارس ونظام الفروسية والحروب الإقطاعية , طبقة الأتباع والت تشمل طبقة العبيد , طبقة الفلاحين الأحرار وطبقة الأقنان أو عبيد الأرض , الأرض وهي قوام المجتمع الإقطاعي والتي تقوم على نظام الضياع أو القرى ونظام الزراعة , نظام التبعية , الحقوق والوجبات

الإقطاعية سواءً المترتبة على السيد أو على التابع منها الخدمات الحربية والاجتماعية والمالية . الملكية الفرنسية والانجليزية .

بينما درس **الفصل الرابع** الإقطاع العسكري الإسلامي والإقطاع الأوروبي :دراسة مقارنة : من حيث أوجه الشبه من حيث المصطلح , والنشأة والتكوين , والتنظيمات الإقطاعية , الالتزامات المفروضة , والتسلسل الإقطاعي , أنواع الأقطاعات , والنتائج المترتبة . في حين جاءت أجه الاختلاف تبرز الاختلاف من حيث التعريف , من حيث الخصائص الإقطاعية , من حيث التنظيات الإقطاعية , وأنواع الأراضي المقطعة ومصطلحاتها , من حيث الاحتكارات .

خلصت الدراسة إلى جملة من النتائج كان من أهمها : أن الإقطاع الإسلامي كان إقطاع منفعة ـ استغلال ـ ولم يكن إقطاع تمليك الأرض ذاتها , ولكن ومع ظهور الأتابكيات في أواخر العصر السلجوقي ظهر ميل إلى تحويل الإقطاع إلى إقطاع توريث , وهذا على عكس الإقطاع الأوروبي الذي كان إقطاع تمليك من بدايته .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وبعد :

تُعد دراسة التاريخ الاقتصادي من الموضوعات المهمة التي تكشف عن مدي حيوية المجتمعات ومدي التطور الذي وصلت إليه هذا من جهة , ومن جهة أخري تكشف الموضوعات المقارنة بشكل خاص عن مدي التشابه والاختلاف بين حضارتين الإسلامية والأوروبية في فترة العصور الوسطى ومدي التأثر والتأثير المتبادل بينهما . يُعتبر موضوع الإقطاع من الموضوعات التي تكتسب أهمية كبيرة , لأنه يمس أهم جانب من جوانب الحياة بل الجانب المسؤول عن مدي الاستقرار السياسي الاجتماعي الذي تتمتع به المجتمعات .

تناولت هذه الدراسة موضوع الإقطاع الإسلامي والإقطاع الأوربي ما بين القرنين "4 - 6 هـ / 10 - 12 م " دراسة مقارنة . لقد كانت هناك عدة دوافع لدراسة هذا الموضوع يأتي في مقدمتها اقتصار الدراسات السابقة على دراسة النظام الإقطاعي سواءً في الشرق الإسلامي أو في الغرب الأوربي , وعلى حسب اطلاع الباحثة لم تجد دراسة تناولت الموضوع على الرغم من أهميته , ولعل أبرز تلك الدراسات التي اكتفت بدراسة أحد النظامين هي : عبد العزيز الدوري , نشأة الإقطاع في المجتمعات الإسلامية , مجلة الإجتهاد , بيروت , العدد الأول , 1966 م . حياة ناصر الحجي , ملاحظات حول نظلم الإقطاع الأوروبي في العصور الوسطى , المجلة العربية للعلوم الإنسانية , العدد الثاني , المجلد الأول , (د , ت) .

من هنا جاء اختيار هذا الموضوع لإعطاء صورة عن جذور النظامين وبيّنت شكل العلاقة بين المُقطع والدولة وبين المُقطع والفلاح , كما وضحت أهم أجه الشبه والاختلاف بين النظامين .

أما المنهج المتبع في الدراسة فيقوم على جمع كافة النصوص والروايات المتعلقة بالموضوع من مصادرها الأولية والحديثة , وتنظيمها والتحقق منها ودراستها دراسة نقدية وربطها بعضها مع البعض , وعرضها بدقة .

كما اعتمد البحث على المنهج المقارن والتي يعتمد على تحلل ودراسة الأوضاع قبل الحديث عن الإقطاع العسكري سواءً في المشرق الإسلامي أو في الغرب الأوروبي وتوضيح أبرز التطورات التي لحقت به .

أما مدة الدراسة فكانت ثلاث قرون القرن الرابع إلى القرن السادس الهجري / العاشر إلى الثاني عشر الميلادي , حيث تعرضت لدراسة العراق في المشرق الإسلامي وفرنسا وانجلترا في الغرب الأوروبي وذلك لوجود نقاط تشابه واختلاف بينهما .

محتويات الدراسة

قسمت الدراسة إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة , وجاءت المقدمة تحتوى أهمية الموضوع , وسبب اختياره , والمنهجية المتبعة , وأهم الدراسات السابقة والمتعلقة بالموضوع .

الفصل الأول : تناول تطور الأوضاع الاقتصادية في المشرق الإسلامي والغرب الأوربي قبيل ظهور النظام الإقطاعي , وتعريف نظام الإقطاع في المشرق الإسلامي والغرب الأوروبي .

وتناولت في الفصل الثاني " الإقطاع العسكري في العصرين البويهي والسلجوقي" والذي بدأ بدراسة أحوال الخلافة العباسية قبيل دخول بني بويه , معني الإقطاع العسكري , وسبب ظهوره , أهم الإصلاحات الاقتصادية ونظامي الإلجاء والضمان , وحقائق حول الإقطاع البويهي , أحوال الخلافة العباسية قبيل دخول السلاجقة بغداد , أسباب اعتماد نظام الملك الإقطاع , وسياسته في توزيع الاقطاعات , نظامي الإلجاء والضمان , الإقطاع في ظل الأتابكيات السلجوقية , أنواع الإقطاعات السلجوقية , نتائج الإقطاع السلجوقي , موازنة بين الدولة البويهية والدولة السلجوقية.

في حين درس الفصل الثالث " الإقطاع في الغرب الأوربي " تطرق لدراسة عناصر النظام الإقطاعي ومنها طبقة السادة الإقطاعيين والتي تظم طبقة الملوك والنبلاء وطبقة رجال الكنيسة وطبقة الفرسان والمتمثلة في الفارس ونظام الفروسية والحروب الإقطاعية , طبقة الأتباع والت تشمل طبقة العبيد , طبقة الفلاحين الأحرار وطبقة الأقنان أو عبيد الأرض , الأرض وهي قوام المجتمع الإقطاعي والتي تقوم على نظام الضياع أو القرى ونظام الزراعة , نظام التبعية , الحقوق والوجبات الإقطاعية سواءً المترتبة على السيد أو على التابع منها الخدمات الحربية والاجتماعية والمالية . الملكية الفرنسية والانجليزية .

أما الفصل الرابع فقد اختص بدراسة " الإقطاع العسكري الإسلامي والإقطاع الأوروبي :دراسة مقارنة " : أوجه الشبه من حيث المصطلح , والنشأة والتكوين , والتنظيمات الإقطاعية , الالتزامات المفروضة , والتسلسل الإقطاعي , أنواع الأقطاعات , والنتائج المترتبة . في حين جاءت أوجه الاختلاف تبرز الاختلاف من حيث التعريف , الخصائص الإقطاعية , التنظيمات الإقطاعية , وأنواع الأراضي المقطعة ومصطلحاتها , والاحتكارات .

أولا : المصادر :

1/ ابن مسكويه (ت421هـ/1030م) .

يُعد كتاب **تجارب الأمم** من بين أبرز المصادر التي اعتمد عليها البحث , إذ نظم مسكويه كتابه على الطريقة الحولية مبتدأً بذكر الله وأخبار الطوفان وخاتمًا بسنة (379هـ / 989م) , اعتمد مسكويه كثيرًا على الطبري وتاريخ ثابت ابن سنان وأخبار الصولي وعدد أخر من المصادر التي ذكرها في مقدمة كتابه .

يعتبر مسكويه وثيقة حية من أوثق المصادر المعاصرة عن الدولة البويهية ؛ لأنه عاصرها ما يقارب قرن كامل , فكان ملاصقًا لكبار رجال الدولة البويهية . وجاءت استفادت البحث من الجزئيين الثاني والخامس اللذان اهتما بأخبار الدولة البويهية ؛ إذ كانت معلوماته دقيقة ومركزة فهو محلل للأحداث ومعاصريها .

وتنوعت معلوماته من سياسية إلى اجتماعية إلى إدارية واقتصادية , وقد استفاد البحث من معلوماته الاقتصادية والتي تناول فيها الخراج ومقداره وعدد أنواع المحاصيل الزراعية وبيَّن المكاييل والموازيين والنقود .

كما أشار إلى الأزمة المالية التي لحق بالخلافة العباسية من خلال نصوص عديدة تشير إلى ذلك , كما تطرق للإقطاع العسكري البويهي فعدد التنظيمات الاقتصادية التي قام بها بعض الأمراء البويهيين وما ترتب عليه من أضرار لحقت الأراضي وخاصة الأراضي الخراجية, كما ناقش الضرائب والمصادرات في للدولة البويهية .

2/ الصابي (ت448هـ/1056م) .

كتاب الوزراء

لم يسلك الصابي في **كتابه الوزراء** هذا التسلسل التاريخي المعروف للأحداث التاريخية بل نجده يتناول أخبار الوزراء و وزارتهم وبعض الأخبار المتناثرة عنهم , فكتابه يبدأ من أخبار الوزير ابن الفرات وينتهي بأخبار وزارة علي بن عسي الثانية .

ومن بين الأخبار التي أشار إليها بين ثنايا كتابه الأرزاق ومقدارها والنفقات فعدد المطالبين بها , كما تناول بعض الأخبار عن الإقطاع والتي جاءت متناثرة بين أسطر الكتاب .

تميز الصابي **بكتابه رسوم دار الخلافة** بالمعلومات التي أوردها وذلك بحكم ملازمته للبويهين وعمله في ديوان الإنشاء الأمر الذي مكنه من الإطلاع على سجلات الدولة البويهية وأهم المراسيم إضافة إلى الدواوين . فجاءت أهمية كتاب رسوم دار الخلافة في تطرقه إلى أبرز الألقاب والمراسيم وطرق تقاليد دار الخلافة . وعلى الرغم من أن افادة البحث كانت قليلة إلا أن اشارته أثريت بعض جوانب البحث خصوصا تلك الاشارات التي تفرد بها .

3/ ابن الجوزي (ت597هـ/1200م).

عاصر ابن الجوزي وكتابه **" المنتظم في أخبار الملوك والامم"** الدولة السلجوقية لهذا انفرد بمعلومات قيمة عنها , وبهذا يُعد من بين أبرز المصادر التي اعتمد عليها البحث وخاصة أجزاءه الخامس عشر وحتى الثامن عشر التي تطرق فيها للدولة البويهة والدولة السلجوقية .

صنف ابن الجوزي كتابه على نهج الحوليات في عرض كتابه فجاءت معلوماته متنوعة بين سياسية اقتصادية اجتماعية وإدارية وغيرها من المعلومات التي تهم الحياة عامة , وقد خدم ابن الجوزي البحث من خلال المعلومات الاقتصادية التي أوردها بين ثنايا كتابه , فتحدث عن القطائع عند الساسانيين وأوقات جباية الخراج وأنواع المحاصيل الزراعية , ثم انتقل للحديث عن تنظيمات عمر ابن الخطاب الاقتصادية منها انتقل للخلافة الأموية ومن بعدها العباسية وليصل للدولة البويهية والتي تحدث عنها باستفاضة , فتطرق للحديث عن الخراج البويهي والإقطاع العسكري واهم التنظيمات الاقتصادية للأمراء البويهيين , ومن ثم يبدأ بالحديث عن السلاجقة ودولتهم واهم الإصلاحات الاقتصادية التي حصلت في عهدهم وما ترتب على سياستهم الاقتصادية .

4/ ابن الأثير (630هـ /1232م) .

لابن الأثير أهمية كبيرة فكتابه**" الكامل في التاريخ "** يُعد موسوعة ضخمة ينهل منها طلاب العلم ومن مختلف الجوانب التي تفيد الحياة العامة , بدأ ابن الأثير كتابه من بدأ الخليقة ليصل إلى عصره معتمدًا الطريقة الحولية في كتابة التاريخ .

تناول ابن الأثير الأحداث التاريخية بشكل متسلسل مترابط من دون تداخل , فصاغ معلوماته بطريقة سلسة مرنه أنارت البحث بشكل ملحوظ , إذ كانت معلوماته سياسية واقتصادية اجتماعية , والذي يهم البحث هو الجانب الاقتصادي الذي قدم فيه معلومات عن العطاء وأراضي الصوافي في بلاد الشام , والإقطاع العسكري البويهي والسلجوقي ؛ إذ اهتم بمناقشة أهم التنظيمات الاقتصادية والنتائج التي ترتبت عنها خلال عهد الدولتين البويهية والسلجوقية , فكان بذلك مصدرًا مهمًا للبحث الذي أترى جوانبه .

5/ أبي شجاع (ت884هـ/1095م).

يُعد كتابه **ذيل تجارب الأمم** من أبرز المصادر التي اعتمد عليها البحث والتي تناولت أخبار الدولة البويهيه , فأبي شجاع أتم ما توقف عنده مسكويه أي أنه بدأ كتابه من حوادث عشرين سنة بدأت من سنة (369هـ / 979م) وانتهى بسنة (389هـ / 999م) .

تنوعت معلومات أبي شجاع التي جاء بها من سياسية واجتماعية اقتصادية وعسكرية ؛ والذي يهمنا هو المعلومات الاقتصادية والتي جاءت مليئة الإشارات عن النظم المالية والإدارية للدولة البويهية كما وردت إشارات عن الإقطاع العسكري البويهي وأهم التنظيمات الاقتصادية.

6/ ياقوت الحموي(ت 626هـ /1228م)

واحتوى كتاب معجم البلدان للحموي معلومات عديدة ومتنوعة سواءً في الجغرافيا أو التاريخ أو الأدب والأنساب واللغة ؛ رتب الحموي كتابه ترتيبًا أبجديًا متسلسلاً ؛ فيشرح أسماء الأمكنة والبقاع والمدن , كما إنه يدرس أقوال الفقهاء المتعلقة بأحكام أراضي الفيء والغنيمة وكيفية قسمتها .

وحوى الكتاب على معلومات جيدة عن ضريبة الخراج , ومقدار الجزية , وتحدث عن الإقطاع العسكري زمن البويهيين والسلاجقة وغيرهم وذلك ضمن إشارات بسيطة ورد ضمن شرحه لبعض الأقاليم .

7/ البغدادي (ت463هـ /1070م) " تاريخ بغداد " .

للبغدادي أهمية كبير لأنه يفرد كتابه للحديث عن بغداد , وعلى الرغم من كونه يُعد من كتب التراجم إلا أنه حمل بين طيات كتابه عدة معلومات اقتصادية منها عن وسائل الوي في العراق وعن إشارات بسيطة عن الإقطاع البويهي .

8/الأصفهاني (643هـ /1245م)

ويعتبر كتاب تاريخ ال سلجوق للمؤرخ البنداري مؤرخ ووثيقة هامة للحديث عن الدولة السلجوقية وذلك لإنفراده بمعلومات قيمة عنها دلت على تعمقه في دراسة تاريخ تلك الدولة ؛ إذ تحدث عن ظروف قيام الدولة السلجوقية وظروف انتقالهم إلى العراق , كما أنهم بين أهم سلاطينهم ووزرائهم , إضافة إلى تحدثه عن الحياة الاقتصادية فتطرق للمكوس والخراج والضرائب والإقطاع العسكري والذي تناول فيه أهم التنظيمات الاقتصادية للأمراء السلاجقة .

12/ الطوسي " سياست نامة " .

يعد كتاب سياست نامه للوزير نظام الملك من أهم المصادر التي أفادت منها الباحثة , ألف الطوسي هذا الكتاب بناءً على رغبة السلطان السلجوقي ملكشاه بن ألب أرسلان لغرض معرفة أسباب الضعف في الدولة وإيجاد الحلول المناسبة لها , فكان هذا الكتاب بمثابة الدستور للدولة , حيث تناول فيه جميع جوانب الحياة سواءً الجانب السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي وهو الذي يهمنا , حيث تطرق في هذا الجانب للنظام الإقطاعي السلجوقي فشرح سبب اعتماده وتعميمه داخل الدولة السلجوقية , كما أشار إلى طريقة توزيع الأراضي على الجند والهدف منها ,كما بين نظام الأتابكيات وغير ذلك من المواضيع الاقتصادية التي أفاد منها البحث .

ثانيًا : المراجع العربية والمعربة :

وأفادت الدراسة من مراجع عربية ومعربة تناولت التاريخ الاقتصادي عموما ونظام الاقطاع العسكري في العصرين البويهي والسلجوقي وجاء في مقدمتها

1/ كتاب **تاريخ العراق الاقتصادي** في القرن الرابع الهجري للمؤرخ عبد العزيز الدوري

يُعد هذا الكتاب من بين أبرز المراجع التي استفاد منها البحث خلال الحديث عن الفترة البويهية والتي نالت اهتمامًا كبيرة عند الدوري , فهو يدرس هذه الفترة بعمق جيد وتحليل متسلسل للأحداث التاريخية , فيبدأ أولا بإعطاء لمحة جغرافية عن العرق وأقاليمها ثم يصنف سكانها ومن ثم يدخل للحديث عن الجانب الاقتصادي والذي يحمل أسم عنوان الكتاب فيناقش نظام الزراعة عند البويهيين مبرزًا أنواع الأراضي , ليصل إلى النظام الإقطاعي العسكري فنجده بين أبزر التنظيمات الاقتصادية لمعز الدولة وعضد الدولة ومن ثم يوضح النتائج التي ترتبت على تلك السياسة الاقتصادية للدولة البويهية .

2/ كتاب العصور العباسية المتأخرة

كما أفادت الباحثه من كتابه الآخر. والذي تناول فيه الدوري الدولة البويهية ولكنه يدرس علاقة الأمراء البويهيين بالخلفاء العباسيين ؛ فيبرز أهم المراسيم التي كانت تطبق أثناء تولي أمير جديد , كما أنه وضح أهم الأمور التي شارك بها البويهيين الخلفاء العباسيين والتي منها ذكر أسم الأمير مع أسم الخليفة على المنابر , ضف إلى ذكر الإقطاع العسكري البويهي وأهم النتائج التي ترتبت عن سياسية البويهيين الاقتصادية .

2/ " العراق في العصر البويهي " للزبيدي .

كما تطرق هذا الكتاب الدولة البويهية في العراق ؛ فتطرق لعدة أمور تخص البويهين منها ما يتعلق بالنظم والرسوم التي استحدثوها , كما ناقش النظام الإقطاعي العسكري فبين الأسباب التي دفعت البويهين لتطبيق هذا النظام ومن ثم وضح سياسيتهم الاقتصادية والتي جرت الدولة البويهية إلى خراب الأراضي وخاصة السواد , فكان الكتاب بهذه المعلومات من بين أفضل المراجع التي أفادت الدرا

3/ " تاريخ أوروبا في العصور الوسطى " لعاشور .

أعطى هذا الباحث صورة جيدة عن أسرة أل كابيه في فرنسا ؛ فتناول ظروف تكوين دولتهم وسياسة كل ملك من ملوكهم , وعلاقتهم بكبار السادة الإقطاعيين , كما أنه وضح الاختلاف الكبير بين الشمال الفرنسي والجنوب الفرنسي من حيث مدي تغلغل النظام الإقطاعي ومدي قوة السادة الإقطاعيين وسيطرتهم على الأمور .

4/ " تاريخ أوروبا في العصور الوسطى , الحضارة والنظم الأوربية في العصور الوسطى " للعريني .

كتاب تاريخ أوروبا في العصور الوسطى

على الرغم من وجود تشابه كبير بين الكتابين إلا أن هذا الكتاب يمتاز عن كتاب الحضارة بإعطاء صورة عن الأوضاع الاقتصادية للغرب الأوروبي خلال القرن التاسع عشر , ثم ينتقل للحديث عن الاقتصاد الزراعي , ثم يتناول الإقطاع الحربي مبينًا الحقوق والواجبات الإقطاعية , وميزة هذا الكتاب وهو وجود مجموعة من الملاحق والتي هي عبارة عن وثائق تخص النظام الإقطاعي .

كتاب الحضارة والنظم الأوروبية في العصور الوسطى

احتوى هذا الكتاب على عدة معلومات تخص الإقطاع الأوربي والتي كانت بمثابة الطريق الذي فتح أمام البحث أبواب للإقطاع الأوربي , تناول أصول النظام الإقطاعي وأهم المراحل التي مر بها , وبين طبقات السلم الإقطاعي , ووضح الحقوق والواجبات الإقطاعية لكلاٍ من السيد والتابع على سواء , كما أعطى فكرة عن نظام الفروسية وأهم مبادئها , ضف إلى ذلك أشار للضيعة الإقطاعية وأهم سكانها .

5/ " الإقطاع والعصور الوسطى بغرب أوروبا " لـ كوبلاند

تناول هذا الكتاب النظام الإقطاعي الذي عرفه الغرب الأوروبي ؛ فأمد البحث بمعلومات قيمة كانت غامضة بعض الشيء ؛ إذ تناول أهم النظم التي قام عليها النظام الإقطاعي , ذكر طبقات المجتمع الإقطاعي وشرح نظام التبعية ونظام الفروسية , ثم أشار إلى الحقوق والواجبات الإقطاعية , كما تطرق للحديث عن نظام الضياع أو القرى الإقطاعية .

6/ " أوربا في العصور الوسطى " لـ ويفز.

أفرد المؤرخ فصلاً كاملاً للحديث عن النظام الإقطاعي للغرب الأوربي فبدأ أولاً بإعطاء لمحة عن النظام الإقطاعي وشرح أصوله وبين درجات السلم الإقطاعي وأوضح أنواع الضرائب , كما أشار إلى نظام التبعية , كما تطرق للحديث عن نظام الفروسية فأثرى بهذا البحث بشكل جيد .

وبهذه الدراسة تكون الباحثة قد قدمت صورة لأهم المصادر والمراجع المتنوعة والمتعددة التي اعتمدت عليها أثناء كتابتها لفصول البحث , وهذا بخلاف المصادر والمراجع والبحوث والمقالات الأخرى التي رجعت إليها الباحثة أثناء كتابتها والتي أسهمت في خدمة البحث , والتي تتضح أهميتها أثناء تتبع صفحات البحث , وجميعها مدون بقائمة المصادر والمراجع في نهاية البحث .

الفصـــــــــل الأول

تطور الإقطاع في المشرق الإسلامي والغرب الأوروبي قبيل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي

أولاً : نشأة الإقطاع وتطوره في المشرق الإسلامي .

ثانيًا : نشأة الإقطاع وتطوره في الغرب الأوروبي .

ثالثًا : الإقطاع ومدلوله في المشرق الإسلامي .

رابعًا : الإقطاع ومعناه في الغرب الأوروبي .

نشأة الإقطاع وتطوره في المشرق الإسلامي والغرب الأوروبي قبيل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي :

أولاً : نشأة الإقطاع وتطوره في المشرق الإسلامي قبيل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي.

عرفت الدول المجاورة للمشرق الإسلامي نظام الإقطاع ؛ فالإمبراطورية البيزنطية [1] كان لها نوعان من الأراضي ؛ أراضي تابعة للإمبراطور الذي عدَّ نفسه وكيل الإلهة في الأرض , فقد كان له الحق في إقطاع تلك الأراضي لمن يراه مناسبًا , بشرط استثمارها [2] , ـ إقطاع استغلال ـ وللفلاح الحق في زراعتها بأي نوع من المحاصيل الزراعية , في مقابل دفع الضرائب التي تفرضها الدولة , ومن الجدير بالذكر إن هذه الضرائب لم تكن ثابتة , بل كان أمر تقديرها يعود للإمبراطور؛ إذ بلغت في بداية القرن السادس الميلادي ما يقارب خمس المحصول [3] وبهذا اجبر الفلاحين على وضع أنفسهم تحت حماية النبلاء الذين كانوا يمتلكون أراضي واسعة أعطاهم إياها الإمبراطور لكسب ولائهم وطاعتهم ـ إقطاع تمليك ـ [4] , وهؤلاء كانوا يدفعون ضرائب مخفضة للدولة , وبنظام الحماية الذي اصطنعه الفلاحون ازدادت أراضي النبلاء على حساب الملكيات الصغيرة , حتى إذا ما جاءت نهاية القرن السادس الميلادي كانت ذات أهمية كبيرة [5] , وتشكل غالبية الملكيات في الإمبراطورية البيزنطية .

فكان هؤلاء النبلاء يدفعون ضرائبهم مباشرة للخزينة , وكان الفلاحون في أراضي النبلاء بمثابة العبيد أو شبه العبيد ؛ إذ مارس النبلاء سلطات غير محدودة عليهم [6] , وبهذا تظهر الفجوة الكبيرة بين النبلاء والفلاحين والملاكين الصغار في القرى الذين لم ينجو من سطوة النبلاء [7] .

---

[1] جاءت كلمة (بيزنطة) نسبة إلى بيزانطيوم Byzantium , المدينة اليونانية القديمة التي أسسها الميكارية Megarians في القرن السابع (ق . م) على الجانب الأوروبي من مضيق البسفور عند مدخل بحر مرمرة Marmora وأخذت أسمها من قائد الحملة الميكارية بيزاس Byzas . للمزيد من المعلومات انظر . الغوج , محمد مصطفى , الإمبراطورية البيزنطية , ط1, دار ومكتبة الشعب, مصراته , 2009 م , ص 15 .

[2] الدوري , عبد العزيز , مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي , ط1 , دار الطليعة للطباعة والنشر , بيروت , 1969 م , هامش رقم 2 ص 23 . سيشار له لاحقًا : الدوري , المقدمة . انظر أيضًا : اليوسف , عبد القادر أحمد , الإمبراطورية البيزنطية , المكتبة العصرية , بيروت , (د , ت) , ص 137 .

[3] بيومي , زكريا محمد , المالية العامة في الإسلام , مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي , القاهرة , 1979 م , ص 371 . سيشار له لاحقًا : بيومي , المالية العامة . انظر أيضًا . بنز , نورمان , الإمبراطورية البيزنطية , مطبعة لجان التأليف والنشر , (د , م) , 1950 م , ص 173 .

[4] رنيسمان , ستفين , الحضارة البيزنطية , مكتبة النهضة المصرية , مصر , 1961 م , ص 79 . ينظر أيضًا . الدوري , المقدمة ,هامش رقم 2 ص 24 . انظر أيضًا : المسعودي , أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت 346 هـ / 957م) , مروج الذهب ومعادن الجوهر , تحقيق : مفيد محمد قميحة , 4أجزاء , دار الكتب العلمية , بيروت , (د , ت) , الجزء 1 , ص 213 -214 . سيشار له لاحقًا المسعودي, مروج الذهب .

[5] العبادي , مصطفى , الإمبراطورية الرومانية , دار النهضة العربية , بيروت , (د , ت) , ص 277 .

[6] الشامي , فاطمة قدورة , الحضارة البيزنطية , دار النهضة العربية , بيروت , 2003 م , ص 87 . سيشار له لاحقًا : الشامي , الحضارة .

[7] يوسف , جوزيف نسيم , تاريخ الإمبراطورية البيزنطية , دار المعرفة الجامعية , مصر , 1999 م , ص 87.

ويضاف إلى ذلك الأراضي التي منحها الإمبراطور للجند , بهدف حماية الحدود ؛ إذ وزعت على هؤلاء مساحات من الأراضي مع وجود راتب قليل لهم , مقابل بقائهم في الثغور[8] وحمايتها , وهذا ما يعرف بالإقطاع العسكري .

أما في الإمبراطورية الساسانية [9] ؛ فقد منح ملوك البيت الساساني أراضي واسعة لأفراد حاشيتهم وبعض النبلاء لكسب ودهم [10] ؛ ولكن هؤلاء النبلاء مارسوا ضغوطات ضريبية متعددة على الفلاحين الذين ارتبطوا بالأرض أجبروا على القيام بأعمال السخرة , بل وتقديم خدمات عسكرية لهم [11] , إذ تمتع أصحاب هذه الأراضي بمميزات واسعة منها الإعفاء من دفع الضرائب , وإجبار الفلاحين على دفعها [12] .

كما أقطع الأكاسرة الأراضي لبعض القبائل العربية , التي كانت تقطن الحيرة [13] منها على سبيل المثال لا الحصر- الأزد[14] , لخم[15] , طئ [16] - وذلك نظير تقديم مساعدات للإمبراطورية

---

[8] الثغور : بالفتح ثم السكون , وهو كل موضع قريب من أرض العدو يسمى ثغرًا. للمزيد من المعلومات انظر. الحموي , أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي (ت 626 هـ / 1063 م) , معجم البلدان , 7 أجزاء, ط2 , دار الفكر , بيروت , (د , ت) , الجزء 2 , ص 79 - 81 . سيشار له لاحقًا : الحموي , معجم البلدان .

[9] الساسانية : هم أبناء بابك بن ساسان , أول ملوكهم أردشير بن بابك ولقبه بابكان أى ابن بابك وأخرهم يزدجرد . للمزيد من المعلومات انظر: الخوارزمي , أبو عبد الله محمد بن أحمد يوسف الكاتب (ت 387هـ/997م) , مفاتيح العلوم , دار الكتب العلمية , بيروت , (د.ت) , ص 64 . سيشار له لاحقًا : الخوارزمي , مفاتيح العلوم .

[10] كرسيتنس, آرثر , إيران في عهد الساسانيين , ترجمة: يحيى الخشاب , دار النهضة العربية , بيرروت , (د , ت) , ص 7 . سيشار له لاحقًا : كرسيتنس , إيران . انظر أيضًا . المسعودي , مروج الذهب , الجزء 1, 215.

[11] المسعودي , مروج الذهب , الجزء 1 , ص 217 . انظر أيضًا . خطاب , محمود شيت , قادة فتح بلاد فارس (إيران) , ط1 , دار الفتح , بيروت , 1965م , ص 25 . سيشار له لاحقًا : خطاب , قادة فتح بلاد فارس.

[12] الطبري , أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310 هـ / 922 م) , تاريخ الرسل والملوك , تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم , 13 جزء , ط2 , دار المعارف , مصر , (د , ت) , الجزء2 , ص 193 - 200 . سيشار له لاحقًا : الطبري , تاريخ الرسل والملوك .

[13] الحيرة : بالكسر ثم السكون , وهي مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف .انظر , الحموي , معجم البلدان , الجزء 2 , ص 328 - 331 .

[14] الأزد : قبيلة عربية من القبائل القحطانية , تنتمي إلي كهلان من سبأ , بطونها كثيرة تزيد عن (26) بطنًا كبيرًا , منهم الأنصار وهم بنو الأوس والخزرج , للمزيد من المعلومات انظر: ابن حزم , أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الظاهري الأندلسي (ت 456 هـ / 1063 م) , جمهرة أنساب العرب , تحقيق : عبد السلام محمد هارون , ط5 , دار المعارف , القاهرة , (د , ت) , ص 199 . سيشار له لاحقًا : ابن حزم , جمهرة أنساب العرب .

[15] لخم : قبيلة من قبائل كهلان القحطانية , التي سكنت الشام قبل الإسلام بوقت طويل. للمزيد من المعلومات أنظر . ابن حزم , جمهرة أنساب العرب , 340 - 342 .انظر أيضًا ـــ دسوقي , محمد عزب , القبائل العربية في بلاد الشام , الهيئة المصرية العامة للكتاب , (د , م) , 1998 م , ص 112 - 116 . سيشار له لاحقًا , دسوقي , القبائل العربية .

[16] طئ :من القبائل الشامية , وهي قبيلة كبيرة من كهلان القحطانية , وهم بنو جلهمة بن أدد بن يشجب من عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ . للمزيد من المعلومات انظر . ابن حزم , جمهرة أنساب العرب , ص 350 . أنظر أيضًا . دسوقي , القبائل العربية , ص 116 - 122 .

الساسانية , حيت عُدَّت هذه الأراضي إقطاع تمليك [17] . إضافة إلى الأراضي التي منحها الملك الساساني إلى بعض القادة العسكريين أو لبعض الأشراف القبائل[18] وخاصة تلك الواقعة على الحدود ؛ لهدف تأمينها من جهة واستثمارها من جهة أخرى , ولكن هذه الأراضي لم تورث , إذ منحت لغرض الاستغلال [19] .

وعرف أهل اليمن إقطاع التمليك ؛ إذ أقطع ملوكهم لأفراد حاشيتهم أراض واسعة بملكية تامة دون أن يكون عليهم واجب ضريبي [20], كما عرفوا إقطاع الاستغلال القائم على منح أراضي لشيوخ القبائل لاستثمارها مقابل تأدية خدمات عسكرية , كما ويحق لهم إقطاع تلك المساحات لبعض أفراد قبيلتهم مقابل مبلغ معين يتم الاتفاق عليه [21], ولا يمكننا أن نغفل إمكانية شرائهم لأراض أخرى من مالكها مباشرة وبالتالي يكون مسئولاً عنها مباشرة أمام الملك , وقد تضم القبيلة الواحدة مجموعة مختلفة من الأفراد كموال [22] يعملون في الزراعة [23].

كما ظهر في اليمن الإقطاع العسكري المتمثل في إقطاع الملك للجنود , وإقطاع شيخ القبيلة للجنود أراض واسعة مقابل قيامهم بأعمال عسكرية وحماية الحدود [24] .

أما عرب الشمال فقد انقسموا إلى بدو وحضر ؛ فالبدو لم يستقروا في مكان محدد لهذا لم يعرفوا الإقطاع [25], بينما أهل الحجاز- ويثرب , والطائف كانوا مستقرين ومارسوا الزراعة ومع هذا لم يعرفوا الإقطاع الذي ساد في اليمن أو الحيرة ؛ فقد عرفوا الحمى [26] وهي أراض ملك لقبيلة معينة ولا يجوز التجاوز عليها [27] , بل إن بعض القبائل عملت على وضع حدود

---

[17] ابن الأثير , محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت 630 هـ / 1232 م) , الكامل في التاريخ , تحقيق : كرستيس عبد الله القاضي , 12جزء , ط1 , دار الكتب العلمية , بيروت , 1987 م , الجزء1 , ص 310 - 320 . سيشار له لاحقًا : ابن الأثير , الكامل . انظر أيضًا . الدوري , المقدمة , ص 23.

[18] كريستنس, إيران , ص 10 . أنظر أيضًا : خطاب , قادة فتح بلاد فارس , ص 27 .

[19] علي , جواد , المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام , 7أجزاء , ط2 , دار العلم للملايين , بيروت , 1978 م , الجزء 4 , ص 140. سيشار له لاحقًا : علي , المفصل .

[20] الدوري , مقدمة , هامش 1 , ص 24 . انظر أيضًا , على , المفصل , الجزء4 , ص 255 .

[21] المسعودي , مروج الذهب , الجزء1 , ص 202 .

[22] الموالي : مصطلح يطلق على المسلمين من غير العرب , سكان البلاد المفتوحة . للمزيد من المعلومات انظر . الطبري , تاريخ الرسل والملوك , الجزء6 , ص 200 .

[23] الدوري , المقدمة , هامش رقم 1, ص 24 .

[24] علي , المفصل , الجزء 4 , ص 260 .

[25] المصدر نفسه , الجزء 3 , ص 131 .

[26] الحمى بكسر الحاء وفتح الميم - والجمع - الاحماء والحمايات , وهو مكان يُجعل حمى للمصالح العامة , ولا يقرب , الحمى , مغارم يفرضها السلطان أو الأمراء على من يشملونه لحمايتهم لقاء هذه الحماية . للمزيد من المعلومات انظر . عمارة , محمد , قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية , ط1 , دار الشروق , بيروت , 1993 م, ص 178 .

[27] الماوردي , علي بن محمد بن حبيب (ت450هـ/1058م) , الأحكام السلطانية , تحقيق : أحمد مبارك البغدادي ,ط1, دار قتيبة , الكويت , 1989 م , ص 186 . سيشار له لاحقًا : الماوردي , الأحكام السلطانية .

لأراضيها منعًا للتجاوز , ومن هنا يتضح أن الأراض كانت ملكية جماعية وليست فردية [28] , على الرغم من إمكانية شيخ القبيلة الحصول على حمى داخل حمى قبيلته [29] .

وعندما جاء الإسلام , شجع الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ على إحياء أراض الموات واستثمارها ؛ فقال" من أحيا أرضًا ميته فهي له"[30], وعمل الرسول ـ صلى الله عليه وسلّم ـ على إقطاعها كتمليك لأصحابه ولبعض القبائل ؛ ولكنه راعى المصلحة العامة في ذلك , بمعنى أن لا يكون وراء الإقطاع ضرر لأحد الأفراد [31] , كما شجع الرسول ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ على شراء وامتلاك الأراض وبهذا تكونت ملكيات خاصة كبيرة [32].

واعتبرت أراض الجزيرة أراض عشرية ؛ فإذ سقيت طبيعيًا أُخِذ منها العشر كامل وإذا سقيت بآلات أخذ منها نصف العشر[33] , أما أراض اليهود فقد تعامل معها الرسول بطرق متنوعة ؛ فأراض بني النضير عدت فيئًا عامًا للمسلمين [34] في حين عدت أراض خيبر[35] وبني قريظة غنيمة للمسلمين , ومع بقاء أهلها بها يعملون كمزارعين مقابل نصف المحصول ؛ وربما عمد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى ذلك حتى لا ينشغل المسلمون عن الجهاد [36] , أما أراض

---

[28] الدوري , مقدمة , هامش رقم 1, ص 24 . علي , المفصل , الجزء3 , ص 135 .

[29] الدوري , عبد العزيز , نشأة الإقطاع في المجتمعات الإسلامية , مجلة الاجتهاد , العدد1 , دار الاجتهاد , بيروت , 1988 م , ص 248 - 249 . سيشار له لاحقًا . الدوري , نشأة الإقطاع .

[30] أبو يوسف , يعقوب بن إبراهيم (ت 182 هـ / 798 م) , الخراج , دار المعرفة , بيروت , 1979 م, ص 70. سيشار له لاحقًا : أبو يوسف , الخراج .

[31] أبو عبيد , القاسم بن سلام (ت 664 هـ / 837 م) , كتاب الأموال, تحقيق: محمد عمارة , ط1 , دار الشروق , بيروت , 1989 م , ص 200 . سيشار له لاحقًا . أبو عبيد , الأموال . انظر أيضًا . ابن كثير , عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن عمر القرشي (ت 774 هـ / 1372 م) , البداية والنهاية , تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي , 21جزء , ط1 , دار هجر , مصر , 1997 م , الجزء4 , ص 650 . سيشار له لاحقًا . ابن كثير , البداية والنهاية .

[32] البلاذري , أبو العباس أحمد بن يحي بن جابر(ت 279 هـ / 892 م) , جُمل من أنساب الأشراف , تحقيق : سهيل زكار و رياض زركلي , 13جزء , ط1 , دار الفكر , بيروت ,(د . ت) , الجزء 1 , ص 100 . سيشار له لاحقًا : البلاذري , أنساب الأشراف .

[33] ابن آدم , يحي بن آدم القرشي (ت 203 هـ / 818 م) , الخراج , تحقيق : حسين مؤنس , ط1 , دار الشروق , القاهرة , 1987 م , ص 95 . سيشار له لاحقًا . ابن آدم , الخراج , أنظر أيضًا . الطبري , تاريخ الرسل والملوك , الجزء 2 , ص 250 .

[34] ابن هشام , عبد الملك بن هشام بن أيوب (ت 213 هـ / 828 م) , السيرة النبوية , تحقيق : جودة محمد جودة , 4 أجزاء , ط1 , دار ابن الهيثم , القاهرة , 2009 م , الجزء3 , ص 89 96. سيشار له لاحقًا . ابن هشام . السيرة النبوية. أبو حطب , آمنه محمود , الملكية في عصر الرسول , رسالة ماجستير , جامعة النجاح الوطنية , نابلس , 2004 م , ص 70 .

[35] أراض خيبر : موضع مشهور يقع في الجهة الشمالية من المدينة المنورة إلى طريق المؤدية إلى الشام . وكان به سبعة حصون لليهود , وحولها مزارع ونخل , ومن أشهر حصون خيبر الكتيبة والنطاه والسلالم , وخيبر بلغة اليهود تعنى الحصن . للمزيد من المعلومات أنظر : الحموي , معجم البلدان , الجزء 2 , ص 409 -411 .

[36] البلاذري , أحمد بن يحي بن جابر (ت 279 هـ / 892 م) , فتوح البلدان , تحقيق : عبد الله أنيس الطباع , مؤسسة المعارف , بيروت , 1987 م , ص 67 . سيشار له لاحقًا : البلاذري , فتوح البلدان . انظر أيضًا . ابن هشام . السيرة النبوية , الجزء 3 , ص 115 .

اليمن وتيماء[37] التي يسكنها اليهود فنجد أن الرسول أبقاهم في أرضهم على أن يدفعوا الجزية [38].

أما عند الحديث عن الخلفاء الراشدين فنجد أبا بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ (11 -13هـ / 632-634م) لم يتوسع في منح الإقطاعات لسبب قصر مدة خلافته من جهة وانشغاله بحروب الردة من جهة , ومع هذا فقد كانت كل إقطاعاته على شكل تمليك من أراض الموات [39] , أما الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه -(13-23هـ/634-643م) فإنه حرص على الإقطاع من الموات ولكن بشرط إحيائها في مدة لا تتجاوز ثلاث سنوات فقال "من كانت له أرض موات ثم تركها ثلاث سنين لا يعمرها ؛ فعمرها قوم آخرون فهم أحق بها"[40] , مراعيًا بذلك المصلحة العامة فلا يضر بأحد , محققًا كفاية المقطع بحيث لا يزيد الإقطاع عن حاجته ولا ينقص[41] .

غير أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ رفض الإقطاع من أراض السواد [42] , وذلك تجنبًا لما قد يقع بين المسلمين من فروق اقتصادية , وحتى لا ينشغلوا عن الجهاد في سبيل الله , فقال " أخاف عليكم قسمته أن تتفاسدوا بينكم في الحياة " [43] , أما بخصوص أراض الصوافي فقد ورد عند أبو يوسف (ت 183هـ/799م)[44] ما يثبت أن عمر بن الخطاب قد أقطع منها إذ ذكر أبو يوسف (ت183 هـ / 799م) " وُجِد في الديوان أن عمر ـ رضى الله عنه ـ أصفى أموال كسرى وآل كسرى وكل من فر عن أرضه أو قتل في المعركة ... فكان عمر ـ رضي الله عنه ـ يقطع من هذه لمن أقطع ... "[45].

---

37 تيماء : بالفتح والمد , بلد في أطراف الشام , بين الشام ووادي القرى , كان فيها حصن السمو آل بن عاديا اليهودي , ولهذا سميت تيماء اليهودي , وهي قليلة المياه . للمزيد من المعلومات انظر . الحموي , معجم البلدان , الجزء 2 , ص 67 .

38 ابن آدم , الخراج , ص 112 . أنظر أيضًا . أبو يوسف , الخراج , ص 80 .

39 الطبري , تاريخ الرسل والملوك , الجزء 3, ص360 . أنظر أيضًا . ابن كثير , البداية والنهاية , الجزء 5 , ص 64

40 الطبري , تاريخ الرسل والملوك , الجزء 3 , 579 . طرخان , إبراهيم علي , النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى , دار الكتاب العربي , القاهرة , 1968 م , ص 10 . سيشار له لاحقًا . طرخان , النظم الإقطاعية .

41 البلاذري , فتوح البلدان , ص 489 . انظر أيضًا . أبو عبيد الأموال , ص 352 .

42 ابن عساكر ,أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت 571 هـ / 1175 م) , تاريخ مدينة دمشق , تحقيق : محب الدين أبي سعيد بن عمر بن غرامة العمري , 80 جزء , دار الفكر , بيروت , 1995 م , الجزء2 , ص 186 . سيشار له لاحقًا . أبن عساكر , تاريخ دمشق . أنظر أيضًا . أبو عبيد , الأموال , ص 221 .

43 طرخان , النظم الإقطاعية , ص 11 . دراغمة , بلال أحمد محمود , الإقطاع التمليك ـ الاستغلال ـ المنفعة في صدر الإسلام (دراسة تاريخية) , رسالة ماجستير , جامعة النجاح , نابلس , 2008 م , ص 120 .

44 أبو يوسف : يعقوب بن إبراهيم بن حسين بن سعيد بن بجير , ولد بالكوفة (113 هـ / 731 م) , حفظ(65) حديث , تولي القضاء , حنفي المذهب , توفى بجرجان في خلافة هارون الرشيد (ت 183 هـ / 799 م) . للمزيد من المعلومات انظر: الذهبي , أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الشافعي (ت748هـ/ 1314 م) , سير أعلام النبلاء , تحقيق : شعيب الأرناؤوط , 25جزء , ط7 , مؤسسة الرسالة , بيروت , 1990 , الجزء 8 , ص 535 . سيشار له لاحقًا : الذهبي : سير أعلام النبلاء .

45 أبو يوسف , الخراج , ص 57 , 58 .

وأما عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ(23-35هـ/643- 655م) الخليفة الثالث فلم يسر على تنظيمات الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولا تنظيمات عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ خاصة فيما يتعلق بإقطاع أراضي السواد الصوافي التي اقطعها لأقاربه ـ من أجل تقوية مركزه وخاصة بعد كثرة الاضطرابات التي حدثت في عهده والتي أثارت نيران الفتنه ـ [46] كانت أغلب أو جل إقطاعاته تمليك.

كما وأقطع عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ أراضي على سواحل الشام للجند بهدف صد هجمات الروم وتشجيع المقاتلة على الاستقرار في الثغور, ومع هذا لم يتوسع في إقطاع الجند حتى لا يتحولوا إلى الاهتمام بالزراعة وينشغلوا عن الفتوح [47] .

وأما علي بن أبي طالب ـ كرَّم الله وجهه ـ(35-40هـ/ 65-660م) الخليفة الرابع فنجده قد رفض الإقطاع قائلاً " لولا أن يضرب بعضكم رقاب بعض لقسمت السواد عليكم " [48] , وقد جاء رفض علي بن أبي طالب الإقطاع لكثرة الفتن والحروب في عهده.

وفي العهد الأموي توسعت الإقطاعات وتعددت أشكالها , فمعاوية بن أبي سفيان(41-61هـ / 661-680م) أول خلفاء بني أمية وضع أراض الصوافي تحت تصرفه وصار يقطع لحاشيته منها [49] , واستمر هذا الإجراء إلى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (66-86هـ/685-705م) الذي اقطع الأراض الخراجية وذلك بسبب نفاد أراضي الصوافي , وبذلك يكون عبد الملك هو أول من أقطع من الأراضي الخراجية [50] .

زد على ذلك قيام بني أمية بإقطاع أراض الموات وخاصة في السواد [51] وأراض المراعي العامة , وكانت هذه الإقطاعات تمليك تؤدي العشر[52], كما وأصبح الولاة والعمال يمنحون الإقطاعات دون الرجوع إلى الخليفة , نتيجة الصلاحيات التي منحت لهم من قبل الخلفاء الأمويين وهنا يذكر البلاذري (ت279هـ/892م) [53] " أقطع عبد الله بن عامر بن كريز [54]

---

[46] أبو عبيد , الأموال , ص 380 .

[47] البلاذري , فتوح البلدان , ص 51.

[48] طرخان , اللنظم الإقطاعية , ص11 .

[49] ابن عساكر , تاريخ دمشق , الجزء 6 , ص 177 - 180 . انظر أيضًا . طرخان , إبراهيم علي , الإقطاع الإسلامي أصوله وتطوره , المجلة التاريخية المصرية , المجلد 6 , 1957 م , ص 65 -66 . سيشار له لاحقًا : طرخان , الإقطاع .

[50] ابن عساكر , تاريخ دمشق , الجزء 3 , ص 184 . الريس , محمد ضياء الدين , الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية , ط4 , دار الأنصار , مصر , 1977 م , ص 187 - 188 . سيشار له لاحقًا : الريس , الخراج .

[51] كاتبي , غيداء , الخراج , ص 75 وما بعدها .

[52] ابن عبد الحكم , أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت 257 هـ / 871 م) , فتوح مصر والشام , تحقيق : عبد المنعم عامر, جزآن , الهيئة العامة , (د, م) 1961 م , الجزء2 , 181 . سيشار له لاحقًا : ابن عبد الحكم , فتوح .

[53] أحمد بن يحي بن جابر بن داود البلاذري , يكنى أبي جعفر , ولد أواخر القرن الثاني الهجري , وتوفي أواخر أيام الخليفة المعتمد (256 - 279 هـ / 870 - 892 م) . للمزيد من المعلومات انظر . الذهبي , سير أعلام النبلاء , الجزء 13 , 162 - 163 .

[54] عبد الله بن عامر بن ربيعة بن كريز بن حبيب بن عبد شمس , أبن خال عثمان ابن عفان . للمزيد من المعلومات . نظر أيضًا . الصفدي , صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي (ت 763هـ / 1361 م) , الوافي ــ

أمير البصرة [55] لأخيه من أمه عبد الله بن عمير الليثى ثمانية آلاف جريب [56] ؛ فحفر لها النهر الذي يعرف بنهر أبن عمير .

واستمر الأمويون في إقطاع الثغور, إذ عملوا على شحنها بالجنود والمقاتلة ,وقد ظهر الإلجاء في أواسط العصر الأموي , فكان ذلك له أثر كبير في تكون الملكيات الكبيرة , كما حصل في أذربيجان[57]وأرمينية[58].وأما الخليفة عمر بن عبد العزيز (99 -102هـ/717-720م) , فقد خالف خلفاء بني أمية إذ قام باسترجاع كافة الأراضي من أقاربه وإعادتها إلى بيت المال ووصفها بالمظالم , كما انه رفض تحويل الأراضي الخراجية إلى أراضي عشرية بل منع من بيع الأراضي الخراجية ـ ظهر هذا الإجراء في عهد الوليد بن عبد الملك (86-97هـ/705 -715 م), شجع عمر بن عبد العزيز على إحياء أراضي الموات , واستغلال أراضي الصوافي ولكنه منع إقطاعها لأنه اعتبرها خاصة لبيت المال [59] .

لم يختلف الوضع كثيرًا في العصر العباسي عنه في العصر الأموي , فخلفاء بني العباس عملوا على اخذ الإقطاعات لأنفسهم وتكوين ملكيات كبيرة , كما قاموا بإقطاع أقربائهم وأفراد حاشيتهم إقطاعات واسعة , ويضاف إلى ذلك استيلاء العباسيين على أملاك الأمويين , مكونين بذلك ديوان " الضياع السلطانية " ـ وهذا يدل على كثرتها [60] .

كان للإلجاء دور كبير في زيادة الضياع السلطانية ؛ إذ لجأ صغار الملاك والفلاحين إلى ذلك هربًا من الصعاليك وسوء معاملة عمال الضرائب فمثلاً , في زمن المأمون جاء أهل المفازة في الجبل وناشدوه برضى جميع أهلها " أن يعطوه رقبتها ويكونوا مزارعين له فيها على أن يعزوا ويمنعوا الصعاليك وغيرهم فقبلها وأمر بتقويتهم ومعونتهم على عمارتها ومصلحتها فصارت من ضياع الخلافة " [61] .

ـــبالوفيات, تحقيق : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفي , , 29جزء , ط1 , دار إحياء التراث العربي , بيروت , 2000 م , الجزء 18 , ص 120 - 121 .

[55] البصرة هي مدينة تقع جنوب العراق وهي الأرض الغليظة التي فيها حجارة تقطع حوافر الدواب . للمزيد من المعلومات انظر: ابن حوقل , أبي القاسم محمد البغدادي (367هـ/977م) , صورة الأرض , طبعة بريل , لندن , 1873 م , ص 88 -90 . سيشار له لاحقًا : ابن حوقل , صورة الأرض . الحموي , معجم البلدان , مجلد1 , ص 430 - 441 .

[56] الجريب هو بفتح الجيم وكسر الراء , مساحة من الأرض تقدر 3,600 ذراع وهو يساوي 1529م^2, ويطلق الجريب على العدد , فهو يتسع لمائة نخلة عند أهل البصرة . للمزيد من المعلومات انظر , هنتس , فالتر , المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري , تر : كامل العسلي , الجامعة الأردنية , عمان , 1982 م. سيشار له لاحقًا : هنتس , المكاييل والأوزان .

[57] أذربيجان : بالفتح والسكون وفتح الراء وكسر الباء الموحدة وياء ساكنة , وجيم , يتصل حدها من جهة الشمال ببلاد الديلم والطرم . للمزيد من المعلومات انظر . الحموي , معجم البلدان , الجزء 1 , ص 128 , 129 .

[58] إرمينية : أسم لصقع عظيم واسع في جهة الشمال . للمزيد من المعلومات انظر . ابن حوقل , صورة الأرض , ص 70 .

[59] البلاذري , فتوح البلدان , 501 . انظر أيضًا , ابن الأثير , الكامل في التاريخ , الجزء4 , ص197 .

[60] ابن عساكر , تاريخ دمشق , الجزء , ص 190 . الريس , الخراج , ص 190 .

[61] الدوري , نشأة الإقطاع , ص 254 .

وظهرت خلال العصر العباسي ظاهرة إقطاع الأراض مقابل إيجار ـ أي دفع مبلغ معين من المال أو مقاسمة المحصول ـ ونظام المقاسمة وضعه الخليفة المنصور ولكنه مات ولم يطبقه , فطبقه ابنه المهدي الذي جعلها بنسبة (60%) من المحصول ويتم ذلك تبعًا للسنة الشمسية وذلك لأن أغلب هذه الأراض خراجية [62] وهذا ما يسمى الإيغار , كما برزت حالات في العصر العباسي يعفى فيها المقطع من دفع الضرائب أو أن تخفض عليه قيمة الضرائب ويقوم بدفعها بنفسه دون تدخل العمال , هذا ما يطلق عليه التسويغ كما حصل في فارس وكرمان , ظهرت أيضًا في أذربيجان حالات الطعمة وذلك على حسب الموازنة التي قدمها الوزير علي بن عسي [63] .

وفي أواخر القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي , أقطع الخلفاء الأراض بالضمان وخاصة ما حصل في السواد , فالضمان يكون وقتيًا ومحدودًا ومدته غالبًا تكون سنة , فهو يمنح للتجار أو الموظفين في حين يمنع القادة منه , فالضامن يتولى جباية الضرائب وتقديمها لبيت المال [64].

كما اقطع الخلفاء العباسيون الجند إقطاعات واسعة أغلبها كانت من أراضي الخراج , وأصبحت تلك الأراض تعطى بدل الرواتب للجند [65] من أجل التخفيض على ميزانية الدولة التي أصبحت عاجزة عن دفع رواتب الجند ـ الذين كانوا في أغلبهم من الأتراك ـ ومع بداية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي أصبح للجند الكلمة الأولي في الدولة برئاسة أمير الأمراء [66] الذي أحدثه الخليفة الراضي , الذي أصبحت له السيطرة الكلية على الخلافة لدرجة أن الخلفاء أصبحوا يعزلون من قبل الجند , من هنا سار الإقطاع في خط جديد أطلق عليه الإقطاع العسكري [67] .

ثانيًا : نشأة الإقطاع وتطوره في الغرب الأوروبي قبيل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي .

لقد اتخذ الإقطاع الأوروبي مراحل تدريجية حتى وصل إلى مرحلة الاكتمال والنمو بين القرنين العاشر والثالث عشر الميلاديين وبعد ذلك اخذ في الانهيار والاضمحلال إلي أن انتهى .

لم يتفق المؤرخون على إيجاد حادثة معنية لتحديد بدايته , وإنما اتفقت أغلب الآراء على اتخاذ حادثة سقوط الإمبراطورية الرومانية بيد القبائل الجرمانية (476 م) [68] والتي ترتب

[62] ابن الأثير , الكامل , الجزء7 , ص 230 . ابو يوسف الخراج , ص 33 .
[63] ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , الجزء 10 , ص 245 .
[64] الدوري , مقدمة , ص 48 . الريس , الخراج , ص 148 .
[65] الدوري , مقدمة , ص 75 . بارتولد , فلاديمير , تاريخ الحضارة الإسلامية , ترجمة : حمزة طاهر , ط5 , دار المعارف , مصر , 1983 م . سيشار له لاحقًا : بارتولد , تاريخ الحضارة .
[66] خياط , خليفة ابن خياط (ت 240 هـ / 854 م), تاريخ خليفة ابن خياط , تحقيق : أكرم العمري , دار الرسالة , بيروت , 1977 م . سيشار له لاحقًا : خياط , تاريخ خليفة .
[67] الزبيدي , محمد حسين , العراق في العصر البويهي : التنظيمات السياسية والإدارية والاقتصادية , دار النهضة العربية , بيروت , 1969 م . سيشار له لاحقًا : الزبيدي , العراق في العصر البويهي .
[68] القبائل الجرمانية : قامت على أنقاض الإمبراطورية الرومانية في الغرب وتفرعت منهم الشعوب الإيطالية والتي وصلت أوروبا عن طريق الهجرة من الشرق صوب الغرب وقد نتج عن تلك التحركات صوب ـ ـ

عليها الاتجاه نحو المحلية وزوال المركزية كحادثه لظهور الإقطاع[69] ؛ إذ اتجه الجميع لحماية ممتلكاتهم الخاصة, وذلك لشعورهم بالخطر على حياتهم ومساكنهم ومن اجل ذلك تطورت المؤسسات الإقطاعية لتلبية مطامح الناس في العيش بأمان في ظل وحماية سيد إقطاعي مقابل تقديم خدمات تصل بالشخص لدرجة العبودية [70] ولتوضيح ذلك الاختلاف يتوجب علينا التطرق لآراء هؤلاء المؤرخين الذين اختلفوا في تحديد طبيعة وبداية وأصول النظام الإقطاعي , وإيضاح كيف اجتمعت الظروف وهيأت لظهوره وتطوره . فهينويج ميتيس (Heinrich Mitteis) من ألمانيا , وجانشوف (F.L.Ganshof)من بلجيكا,وستنثون (F.M.Steneon) من إنجلترا,وهاسلتيز (C.H.Haskins) وستراير (J.R.Strayer),وبرايس ليون (Bryce Lyon) من الولايات المتحدة الأمريكية, يرون أن الإقطاع ظهر في النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي مع تفكك الإمبراطورية الكارولنجية [71] , وهؤلاء لا يعتقدون إن الإقطاع كان مرتبطًا بأي نوع من الأنظمة الاقتصادية ؛ لأن هناك نظم إقطاعية في ظل النظام النقدي المتنامي في القرن الثالث عشر الميلادي . وإنه بدلاً من مكافأة الأتباع الإقطاعيين (الأفصال Vassals) بمنحهم الضياع , وكان هؤلاء يتلقون إقطاعات نقدية (fief –rentes) .[72]

ويري (Lamonte) إن الإقطاع نتج بسبب الظروف التي مرت بها الإمبراطورية الرومانية في أواخر عهدها ، ومع أن الألمان قاموا ببعض التعديلات على المؤسسات الاقتصادية الرومانية إلا أن تأثيرهم كان ضعيف . في حين يرى عمران أن الإقطاع نبع من قلب القبائل الجرمانية التي دخلت في حروب مع الإمبراطورية الرومانية.[73]

الجنوب والغرب , وقد غز الجرمان إنجلترا وغالة الشمالية , وقد تأثروا واصطبغوا بالطابع الروماني.للمزيد من المعلومات انظر : ويفز . هـ . و , أوروبا في العصور الوسطى , ترجمة : عبد المجيد حمدي محموُ , ط1 , منشأة المعارف , الإسكندرية , 1985 م , ص 28 - 30 . سيشار له لاحقًا : ويفز , أوروبا . للمزيد من المعلومات انظر الملحق رقم 3.

69 كولاند وفينو جرادوف , الإقطاع والعصور الوسطى في غرب أوروبا , ترجمة : محمد مصطفى زيادة , ط3 , مكتبة النهضة المصرية , القاهرة , 1958 م , ص 4 . سيشار له لاحقًا : كوبلاند , الإقطاع .

70 Adams : George Burton , Civilization the Middle Ages : Especially in relation Modern Civilizations , Charles Scribnes Sons , New York , 1922 , p. 191 .

71 الإمبراطورية الكارولنجية (Carolingian Empire) : خلفت الأسرة الميروڤنيجية سنة (751م حتى سنة 987 م) حكمت خلالها فرنسا وألمانيا , شغل أبناءها وظائف عليا , وما إن حل الضعف بالإمبراطورية الميروفنجية حتى ورثتها , ويعد شارلمان المؤسس الحقيقي لهذه الإمبراطورية التي ضمت أقاليم واسعة. للمزيد من المعلومات انظر :

-Schutz : Herbert , the Caroligans in Central Europe , their history , arts and architecture : a cultural history of central Europe (750-900) , Brill Bston , 2004 , p. 9 .

72 كانتور , نورمان ف , التاريخ الوسيط (قصة الحضارة البداية والنهاية) , ترجمة : قاسم عبده قاسم , الجزء2 , ط5 , عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية , القاهرة , 1997 م , ص 278 , 279 . سيشار له لاحقًا , كانتور , التاريخ الوسيط .

73 ,Lamonte : John , The World of the Middle Ags : Areorientation of Medieval history , france, 1949,P . 208.

انظر أيضًا : ـــــــ

ـــ عمران , محمود سعيد , معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى , دار المعرفة الجامعية , القاهرة , (د . ت) , ص 64 , 65 . سيشار له لاحقًا : عمران , معالم تاريخ أوروبا .

أما كانتور فيذكر أن نقطة الوصل التي تربط بين النظم الإقطاعية في القرن العاشر الميلادي ، قد تكونت من خلال أشكال سياسيه وقانونيه واقتصاديه معينة ،جرمانيه في بعض الأحوال ورومانية في أحوال أخرى وذلك استجابة لحاجة اجتماعية بعد انهيار الإمبراطورية الرومانية في الغرب.[74] ووافقه موس في ذلك ؛ إذ يذكر أن الإقطاع ظهر نتيجة لالتقاء الاتجاهات عند الرومان والجرمان ومهد الطريق لهذا التحول الذي طرأ على المجتمع .[75]

لعبت الظروف التي مرت بها الإمبراطورية الرومانية خلال القرن الثالث الميلادي إلي ضعف الحكومة المركزية وعدم قدرتها على توفير حماية للمواطنين , ومن ثم هيأت هذه الأوضاع التي طالت كل مناحي الحياة ولاسيما الاقتصادية منها ؛ إلي القيام ببعض الممارسات والتي اتخذت شكل قانون روماني عُرف باسم " البريكوريوم (Precarium) " - مرتبط بحماية الأرض لا الأشخاص -[76]. فهو يعني وجود قطعة أرض يقوم أحد الأفراد على خدمتها مقابل شروط معينة , وأن الأفراد الذين ضمهم هذا الاتفاق هم (الملاك الصغار أو الفلاحين الأحرار) الذين تنازلوا عن حقوقهم في الملكية لكبار النبلاء الرومان مقابل حصولهم على قطعة أرض محددة ينتفعون بها .[77]

ويتم ذلك في إطار ما يقومون به من خدمة في ضيعة النبيل والذي يقوم بدوره بتوفير الحماية لهم ودفع الضرائب عنهم , وأطلق على الشخص الذي يطلب الحماية اسم رجل (Homo) وعلى الشخص الحامي أسم السيد (Domiuns) .[78]

وفي أواخر أيام الإمبراطورية الرومانية , ونتيجة لسوء الأوضاع الاقتصادية وتعرضها لتهديدات من قبل القبائل الجرمانية , لجأ صغار الملاك إلي وضع أنفسهم تحت حماية سادة مرموقين أقوياء ؛ وذلك بموجب عقد شكلي , أو بشكل إهداء أو مقابل تسديد دين لا أساس له[79] , وبموجب ذلك أصبحوا تحت حمايتهم ورعايتهم (Patronage) , تم يستلمون أرضهم

---

[74] كانتور , نورمان ف , العصور الوسطى الباكرة ,(القرن الثالث / القرن التاسع الميلادي) , ترجمة : قاسم عبده قاسم , عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية , القاهرة , 1993م , ص 334 . سيشار له لاحقًا : كانتور , العصور الوسطى .

[75] موس , هـ . ميلاد العصور الوسطى , ترجمة : عبد العزيز جاويد , عين للدراسات والبحوث الإنسانية الاجتماعية , القاهرة , 1967 م , ص 383 . سيشار له لاحقًا : موس , ميلاد العصور الوسطى .

[76] لامبتون , أن , نظرات في الإقطاع , مجلة الاجتهاد , ع1 , بيروت , 1988 م , ص 275 . سيشار له لاحقًا : لامبتون , نظرات .

[77] الحجي , حياة ناصر , ملاحظات حول نظام الإقطاع الأوروبي في العصور الوسطى , المجلة العربية للعلوم الإنسانية , الكويت ,العددالثاني, مجلد1 ,(د , ت) , ص 123 . سيشار له لاحقًا : الحجي , ملاحظات . الشيخ , محمد محمد مرسي , النظم والحضارة في العصور الوسطى , دار المعرفة الجامعية , القاهرة , 1996 م , ص11 . سيشار له لاحقًا : الشيخ , النظم والحضارة . الغوج , محمد مصطفى , تاريخ أوروبا في العصور الوسطى , مكتبة الشعب , مصراته ,2009 م , ص 150 . سيشار له لاحقًا : الغوج , تاريخ أوروبا .

[78] Ganshof : F.L , feudalism , Tra : Philip Grierson , Edi : Second English , the Academy Library , New York , 1961 , P .5

انظر أيضًا :

- فرح , نعيم , الحضارة الأوروبية في العصور الوسطى , منشورات جامعة دمشق , دمشق , 1995 م , ص 22 . سيشار له لاحقًا : نعيم , الحضارة الأوروبية .

[79] نعيم , الحضارة الأوروبية , ص 22 .

كمستأجرين يقومون بفلاحتها والعيش على محصولها بعد أن فقدوا ملكيتها , ويترتب عليهم تقديم جزء من المحصول للسيد الإقطاعي .[80]

من خلال ذلك يتضح أن الرومان عرفوا نظام الأتباع أو التبيعة (Clientele) والذي لا ينضوي على الخدمة العسكرية , وذلك لأن الفرق العسكرية الرومانية كانت تتألف أساسًا من المتبربرين.[81]

عرف الرومان أيضًا طرقًا متنوعة لحيازة الأرض والاستفادة منها ؛ منها ما عرف في القانون الروماني باسم (Precarium) والذي يعني قيام أصحاب الملكيات الكبيرة باقتطاع أجزاء صغيرة من ضياعهم للفلاحين الذين يقومون بزراعتها مقابل دفع الضرائب وتأدية بعض الأعمال , وتنتهي هذه الحيازة وفقًا لرغبة صاحبها , منحت الكنيسة أيضًا أراض للفلاحين مقابل ضريبة معتدلة , ومنح كبار الملاك ضيعًا زراعية ؛ بهدف تشجيع الزراعة وذلك نظرًا لما مرت به الإمبراطورية الرومانية من انهيار اقتصادي .[82]

وإذا ما انتقلنا إلى الجرمان الذين ورثوا الإمبراطورية الرومانية نجدهم قد عرفوا نظام الرفاق - (Comtatus) - والذي اختلف عن نظام الأتباع الروماني . ظهر النظام الإقطاعي في المملكة الميروڤنجية (486 - 751 م) ولاسيما في قلب غالة فيما بين نهري اللوار والراين [83], كما ظهر في انجلترا وايطاليا وألمانيا وأسبانيا ؛ ففي فرنسا كان الوضع غير مستقر خاصة بعد وفاة كلوڤيس إذا عمت الفوضى السياسية البلاد ؛ وذلك بسبب مشكلة تقسيم الإرث بين الأبناء الذكور والذي ترتب عليها نشوء خلافات وصراعات بين أبناء الملك عند وفاته .[84]

ففي الفترة الواقعة بين سنتي (628 - 719 م) حدث صراع بين ثلاث ممالك ألا وهي (نوسترِيا [85] , اوسترسيا [86], برجنديا [87]) من أجل الحصول على مركز رئيس البلاط ,

---

[80] الشيخ , النظم والحضارة , ص 11 . كولتون . ج .ج , عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة , ترجمة : جوزيف نسيم يوسف , ط3 , دار النهضة العربية , بيروت , 1981 م , ص 40 . سيشار له لاحقًا : كولتون , عالم العصور الوسطى .

[81] العريني , السيد الباز , الحضارة والنظم الأوروبية في العصور الوسطى , القسم1 , دار النهضة العربية , بيروت , 1963 م , ص 15 . سيشار له لاحقًا : العريني , الحضارة والنظم. كانتور , التاريخ الوسيط , الجزء1 , ص 335 . هلستر : س . وُرن , تاريخ أوروبا في العصور الوسطى , ترجمة : محمد فتحي الشاعر , مكتبة الأنجلو المصرية , القاهرة , 1988 م , ص 141 . سيشار له لاحقًا : هلستر , تاريخ أوروبا .

[82] العريني , الحضارة والنظم , ص 3 - 18 .

[83] Ganshof , feudalism , P . 22 .

انظر أيضًا :

- العريني الحضارة والنظم , ص 11 .

[84] ساليـڤان , ريتشارد أ , ورثة الإمبراطورية الرومانية (الغرب الجرماني , العالم الإسلامي , الدولة البيزنطية) , ترجمة : جوزيف نسيم يوسف , ط 1 , مؤسسة سباب الجامعة , الإسكندرية , 1985 م , ص 80 - 82 . سيشار له لاحقًا : ساليـڤأن , ورثة الإمبراطورية .

[85] نوسترِيا : تقع في الغرب , انتشر فيها العنصر الروماني حيث الملكيات الكبيرة والتي يعمل فيها العبيد . للمزيد من المعلومات انظر : ترحيني , محمد , معالم التاريخ الأوروبي الوسيط , ط1 , دار الهادي , (د . م) , 1992 م , ص 60 , 61 . سيشار له لاحقًا : ترحيني , معالم التاريخ .

[86] أستراسيا : تقع في الشرق ذات الأغلبية الجرمانية , انتشر فيها عدد كبير من الفلاحين الأحرار . للمزيد من المعلومات انظر ترحيني , معالم التاريخ , ص 60 , 61 .

أضف إلي ذلك النزاع الذي كان يدور من حين إلي أخر بين حكام الأقاليم الذين عينهم الإمبراطور الجرماني كنواب عنه ؛ لأنه كان غير قادر على حكم تلك الأقاليم بسبب النزاعات العائلية المستمرة . (88)

وفي خضم تلك الصراعات التي عاشتها الإمبراطورية الجرمانية والتي كانت وعلى الرغم من انقسامها إلى عدة قبائل تشكل أمة واحدة , نمت عدة فئات من الأتباع الذين أطلقت عليهم ألفاظ مختلفة تدل على صفتهم ؛ إذ عُرف في القرن التاسع الميلادي مصطلح (Vassus or Vassal) (89) الذي يعني التابع المسلح . (90)

كما ظهرت فئة الأتباع من أصل وضيع (جاسندي) وهذه الفئة تتكفل بمعيشة الملك أو أصحاب النفوذ , تولت هذه الفئة قيادة الجيوش إذ ألفوا فئة الفرسان الدارعين , كما استخدموا في سفارات الحكومة , وفي مقابل ذلك تحصلوا على ضياع منتزعة من أراض الملك أو ضياع مصادرة من الكنيسة , كما ظهرت فئة أتباع الطبقة الغنية ,وهؤلاء أكثروا من أتباعهم نتيجة غناهم ؛ إذ ألف الأتباع طبقة اجتماعية خاصة , فأصبحت التبعية رتبة مرموقة ورمز شرف . (91)

عندما وصل شارل مارتل (92) للحكم , عمل على تكوين قوة عسكرية يعتمد عليها في مواجهة الأخطار الخارجية , ولكن ونتيجة لتقلص موارد الإمبراطورية الميروفنجية , اضطر شارل مارتل إلى تجريد الكنائس من أراضيها ووزعها على جنده الذين أقسموا له بيمين الولاء إذ قام

---

87 بورغنديا : تقع في الجنوب شرق غالة , انتشر فيها الفلاحون الأحرار ذوي الممتلكات الصغيرة . للمزيد من المعلومات انظر . ترحيني , معالم التاريخ , ص 60 , 61 .

88 عاشور , سعيد عبد الفتاح , حضارة ونظم أوروبا في العصور الوسطى , القسم الأولي , دار النهضة العربية , بيروت , 1900 م , ص 379 , 380 . سيشار له لاحقًا : عاشور , حضارة ونظم . العريني , الحضارة والنظم , ص 11 . كوبلاند , الإقطاع , ص 4 .

89 (Vassus) : ترجع إلي أصل كلتي وتعني الخادم , ثم دخلت في اللغة اللاتينية بهذا الرسم , ولفظة (Vassus) تعني الشخص الذي يؤدي خدمة حربية , تم أصبحت تطلق على الشخص الحر الذي وضع نفسه تحت حماية شخص أخر . للمزيد من المعلومات انظر : الشيخ , النظم والحضارة , ص 18 . العريني , الحضارة والنظم , ص14 , هامش رقم 1.

90 Lamonte , The word , P.213 .

أنظر أيضًا :

ـ فرح , الحضارة الأوروبية , ص 24 . العريني , الحضارة والنظم . ص 13 , 14 .

91 كوبلاند , الإقطاع , ص 5- 7.العريني , الحضارة والنظم , ص 12 - 15. ويفز , أوروبا , ص 45 , 46 .

92 شارلمان : ولد سنة (742 م) في مكان غير معروف , ابن الإمبراطور بيبن الثالث يُعد من أعظم الأباطرة اعتلى عرش الإمبراطورية الكارولنجية ما بين عامي (768 - 800 م) امتدت الإمبراطورية في عهده من جبال البرانس إلى نهر الأب في ألمانيا ومن الأطلنطي إلى نهر الدانوب وإلى نهر التيبر في إيطاليا . للمزيد من المعلومات انظر : سيتني , ل. ج , تاريخ العالم الغربي , ترجمة : مجد الدين حنفي ناصف , دار النهضة العربية , القاهرة , 2003 م , ص 113 , 114 .

بتسجيلهم في سجل خاص بالمحاربين [93] , هذه الأراضي كانت على شكل انتفاع ما داموا يقومون بالخدمة العسكرية , وقد تبنَّت هذا القانون الكنيسة الفرانكونية . [94]

وبانتهاء الدولة الميروفنجية قامت الدولة الكارولنجية (751 - 899 م) [95] والتي اتجهت نحو المحلية , وعمل ملوكها على بسط نفوذهم على السكان , فأحاطوا أنفسهم بأتباع أقطعوهم أراضي مقابل قيامهم بالخدمة العسكرية . [96]

ونتيجة لتوسع الدولة وضمها للعديد من الأقاليم تقلصت مواردها المالية , وبدأ النبلاء والكونتات بالمطالبة برواتبهم , ولتفادي هذه المشكلة لجأ شارلمان إلى إقطاعهم الأراضي كبديل عن رواتبهم التي عجزت الدولة عن دفعها , وحرص شارلمان على أن يُقْسِم كل نبيل أو كونت يحصل على الأرض يمين الولاء له , ويضاف إلى ما سبق قيام شارلمان بتعيين مندوبين عنه لمراقبة تلك الأقاليم , ولكن وعلى الرغم من ذلك حاول بعض النبلاء تحويل تلك الإقطاعات لإقطاعات وراثية . [97]

ولكن بوفاة شارلمان انقسمت الإمبراطورية مجددًا بين أبنائه الثلاثة وهم بيبن ـ لوثر ـ لويس التقي [98] والذي أصبح الملك الوحيد بعد وفاة أخوته بيبن ولوثر , حافظ لويس التقي (814 ـ 840 م) على الوحدة الإمبراطورية لفترة بسيطة , ولكن بوفاته انقسمت الإمبراطورية مجددًا بين أبناءه بموجب معاهدة فردان [99] سنة (843 م) والتي حكم بموجبها لويس الابن المناطق الواقعة بين جبال الأب ونهر الراين , فيما حكم تشارلز قسم كبير من فرنسا وأسبانيا , بينما أختص لوثر الابن بحكم إيطاليا وأراضي الواقعة شرق نهر الراين وللشلد ونهر الرون . [100]

فاستغل النبلاء هذه الأوضاع , وعملوا على الاستقلال بإقطاعاتهم وجعلها وراثية ؛ إذ جمعوا حولهم عددًا من الفرسان وأقطعوهم أراضي شاسعة مقابل الخدمة العسكرية , فتحولت طبقة الفرسان إلى طبقة من المقطعين جمعوا عدد من الأتباع , هكذا تشكل الهرم الإقطاعي الذي يكون الملك على رأسه . [101]

لقد حرص هؤلاء على أن يقوم الفرسان بتأدية يمين الولاء ,وبذلك أصبحت لهم الكلمة العليا في إقطاعاتهم ,وتجاوز الأمر لدرجة موافقة النبلاء على تعيين الملك الذي لم يَعد يمتلك من

---

93 كوبلاند , الإقطاع , ص 60 - 65 . مدني , صلاح , تاريخ العصور الوسطى في أوروبة (الفترة الأولى بين نهاية القرن الرابع والقرن الحادي عشر الميلاديين) مطبعة الإنشاء , دمشق , 1973 م , ص 432 - 434 . سيشار له لاحقًا : مدني , تاريخ العصور الوسطى .

94 عاشور , حضارة ونظم , ص 381 . كانتور , العصور الوسطى , ص 337 .

95 للمزيد من المعلومات انظر الملحق رقم 4 .

96 فرح , الحضارة الأوروبية , ص 29 - 31 . مدني , تاريخ العصور , ص 433 , 434 .

97 ساليفان , ورثة الإمبراطورية , ص 114 . كانتور , الصور الوسطى , ص 324 .

98 للمزيد من المعلومات انظر الملحق رقم 5 .

99 للمزيد من المعلومات انظر الملحق رقم 6 .

100 عاشور , سعيد عبد الفتاح , تاريخ أوروبا في العصور الوسطى , دار النهضة العربية , بيروت , 1976 م , ص 169 - 172 . سيشار له لاحقًا : عاشور , تاريخ أوروبا . للمزيد من المعلومات انظر الملحق رقم 7 .

101 الترحيني , معالم التاريخ , ص 127 , 128 . عمران , حضارة ونظم , ص 29 - 31 .

السلطة شيئًا سوى حدود إقطاعه , وإن اضطر في بعض الأحيان إلى التنازل عنه لصالح القادة.[102]

لم يتوقف أمر إقطاع الأراضي على المدنيين والفرسان فحسب ؛ بل حصل رجال الكنيسة على إقطاعات واسعة , فقد كانت بعض الأديرة خمسة عشر ألف حقلاً من الأراضي الصالحة للزراعة . وبهذه الصورة أصبح الدير وما حوله من المساكن والحوانيت والأراضي الزراعية التي تقع حوله تشكل مدينة صغيرة .[103]

كانت الزراعة تمثل شريان النشاط الاقتصادي بل وأهم مصادر الثروة في الإمبراطورية , لذا عرف الكارولنجيين الملكيات الكبيرة والصغيرة , ولكن ونتيجة للضرائب التي فرضها النبلاء والقادة على أصحاب الملكيات الصغيرة لجأ أصحابها إلى الاحتماء بسيد إقطاعي مرموق , فتنازلوا عن حقوق ملكية أراضيهم مقابل قيام السيد بحمايتهم ودفع الضرائب عنهم , فنشأ بذلك تفاوت بين طبقات المجتمع .[104]

ويكمن القول إن ما النظام الذي اتبعه الجرمان أو الفرنجة لم يأتِ عرضًا , وإنما تعود جذوره إلي العادات التقاليد التي عرفها الجرمان الذين جلبوا معهم كثيرًا من عناصر التنظيم القبلي المعروف عندهم والمتعلق بتقديس رابطة الدم والحكم المحلي , ولكن يبدو أن الجرمان قد تأثروا بروح التحضر والاستقرار والمدنية التي عرفتها الإمبراطورية الرومانية , ولكن كان لاتساع الدولة أثره في انتشار عوامل الفوضى والتي قادتهم في النهاية إلى التخلي عن سلطتهم ونفوذهم لمن ينوب عنهم .[105]

وساهم ضعف التجارة في غرب أوروبا , في نشوء النظام الإقطاعي ؛ إذ تناقصت حركة التجارة البحرية مقارنة مع الأرباح التي تجنى منها , فترتب على ذلك تداعي المدن وتضاؤل عدد التجار الذين كانوا يمدون المدن بالمؤن اللازمة [106] , كما كان لنشوء المقاطعات الألمانية دور في عودة الحياة للطرق الرومانية التجارية القديمة , ولكن كان للحروب الجرمانية أثره في تحطم الطرق , فترتب على ذلك تقلص التجارة البرية نتيجة لصعوبة تلك الطرق .[107] ومع ذلك جازف بعض التجار وسلكوا تلك الطرق, فكانت بضائعهم تنحصر في سلع الرفاهية مثل مواد الزينة والتوابل وبعض ملابس رجال الكنيسة .[108]

وأدى وصول المسلمين إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط ودخولهم جزيرتي صقلية ومالطا الإيطاليتين إلى أثر كبير في تغير حركة التجارة [109] يضاف إلى ما تعرض له الغرب

---

[102] كولتون , عالم العصور الوسطى , ص 42 . هلستر , أوروبا , ص 141 .

[103] عمران , حضارة ونظم , ص 30 , 31 .

[104] .Scott : Martin , Medieval Europe edi , london , 1964 . P, 22 -34 .

[105] الترحيني , معالم التاريخ , ص 112 , 113 . العريني , الحضارة والنظم , ص 14 , 15 .

[106] العريني , تاريخ أوروبا , ص 379 , 380 .

[107] Lamonte , The World of , P. 229 , 230 .

[108] كين , موريس , حضارة أوروبا العصور الوسطى , تر: قاسم عبده قاسم , ط1 , عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية , القاهرة , 1994 م , ص 49 .

[109] Lamonte ,The World of ,P . 230 . Speed , Those who fought ,P.8,9 .

الأوروبي بداية القرن الثامن من هجمات الفايكنج [110] الذين ارتكبوا أفظع جرائم القتل والنهب.[111] أجبرت هذه الأوضاع سكان المدن وخاصة الفرنسية والإيطالية على الهجرة للريف والاستقرار في قصورهم , وجمعوا حولهم عددًا من الفلاحين وأجبروهم على العمل في الحراسة إضافة إلى عملهم كفلاحين , ومن هنا ظهرت عدة قصور للنبلاء في الريف منها قصر أقيم في ميرزن (Mirzn) بوادي نهر الميوز . [112]

ومن خلال ذلك يتضح أن النظام الإقطاعي ظهر نتيجة لما طرأ من تغيرات سياسية واقتصادية اجتماعية , فرضت على الغرب الأوروبي قيام نظام جديد عُرف بالنظام الإقطاعي .

ثالثًا : الإقطاع ومعناه في المشرق الإسلامي :-

الإقطاع لغةً : جمع إقطاع وهو مصدر أقطع ,ويقال أقطعه أرض كذا يقطعه إقطاعًا , واستقطعه إذ طلب منه أن يقطعه والقطيعة الطائفة من أرض الخراج [113].

والإقطاع اصطلاحًا : أن يدفع الأئمة إلى من يرون أن يدفعوا شيئًا مما ذكرناه - يقصد الأراضي - فيملك المدفوع ذلك إليه رقبته بحق الإقطاع ويجب عليه فيه العشر [114] .

رابعًا : الإقطاع ومعناه في الغرب الأوروبي :-

هو مجموعة من النظم والقوانين خضع بموجبها رجل حر لرجل حر آخر هو السيد , أدى له يمين الولاء والخدمة الحربية , ونظير ذلك التزم السيد بحماية تابعه والإنفاق عليه , ثم تطور الأمر حد منحه قطعة أرض اتخذت أسم إقطاع [115] .

---

110 الفايكنج أو الشماليين : يرجع أصلهم إلى العنصر التيتوني أو الجرماني ,هم مجموعة من الشعوب التي سكنت جزيرة اسكنديناوه وشبه جزيرة الدنمرك وحوض بحر البلطيق , ويعني أسمهم سكان الفيوردات والخلجان . للمزيد من المعلومات انظر : عاشور , تاريخ أوروبا , ص 175 , 176 .

111 Speed , Thos who fought , P. 9 .

112 Devid : Herlihy , The history of Feudalism , edi : first published , United Kingdom , 1971 ,p .

113 القلقشندي , أبي العباس أحمد بن علي (ت 812 هـ / 1418 م) , صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ,15جزء , وزارة الثقافة والإرشاد القومي , المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة الطباعة والنشر , (د , ت) , الجزء3 , ص 85 . سيشار له لاحقًا : القلقشندي , صبح الأعشى .

114 قدامه , أبو الفرج بن جعفر بن قدامه بن زياد الكاتب البغدادي (ت 337 هـ / 948 م) , الخراج وصناعة الكتابة , تحقيق : محمد حسين الزبيدي , دار الرشيد , بغداد , 1981 م , ص 218 . سيشار له لاحقًا : قدامه , الخراج.

115 الشيخ , النظم والحضارة , ص 9 . بيرين , هنري , تاريخ أوروبا في العصور الوسطى الحياة الاقتصادية والاجتماعية , ترجمة : عطية القوطي , ط1 , الهيئة العامة للكتاب , القاهرة , 1988 م , ص 60 . سيشار له لاحقًا : هنري , تاريخ أوروبا في العصور الوسطى . انظر أيضًا :

- John Simpson &Edmund Weiner , Oxford English Dictionary ,United Kingdom , Oxford University , 1989,p,p289.

الفصـــــــل الثانـي

الإقطاع العسكري في العصرين البويهي والسلجوقي
(334 -590 هـ / 945 - 1193 م)

الإقطاع العسكري في العصرين البويهي والسلجوقي

نشأة الإقطاع العسكري خلال العصر البويهي

سبب ظهور الإقطاع العسكري .

أهم إصلاحات بني بويه الاقتصادية .

طرق تعامل المقطعين .

نظام الإلجاء .   نظام الضمان .

حقائق حول الإقطاع البويهي .

أحوال الخلافة العباسية قبيل دخول السلاجقة بغداد .

سياسة نظام الملك في توزيع الإقطاعات .

نظامي الإلجاء , الضمان

الإقطاع في ظل الأتابكيات السلجوقية .

أنواع الإقطاع السلجوقي :-

أ - إقطاعات البيت السلجوقي .

ب - إقطاعات الأمراء من السلاطين .

ج - إقطاعات الأمراء العرب .

نتائج الإقطاع العسكري

موازنة بين الدولة البويهية والدولة السلجوقية

الإقطاع العسكري في العصرين البويهي والسلجوقي " 334 - 590 هـ/945-1193م"

نشأة الإقطاع العسكري خلال العصر البويهي :

اضطربت أحوال الخلافة العباسية في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ؛ إذ شهد هذا القرن عدم توازن في الدولة بحيث أضحت تعاني من فوضى واسعة , لدرجة أن منصب أمير الأمراء الذي استحدثه الخليفة الراضي [116] كمحاولة لمعالجة هذه الأوضاع لم يرأب الصدع ؛ فتعطلت الأجهزة الإدارية وارتفعت الأسعار وتدهور نظام الري الذي رافقه قلت العناية بالقنوات والسدود [117] , ولعل السبب الذي أدى إلى هذه الأوضاع بالإضافة إلى ما سبق هو انعدام الأمن الذي ترتب عليه أولاً انتشار قطاع الطرق وتوقف حركة التجارة . [118]

لقد أدت الحروب التي اشتعلت نيرانها بين الطامعين في الحصول على منصب أمير الأمراء إلى الإضرار بنظام الري والذي أثر بدوره على ندرة المحاصيل الزراعية خاصة أن هذه الفترة عانت العراق من قلة بالأمطار حتى أنه في سنة 329هـ/941م انخفض إنتاج المحاصيل الزراعية فمثلاً بلغ سعر الكر [119] الواحد من الدقيق 130 دينار ؛ فاضطر الناس إلى أكل النباتات البرية . [120]

اعتمدت الخلافة العباسية على دخل الخراج والجزية وأموال المصادرات , ودخل ضياع الخلافة التي بلغت وارداتها في عهد الخليفة الراضي 1080000 دينار [121] ؛ فمثلاً كانت جباية الخراج تتم وقت النوروز المعتضدي [122] ولكنها تغيرت مع دخول البويهيين فأصبحت تتم في شهر حزيران وخير دليل على ذلك ما حدث سنة (331هـ/943م) زمن أمير الأمراء

---

116 القلقشندي , أبو العباس أحمد بن علي (ت 821 هـ /1418 م) , مآثر الإناقة في معالم الخلافة , تحقيق : عبد الستار فراج , 3أجزاء , عالم الكتب , بيروت , 1980 م , الجزء1 , ص 287 . سيشار له لاحقًا : القلقشندي , مأثر الخلافة .

117 ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي (ت597هـ/1200م) , المنتظم في تاريخ الملوك والأمم , تحقيق : محمد ومصطفى السقا , 18جزء, ط2 , دار الكتب , بيروت , 1992م , أجزاء 6 , ص 300 . سيشار له لاحقًا : ابن الجوزي , المنتظم .

118 الصولي , محمد بن يحي (ت 335 هـ /946م) , الأوراق أخبار الراضي بالله والمتقى , تحقيق:ج, هيورث , دار المسيرة , بيروت , 1979 م , ط2 , ص193 , 283 . سيشار له لاحقًا : الصولي , أخبار .

119 الكر : ميكال بابلي الأصل , يساوي (30كاره و 60 قفيز) , و قفيز يساوي (8) مكاكيك . والكاره مكيال عرف في العراق , ويساوي قفيزين . للمزيد من المعلومات انظر :هنتس, المكاييل , ص 69 .

120 ابن الأثير , الكامل , الجزء 6 , ص 254 .

121 الصابي , هلال بن المحسن (ت448 هـ / 1056 م) , رسوم دار الخلافة , تحقيق : محمد ميخائيل عواد , دار الرائد العربي , بيروت , 1986 م, ط2 , ص 30 . سيشار له لاحقًا : الصابي , رسوم . الصولي , أخبار , ص 131 .

122 النوروز المعتضدي : ينسب إلى الخليفة المعتضد بالله (279 - 289 هـ / 892 - 899 م) , والنوروز من الأعياد الفارسية , ويكون بداية فصل الربيع , كانت تتم من جباية الضرائب قبل نضج المحصول الأمر الذي يؤثر على الفلاحين , ولكن عندما وصل الخليفة المعتضد للحكم أخر موعد جباية النوروز إلى حزيران . للمزيد من المعلومات انظر : الدوري , عبد العزيز , تاريخ العراق الإقتصادي في القرن الرابع الهجري ,ط2 , دار الشروق , بيروت , 1984م , ص 51 . سيشار له لاحقًا : الدوري , تاريخ العراق .

ناصر الدولة الحمداني (123) الذي أجبر الفلاحين على دفع هذه الضريبة قبل نضج المحصول . (124)

الإضافة إلى ما سبق تقلصت موارد الخلافة العباسية نتيجة لازدياد نفقات الجند وخاصة عند مهاجمة عدو أو عند دفع خطر عدو ففي هذه الحالات كان الخليفة العباسي يضطر إلى رفع النفقات . (125) فكانت هذه الاختلالات مناسبة لظهور حكم جديد غير عربي بدأ بالبويهيين (126) القادمين من بلاد الديلم (127) فيذكر كلاً من ابن خلدون (ت 808 هـ / 1405 م)والدوري أنهم ينتسبون إلى سلالة ديلمية (128) , في حين يقول الصابي (ت 384 هـ / 994 م) أن نسبهم يعود إلى الملك الساساني بهرام جور بن يزدجرد (129) على رأس جيش (130) بقيادة الإخوة الثلاثة أحمد بن بويه الملقب بمعز الدولة (131) , الحسن بن بويه الملقب بركن الدولة (132) , وعلي بن

---

[123] ناصر الدولة : هو أبو محمد الحسن بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون , تقلد ولاية الموصل سنة 318 - 331 هـ / 930 - 943 م , وتولى أمرة أمراء بغداد سنة 330 هـ /942 م . للمزيد من المعلومات انظر : الصولي , أخبار , ص 241.

[124] الصولي , أخبار , ص 238 .

[125] الصولي , أخبار , ص 230 , 231 . الصولي , رسوم , ص 30 , 31 . مسكويه , أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت421هـ/1030م) , تجارب الأمم وتعاقب الهمم , تحقيق : سيد كسُري حسن , 6أجزاء , دار الكتب العلمية , بيروت , 2003م , الجزء2 , ص 13 . سيشار له لاحقًا : مسكويه , تجارب الأمم.

[126] البويهيين: أما نسبهم فيرتفع من بويه ٍوليسوا من الديلم ؛ وإنما سموًا بذلك لأنهم سكنوا بلاد الديلم . للمزيد من المعلومات انظر : ابن الطقطقى, محمد بن علي بن طباطبا (ت709هـ/1309م), الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية , دار صادر , بيروت , (د . ت) , ص 281 . سيشار له لاحقًا : ابن الطقطقى , الفخري. للمزيد من المعلومات انظر الملحق رقم 7 .

[127] بلاد الديلم وما يتصل بها , فمن ناحية الجنوب بحر قزوين والطرم وشيء من آذربيجان وبعض الري , وما يتصل بها من جهة المشرق بقية أعمال الري وطبرستان , ويتصل بها من جهة الشمال بحر الخزر , ومن جهة المغرب شيء من آذربيجان وبلدان الران , وقد ضممنا إلى ذلك ما يتصل بها من جبال الرويج وفادوسبان وجبال قاران وجرجان . للمزيد من المعلومات انظر : ابن حوقل , صورة الأرض , ص 271 .

[128] ابن خلدون , عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت808 هـ / 1405 م) , تاريخ ابن خلدون , 4أجزاء , دار الكتب العلمية , بيروت , 1979 م , الجزء 3 , ط1 , ص 826 . سيشار له لاحقًا : ابن خلدون , تاريخ . الدوري , عبد العزيز , دراسات في العصور العباسية المتأخرة , مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت , 2007م, ص 233 . سيشار له لاحقًا , الدوري , دراسات .

[129] بهرام جور بن يزجر بن شاه بن سن فروبن شيرزيل بن بهرام جور الملك , وهو أخر ملوك الفرس العظام . للمزيد من المعلومات انظر : الصابي , إبراهيم بن هلال (ت384 هـ / 994) , المنتزع من كتاب التاجي , تحقيق : محمد الزبيدي , دار الحرية , بغداد , 1977 م , ص 85 . سيشار له لاحقًا : الصابي , المنتزع.

[130] كان الجيش البويهي يتألف من : الرجالة الديالمة , والفرسان الأتراك . الدوري , تاريخ العراق , ص 36 .

[131] معز الدولة (303 - 356 هـ / 915 - 967 م) أحمد بن بويه بن فناخسرو بن ، أبو الحسن , معز الدولة من ملوك بني بويه في العراق فارسي الأصل , مستعرب , يقال له الأقطع لأن يده اليسرى قطعت في معركة مع الأكراد , تولى في صباه كرمان , وسجستان والأهواز , ثم دخل بغداد سنة (334 هـ / 945 م) في خلافة المستكفى . أستمر في الحكم 22 سنة . للمزيد من المعلومات انظر : ابن خلكان , أبو العباس شمس الدين أحمد ابن إبراهيم (ت 681هـ/ 1282 م) , وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان , تحقيق : إحسان عباس , 8أجزاء, دار صادر , بيروت , 1968 م, الجزء1 , ص 174 - 176 . سيشار له لاحقًا : ابن خلكان , وفيات الأعيان . الصابي , المنتزع , ص 75 .

[132] ركن الدولة (284 - 366 هـ / 897 - 976 م) أبو علي الحسن بن بويه بن فناخسرو الديلمي , من كبار ملوك الدولة البويهية , حكم أصبهان والري وهمذان , والد عضد الدولة فناخسرو ومؤيد الدولة بويه , وفخر- ــ الدولة علي , استمر حكمه (44) سنة كان أوسط أخوته . للمزيد من المعلومات انظر : ابن خلكان , وفات الأعيان , الجزء2 , ص 118 - 120 . الصابي ,المنتزع , ص 36 .

بويه الملقب بعماد الدولة [133] مؤسسين بتوسعهم هذا دولاً مستقلة في (فارس [134] , والأهواز[135] وكرمان [136] , والري [137] , وأصفهان , وهمذان [138] وأخيرًا بغداد [139] سنة 334هـ/945م فاستطاعوا السيطرة على مقاليد الحكم فما كان من الخليفة العباسي إلا أن أطلق عليهم الألقاب وأمر بنقش أسمائهم على الدنانير والدراهم [140] .

وفي ظل هذه التطورات التي لحقت بالخلافة العباسية لجأ البويهيين إلى تطبيق نظام الإقطاع العسكري المرتبط بتقديم الخدمة العسكرية والمعتمد على الأراضي الخراجية التي أعطيت للجند لتكون بديلاً عن الرواتب التي عجزت خزينة الدولة عن دفعها . ضف إلى ذلك ارتبط نشوء هذا النظام بقلة خبرة البويهيين الحضارية والسياسية بأمور الدولة , كذلك ارتبط بتخلف مستواهم الحضاري الذي جلبوه من بلادهم التي عرفت الإقطاع القديم القائم على رئيس القبيلة باعتباره سيد إقطاعي يتولى عملية توزيع الأراضي على أفراد قبيلته على شكل إقطاعات , وبهذا ظهر الإقطاع العسكري في العراق [141] .

---

133 عماد الدولة (282 - 339 هـ / 895 - 940 م) أبو الحسن علي بن بويه بن فناخسرو الديلمي , صاحب بلاد فارس , أول من ملك من بني بويه . توفى بشيراز ودفن بدار المملكة للمزيد من المعلومات انظر : ابن خلكان , وفيات الأعيان , الجزء 3 , 399 - 400 . سيشار له لاحقًا : ابن خلكان , وفيات الأعيان . الصابي , المنتزع , ص 54 .

134 فارس : ولاية واسعة وإقليم فسيح , أول حدودها من جهة العراق آرجان ومن جهة كرمان السيرجان , ومن جهة ساحل بحر الهند سيراف ومن جهة السند مُكران . للمزيد من المعلومات انظر: الحموي , معجم البلدان , الجزء 4 , ص 226 - 228 .

135 الأهواز : أخره زاي وهي جمع وأصله هوز , كان أسمها أيام الفرس خوزستان . وهي مدنية تقع على نهر دجلة وهي عاصمة إقليم عربستان . للمزيد من المعلومات انظر : الحموي , معجم البلدان , الجزء 1 , ص 284 - 286 . المقدسي , أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 390 هـ / 999 م) , أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم , تحقيق : شاكر لعيبي , دار سويدان , أبو ظبي , 2001 م, ط1 , 46 . يشار له لاحقًا : المقدسي , أحسن التقاسيم .

136 كرمان : بالفتح ثم السكون , وآخره النون , وربما كُسرت والفتح أشهر بالصحة , كرمان في الإقليم الرابع , وهي ولاية مشهورة وناحية معمورة ذات بلاد وقري ومدن واسعة بين فارس ومكران وخراسان . للمزيد من المعلومات انظر : الحموي . معجم البلدان, الجزء 4 , ص 454 .

137 الري : بفتح آوله , وتشديد ثانيه , وهي مدينة مشهورة من أمهات البلاد . للمزيد من المعلومات انظر : الحموي , معجم البلدان , الجزء 3 , ص 116 .

138 همذان : أكبر مدينة بالجبال وكانت أربعة فراسخ في مثلها . للمزيد من المعلومات انظر: الحموي , معجم البلدان , الجزء 5 , ص 410 .

139 بغداد : سميت مدينة السلام . للمزيد من المعلومات انظر : الحموي , معجم البلدان , الجزء 1 , ص 456 - 457 .

140 ابن تغري بردي, جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت 874 هـ / 1419 م) , النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة , تحقيق : محمد حسين شمس الدين , 16 جزء , دار الكتب العلمية , بيروت , 1992 م , الجزء 3 , ص 185 . سيشار له لاحقًا : ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة .انظر أيضًا : مسكويه , تجارب الأمم , الجزء2 , ص 85 .

141 ابن كثير , البداية والنهاية , الجزء 11 , ص 187 . الجالودي , عليان عبد الفتاح , الإقطاع العسكري في عصر السلاجقة الكبار ودور الوزير نظام الملك الطوسي في نشأته وتطوره (429 - 886 هـ / 1038 - 1092 م) , المجلة الأردنية للتاريخ والآثار , عمان , 2008 م , مجلد2 , ع 1 , ص 45 . سيشار له لاحقًا الجالودي , الإقطاع . الدوري , مقدمة في التاريخ الاقتصادي , ص 86 . الدوري , نشأة الإقطاع , ص 260 .

وقبل الحديث عن الإقطاع العسكري يتوجب علينا تناول أراء المؤرخين حول بدء الإقطاع العسكري . فمسكويه [142] (ت 421 هـ / 1030 م) مؤرخ الدولة البويهية , وابن الأثير[143] (ت 630 هـ / 1232 م) يؤكدان أن الإقطاع العسكري أصله بويهي وان معز الدولة هو أول من أقطع قواده وجنده الضياع السلطانية [144] , بينما يري الأصفهاني (ت 597 هـ / 1200م) [145] وابن العديم (ت 660 هـ / 1216 م) [146] إن الإقطاع العسكري ظهر أيام السلاجقة [147] وإن نظام الملك الطوسي [148] هو أول من أقطع الإقطاعات لقواده وجنده [149] , وهذا ما يؤكده نظام الملك نفسه في كتابه سياست نامة [150] إذ يقول " ... كانت عادة الملوك القدامى أن يدفعوا رواتب الجيش نقدًا من خزينة الدولة ... أما السلاجقة فكانوا يعطون للأشخاص قطعة أرض يرثها أبنائهم من بعدهم وكان هذا يسمى إقطاعًا ... " [151] .

---

142 مسكويه , أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (ت 421 هـ / 1030) , مؤرخ , باحث , اشتغل بالفلسفة والكيمياء , ثم اشتهر بالتاريخ والآداب , له عدة مؤلفات منها , تجارب الأمم , تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق , ترتيب السعادات . للمزيد من المعلومات انظر : الزركلي , خير الدين بن محمود محمد بن علي بن فارس , الزركلي الدمشقي (ت 1396 هـ / 1976م) , الأعلام , 21 جزء , ط15 , دار العلم للملايين , بيروت , 2002 . الجزء1 , ص 211 , 212 . سيشار له لاحقًا : الزركلي , الأعلام.

143 ابن الأثير , أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت 630 هـ / 1232 م) , الملقب بعز الدين , كان إمامًا في حفظ الحديث ومعرفته , حافظًا للتواريخ وخبيرًا بأنساب العرب وأخبارهم وأيامهم ووقائعهم , من مؤلفاته الكامل في التاريخ . للمزيد من المعلومات انظر : ابن خلكان , وفيات الأعيان , الجزء3 , ص 348 - 349 .

144 مسكويه , تجارب الأمم , الجزء 5 , ص 281 . ابن الأثير , الكامل في التاريخ , الجزء7 , ص 210 - 211 .

145 الأصفهاني , محمد بن محمد صفي الدين الأصفهاني (ت 579 هـ / 1200 م) , مؤرخ , عالم بالأدب , من كبار الكتاب , له عدة كتب منها خريدة القصر السيل على الذيل , دولة آل سلجوق . للمزيد من المعلومات انظر : الزركلي , الأعلام , الجزء7 , ص 26 - 27 .

146 ابن العديم , كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي (ت 660 هـ /1216م) , يقال عنه مهووس بحلب , من كتبه بغية الطلب في تاريخ حلب , زبدة الحلب من تاريخ حلب . للمزيد من المعلومات انظر : الزركلي , الأعلام , الجزء 4 , ص 105 - 107 .

147 السلاجقة : هم قوم أصلهم من الترك , كانوا يخدمون مع ملوك الترك , وهم ثلاث فروع : فرع العجم وهم الذين استولوا على العراق والجزيرة , والشام والحجاز , واليمن , وفرع الروم أي أسيا الصغرى , وفرع كرمان . للمزيد من المعلومات انظر : ابن طقطقى , الفخري , ص 292 - 293 .

148 نظام الملك الطوسي , أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس , الملقب بنظام الملك قوام الدين الطوسي , كان من أولاد الدهاقين , اشتغل بالحديث والفقه , , لقب بتاج الحضرتين لأنه وزير لسلطانين , ومنح من دار الخلافة لقب نظام الدين. للمزيد من المعلومات انظر: ابن خلكان , وفيات الأعيان , الجزء2 , ص 128 - 131 . الطوسي , نظام الملك , سير الملوك أو سياست نامة , ترجمة: يوسف بكار , مكتبة الأسرة الأردنية , عمان , 2012 م , 18 - 20 . سيشار له لاحقًا : الطوسي , سياست نامة .

149 الأصفهاني , عماد الدين محمد (ت 597 هـ / 1200م) , تاريخ دولة آل سلجوق , ط1, (د.ن) , بيروت , 2004 م. ص 60 . سيشار له لاحقًا : الأصفهاني , تاريخ آل سلجوق . ابن العديم , بغية الطلب من تاريخ حلب , ص 90 .

150 يُعد كتاب سير الملوك أو سياست نامة من الكتب التي ألفت بناءًا على رغبة السلطان , فهو يضم عصارة فكر الوزير نظام المُلك وتجاربه في الحياة , يقع الكتاب في خمسين فصلا يتناول فيه أمور الحكم والإدارة , وهو بمثابة الدستور للدولة إذ يقول " لقد اتخذت هذا الكتاب إمامًا لي , وعليه سأسير " . للمزيد من المعلومات انظر : الطوسي , سياست نامة , ص 27 - 28 .

151 المرجع نفسه , ص 34 .

أما بولياك (Poliak) فيقول أن جذور الإقطاع العسكري بدأت في المؤتمرات التركية , ويري أن الغزنويين هم من بدؤوا الإقطاع العسكري ثم انتقل إلي السلاجقة [152] , وهو يتفق في ذلك مع بوزوت (Bosworth) الذي يرى أن الإقطاع العسكري ظهر عند الغزنويين على اعتبار أنهم أول من دفع للجند أعطيات بدل النقد , ومن ثم انتقل الإقطاع إلي السلاجقة [153].

أما كلود كاهن (Claude Cahen) فيرى أن جذور الإقطاع العسكري تعود إلي أواسط القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي , أي قبل ظهور البويهيين ؛ فالعهد البويهي يمثل أوج التطور الذي بدأ بالتفوق العسكري [154] . في حين تختلف آن لامبتون (Ann K.S Lambtn) التي تذهب إلي إن الإقطاع العسكري بدأ أيام البويهيون في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي , عندما تزايدت الجاحة إلي الأموال في هذه الأوضاع التي تشهد تبدلات اقتصادية كبيرة [155] , وهي بذلك تتفق مع عبد العزيز الدوري الذي يرى أن الخط الذي سار عليه البويهيون يمثل بداية مرحلة الإقطاع العسكري , إذ أنهم انطلقوا من نظرتهم القبلية للأرض وإنهم اعتبروا الأرض المفتوحة هي غنيمة للفاتحين متجاهلين بذلك المفهوم الإسلامي وهذا هو التحول الهام في مفهوم الإقطاع , وهذا الإقطاع الذي أتمه وعممه السلاجقة من بعدهم [156] . لا يختلف إبراهيم طرخان عن ذلك إذ يذكر أن نظام الملك الطوسي لم يبتكر هذا النظام ـ الإقطاع العسكري ـ وإنما سبقه إليه بنو جلدته من البويهيين [157] .

وعلى الأرجح الإقطاع بدأ بدخول البويهيين بغداد وما كانوا يحملونه من إرث حضاري متخلف منطلق من نظرتهم القبلية للأرض , وجهلهم بشؤون الزراعة مما أثر سلبًا على الحياة الاقتصادية , ومن ثم انتقل هذا النظام إلى السلاجقة فعمموه وأدخلوا عليه بعض التنظيمات.

وبناء على ذلك فقد سار الإقطاع مع بداية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي بخط ثاني مختلف عما كان عليه في الفترة السابقة [158] ؛ إذ ظهر ما يعرف بالإقطاع العسكري ـ إقطاع الاستغلال ـ كما يسميه الماوردي [159] (ت 450 هـ / 1058 م) إذ يرى أن " ...أهل الجيش هم أحق الناس بجواز الإقطاع لأن لهم أرزاقًا مقدرة تصرف لهم عند الاستحقاق لأنها تعويض عما أرصدوا نفوسهم له من حماية البيضة والذب عن الحريم ... " [160] , إذ يقوم الإقطاع

---

[152] الدوري , نشأة الإقطاع , ص 258 .

[153] نفس المرجع , ص 258 .

[154] كاهن ,كلود , تطور الإقطاع الإسلامي ما بين القرنين التاسع والثالث عشر , ترجمة : جورج كتورة , مجلة الاجتهاد , ع 1 , بيروت , 1988 م , ص 206 ـ 209 . سيشار له لاحقًا : كاهن , تطور الإقطاع .

[155] لامبتون, نظرات , ص 270 .

[156] الدوري , نشأة الإقطاع , ص 258 .

[157] طرخان , النظم الإقطاعية , ص 21 .

[158] القلقشندي , صبح الأعشى , الجزء 2 , ص 154 . بوزورث , التنظيم العسكري عند البويهيين في العراق وإيران , ترجمة : عبد الجبار , مجلة المورد , مجلد 4 , ع1/ 2 , 1975 م , ص 120 .

[159] الماوردي , أبو الحسن علي بن محمد بن حسين البصري (ت 450 هـ / 1058 م) , من فقهاء المذهب الشافعي , كان إمامًا في الفقه والأصول والتفسير , ألمّ باللغة العربية , لقب بأقضى القضاة سنة (429 هـ / 1037 م) . للمزيد من المعلومات انظر : ابن خلكان , وفيات الأعيان , الجزء2 , ص 114 - 116 .

العسكري على إقطاع القواد والجند مساحات من الأراضي مقابل تقديم الخدمة الحربية , وعلى القائد تحصيل ضرائب وتوزيعها على أجناده , وقد لجأت الخلافة إلي هذا الإجراء نتيجة لفراغ بيت المال من الأموال لسد رواتب القواد والجنود .

أسباب ظهور الإقطاع العسكري

وساعد ظهور الإقطاع العسكري في حدوث عدة تغيرات على الخلافة العباسية ؛ تمثلت في تغير العلاقة التي كانت تربط الخليفة بالإدارة , فالخليفة العباسي أصبح مجرد ألعوبة بيد الأمراء البويهيين لدرجة أنه أصبح يتقاضى راتبًا شهري من الأمير معز الدولة والذي تحول ليصير إقطاعًا [161] , ويصف ابن مسكويه (ت 421 هـ / 1030 م) الأوضاع السائدة بقوله " وفي هذه السنة أفرط الغلاء حتى عدم الناس الخبز البتة وأكل الناس الموتى والحشيش والجيف ... " , وفي ظل هذا الارتباك الذي تعاني منه الدولة ثار الجند على معز الدولة البويهي مطالبين بمرتباتهم , والتي لم يجد معز الدولة بدًا من إقطاعهم إقطاعات بدلاً من الدفع النقدي [162] " وفي هذه السنة شغب الديلم على معز الدولة شغبًا قبيحًا وكاشفوه بالإسماع وخرقوا عليه بالسفه فضمن إطلاق أموالهم في مدة ضربها لهم فاضطرَّ إلي ضبط الناس واستخراج الأموال من غير وجوهها ... " [163] .

وحاول بعض الأمراء البويهيين وضع بعض الحلول الاقتصادية الأنية في نظام الري والزراعة وإصلاح القنوات وسد البثوق للتغلب على مشكلة الفيضانات [164]؛ فمعز الدولة حاول استصلاح السواد فكلف أبا الفرج بن هشام سنة (334 هـ / 945 م) بأمر ضياع الخراب بالسواد , واهتم بتحسين طرق الجباية في البصرة [165] , كما عمل على الموازنة بين السنة الخراجية والسنة الهلالية [166] مراعاة لأحوال الفلاحين , وشجعهم على الزراعة . [167]

وقام معز الدولة بسد البثوق سنة (334 هـ / 946 م) ويصف ذلك مسكويه (ت 421 هـ / 1030 م) قائلاً " فلما سد بثوقها عمرت بغداد وبيع الخبز النقي بدرهم ... " [168] , كما أمر بحفر القنوات وإصلاح السواد . [169]

---

160 الماوردي , الأحكام السلطانية , ص 253 - 254 .

161 لما افتتح معز الدولة البصرة قطع عن الخليفة ـ الراضي ـ الألفي درهم التي كان يقيمها له في كل يوم لنفقته , وعوضه عنها ضياعًا من ضياع البصرة وغيرها . للمزيد من المعلومات انظر : ابن الجوزي , المنتظم , الجزء 14 , ص 64 .

162 آ آشتور , التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى , ترجمة : عبد الهادي عبله , دار قتيبة , دمشق , 1985 م , ص 230 . سيشار له لاحقًا : آشتور , التاريخ الاقتصادي .

163 مسكويه , تجارب الأمم , الجزء5 , ص 281 .

164 نفس المصدر , الجزء 5 , ص 30 .

165 نفس المصدر , الجزء5 , ص 296 - 297 .

166 تقوم هذه الطريقة على اعتبار كل 33 سنة قمرية معادلة لـ 32 سنة شمسية . للمزيد من المعلومات انظر :الدوري , تاريخ العراق الاقتصادي , هامش رقم 165, ص 63 .

167 مسكويه , تجارب الأمم , الجزء2 , ص 189

168 نفس المصدر , الجزء 5 , ص 189 .

169 نفس المصدر , الجزء 5 , ص 189 .

, وعندما تولي عضد الدولة السلطة 367 -372 هـ/977 -982م حاول القيام ببعض الإصلاحات فشيد السد العظيم في مدينة شيراز[170] بفارس , وسهل السهيلة الواقع بالقرب من مدينة النهروان كما أعاد حفر الأنهار [171] , " أعاد إصلاح القنوات التي أصابها الخراب في السواد , كما اهتم بالريّ ووضع الحراس عليها . وضع طريقة منتظمة للجباية أمضيت في عهده للرعية الرسوم الصحيحة وحذفت عنها الزيادات والتأويلات , وأخر موعد الخراج إلى النوروز المعتضدي ليناسب موسم نضوج المحصول " [172] . ويلخص كلود كاهن هذه أعمال بقوله " ... شمل آلى بويه بعنايتهم جميع البلدان , وحققوا في بلاد فارس أعمالاً في التنمية والاستثمار لم يسبق لها مثيل ... " [173] .

وكان من المفروض على المقطع دفع مبلغ مالي أو ما يعادله من المحصول لخزينة الدولة , كما كان عليه العناية بالقنوات المارة بإقطاعه , والقيام بأعمال الريّ والصيانة والاستصلاح , في حين تشرف دواوين الدولة على الجباية [174] ؛ ولكن لم تطبق هذه الإجراءات ؛ فالجندي البويهي لا يمتلك خبرات زراعية تؤهله للتعمير والتطوير والعيش فوق إقطاعه , يضاف إلى ذلك نظرته للأرض على أنها مصدر للمال ؛ لهذا لم يهتم بها , وعين وكلاء عنه لأدارتها ومطالبتهم بالعبرة [175] , فقام هؤلاء بأعمال الظلم والعسف بالفلاحين [176] , فأدى ذلك إلى تدهور الزراعة وخراب الاقطاعات , وبهذا يعود الجندي للدولة لتعويضه بإقطاع جديد ـ عدم وجود ثبات في الإقطاع أي التغير مستمر ـ إذ يدعي أن إقطاعه لم يعُدْ صالحًا للزراعة [177] .

---

170 شيراز : قصبة إقليم فارس , يوجد بها الدواوين والإمارة . وهي مدينة حديثة العهد بالإسلام , للمزيد من المعلومات انظر : الإصطخري , أبو إسحاق بن محمد (توفي القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) , المسالك والممالك , تحقيق : محمد جابر عبد العال , (د , ن) , القاهرة , 1961 م , ص 68. سيشار له لاحقًا : الإصطخري , المسالك والممالك .

171 العبادي , أحمد مختار , في التاريخ العباسي والفاطمي , مؤسسة شباب الجامعة , الإسكندرية , 1993 م , ص 167 - 170 سيشار له لاحقًا : العبادي , التاريخ العباسي . الزواهرة , عمر خلف عبد الحسن , العراق خلال عهد عضد الدولة البويهي"367 -372 هـ / 978 - 983 م" , رسالة ماجستير غير منشورة , جامعة آل البيت , المفرق , 2010 م, ص 41 .

172 الدوري , تاريخ العراق , ص 67 .

173 كاهن , تطور الإقطاع , ص 218 . أبو شجاع , محمد بن الحسين بن محمد بن عبد الله الروذراوري (ت 884هـ / 1095 م) , ذيل كتاب تجارب الأمم , تحقيق : أبو القاسم أمامي , ط1 , دار الكتب العلمية , بيروت , 2003م , ص 138 . سيشار له لاحقًا : ابن شجاع , ذيل تجارب الأمم .

174 منيمة , حسن , نشوء الإقطاع في الإسلام , مجلة الاجتهاد , ع1 , دار الاجتهاد , بيروت , 1988 م , ص 303 . أبو دمعة , أمين , الإقطاع العسكري في العهد البويهي , دراسات تاريخية , ع29 - 30 , 1988 م , ص 213 . سيشار له لاحقًا : أبو دمعة , الإقطاع العسكري .

175 العبرة : هي نوع من أنواع الضرائب التي عرفها البويهيين . وهي أن يؤخذ معدل الوارد لسنتين عدة من سنين الرخاء والقلة . للمزيد من المعلومات انظر : الدوري , تاريخ العراق , ص 42 . أبو الجدايل , عائشة , الإقطاع الحربي , مجلة العصور , مجلد15 , الجزء1 , لندن , بريطانيا , 2005 م , ص 42 .

176 القلقشندي , صبح الأعشى , الجزء2 , ص 248 . مسكويه , تجارب الأمم , الجزء5 , ص 290 . لامبتون , نظرات , ص 283 . طرخان , النظم , ص 23.

177 مسكويه , تجارب الأمم , الجزء5, ص 285 . العريني , السيد الباز , الإقطاع في الشرق الأوسط من القرن السابع حتى القرن الثالث عشر الميلادي , حوليات كلية الآداب , ع 4 , جامعة عين شمس , مصرــ

وزاد الأمر سوءًا تعرض الفلاحين للظلم والاستبداد ؛ فلم يجد الفلاح بدًا من طلب الحماية من القادة والجند , فوضع أملاكه تحت تصرفهم , بل أن هناك من هرب وترك أرضه [178] . ويوضح ابن مسكويه ذلك بقوله " فسدت المشارب , وبطلت المصالح , وأتت الجوائح على (الفلاحين) ورقت أحوالهم , فمن بين هارب جال , وبين مظلوم صابر لا يُنصف , وبين مستريح إلى تسليم ضيعته إلى المقطع ليأمن شره ويوافقه فبطلت العمارات " [179] . فأدى ذلك إلى تقلص وتفتيت أملاك الفلاحين وانتقال ملكية مساحات من الأراضي إلى القادة والجنود " فملكوا البلاد واستعبدوا الناس ... " [180] .

كما منحت إقطاعات بالضمان [181]" فبطل أن ترفع الدواوين ... واقتصر في محاسبة الضمناء على ذكر أصول العقد وما صح منه وبقي من غير تفتيش وما عوملت به الرعية وأجريت عليه أحوالها من جور أو نصفة من غير إشراف على احتراس من الخراب أو خراب يعاد إلى العمارة ... وجبايات تحدث على غير رسم ومصادرات وترفع على محض الظلم وإضافات إلى الارتفاع ليست بعبرة وحسبانات في النفقات ... " [182] يتضح من النص منع الإدارة المركزية من مراقبة المقطعين , ويضاف لذلك استحداث رسوم جديدة إضافة إلى مصادرة أملاك الفلاحين , خير دليل على ذلك " حصول أبو القاسم البريدي على ضمان مدينة واسط [183] , ودفع ناصر الدولة الحمداني ما يقارب (8000) درهم عن البلاد [184] .

لم يكتف الأمراء البويهيون عند ذلك , بل توسعوا في منح الإقطاعات لخواصهم والقادة الأتراك , وأدى ذلك إلى نشوء نوع من عدم الرضى من قبل الديالمة ؛ فابن مسكويه يشير إلى ذلك " ... فتعذر عليه أن يدخر ذخيرة لنوائبه أو أن يستفضل شيئًا من ارتفاع ولم تزل مؤونته تزيد وموارده تنقص حتى حصل عليه عجز لم يكن واقفًا على حد منه بل يتضاعف تضاعفًا متفاقمًا , وأدى ذلك على مر السنين إلى الإخلال بالديلم فيما يستحقون من أموالهم وداخلتهم

ـــ1985 م , ص 131 . سيشار له لاحقًا : العريني , الإقطاع في الشرق الأوسط . كاهن , تطور الإقطاع , ص 268 . أشتور, التاريخ الاقتصادي , ص 231 .

[178] الدوري , مقدمة , ص 87 . خليل , الإقطاع الشرقي , ص 164 . منيمة , نشوء الإقطاع , ص 303 .

[179] مسكويه , تجارب الأمم , الجزء 5 , ص 293 .

[180] نفس المصدر , الجزء 5, ص 1290 - 291 .

[181] 181 الضمان : طريقة لجباية الضريبة أخذت بالظهور في العصر العباسي الثاني , يتعهد الضامن بأن يدفع مبلغًا معينًا للخزينة سنويًا مقابل السماح له بجباية ما يمكنه تحصليه من القرية أو الولاية النى يتضمنها . وفي العهد البويهي لم يعد هناك فرق بين الضمان والإقطاع ؛ لأنه أصبح يعطى لكبار القواد والجند ولكبار الموظفين المدنيين . للمزيد من المعلومات انظر : زيدان , جرجي , تاريخ التمدن الإسلامي , تعليق : حسين مؤنس ,5أجزاء ,دار الهلال, القاهرة , 1972 م , الجزء1 , 224 . سيشار له لاحقًا : زيدان , التمدن الإسلامي . مسكويه , تجارب الأمم , الجزء5 , ص 283 .

[182] نفس المصدر , الجزء 5 , ص 283 .

[183] واسط : سميت بهذا الاسم لتوسطها بين الكوفة والبصرة والأهواز , تبعد عن كل مدينة خمسين فرسخًا . لمزيد من المعلومات انظر , البلاذري , فتوح البلدان , ص 477 .

[184] أبي شجاع , ذيل تجارب الأمم , ص 140 . خليل , فؤاد , الإقطاع الشرقي : بين علاقات الملكية ونظام التوزيع , دار المنتخب العربي , (د.م) , (د.ت) , ص 164 - 165 . سيشار له لاحقًا : خليل , الإقطاع الشرقي .

المنافسة للأتراك من أجل تحسين أحوالهم ... " [185] . وهذا ما يفسر ثورات الجند المتكررة على الدولة , ونختم حديثنا عن الإقطاع البويهي ببعض الاستنتاجات .

استنتاجات حول الإقطاع البويهي :-

1/ التوسع في منح الإقطاعات العسكرية , والتوسل بها لغرض استرضاء الأنصار وخشية الخروج عليهم .

2/ خراب قسم كبير من الإقطاعات ؛ لأن الجند لم يكن يهمهم شي سوي جمع أكبر قدر ممكن من الأموال دون مراعاة الأرض , إذ وضعوا وكلاء عنهم لإدارة إقطاعاتهم , وطلبوا استبدال إقطاعاتهم بأخرى .

3/ سوء أحوال الفلاحين , بسبب الظلم والعسف .

4/ ارتفاع الأسعار وقلت الواردات .

5/ انتشار الفوضى وانحطاط عمارة الإقطاعات .

6/ اختفاء بعض المصطلحات منها المقاسمة , الإيغار , الطعمة , التسويغ .

أحوال الخلافة العباسية خلال العصر السلجوقي [186] :

تضافرت عدة عوامل مهَّدت الطريق لدخول السلاجقة وسيطرتهم على قلب الخلافة العباسية ؛ التي كانت تئن تحت وطأة البويهيون الشيعة [187] الذين كانوا في أواخر أيامهم , حيث اتصف أميرهم الملك الرحيم بن أبي كاليجار [188] ـ حاكم كرمان , وفارس , وخوزستان [189] ,

---

[185] مسكويه , تجارب الأمم , الجزء 5 , ص 283 .

[186] للمزيد من المعلومات انظر الملحق رقم 8 .

[187] الشيعة : هم الذين شايعوا علي بن أبي طالب ـ رضوان الله عليه ـ وقالوا بخلافته وإمامته نصًا ووصية , وقالوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده . لمزيد من المعلومات انظر : متز , أدم , تاريخ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري , تحقيق : محمد عبد الهادي أبو ريدة , مجلدان , جزآن , القاهرة 1991م , مجلد2 , ص 119 ـ 141 . سيشار له لاحقًا : متز , الحضارة الإسلامية . الحفنى , عبد المنعم , موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية , ط1 , دار الرشد , القاهرة , 1993 م , ص 265 ـ 267 .

[188] الملك الرحيم بن أبي كاليجار : الملك أبو نصر , خسرو ابن الملك أبي كاليجار ابن الملك سلطان الدولة ابن بهاء الدولة ابن عضد الدولة ابن ركن الدولة ابن بويه . يُعد أخر ملوك بني بويه . للمزيد من المعلومات انظر : ابن الأثير , الكامل في التاريخ , الجزء 9 , ص 573 ـ 575 .الذهبي , سير أعلام النبلاء ,الجزء 18 , ص 120 . ابن خلدون , تاريخ ابن خلدون , الجزء 3 , 459 ـ 460 . ابن العماد , شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن الحنبلي الدمشقي (ت1089هـ/1601م) , شذرات الذهب في أخبار من ذهب , تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط , 4أجزاء, ط1 , دار ابن كثير , دمشق , 1989 م , الجزء3 , ص 289 .سيشار له لاحقًا : ابن العماد , شذرات .

[189] خوزستان : بضم أوه , وبعد الواو الساكنة زاي , وسين مهملة , وتاء مثناه من فوق , وآخره نون , وهو أسم لجميع بلاد الخور المذكورة قبل هذا واستان كالنسبة في كلام الفرس ومعناها بلاد الخور . للمزيد من المعلومات انظر : الحموي , معجم البلدان , مجلد2 , ص 404 ـ 405 .

والعراق , وعُمان [190] بالضعف وقلة الحيلة , ممهدا الطريق لدخول السلاجقة , الذين قبضوا عليه وسجنوه في الري إلى أن توفى بسجنه سنة 467هـ/1055 م [191] .

وقضى السلاجقة على نائب الخليفة العباسي القائم بأمر الله 422-467هـ/ 1030-1074م [192] أبا الحارث البساسيري [193] ـ أحد غلمان بهاء الدولة [194] ورئيس جند الأتراك ـ الذي ساعد الأمير البويهي جلال الدولة أبا الطاهر [195] سنة 416 - 435 هـ / 1025 - 1043 م على توطيد حكمه في الأنبار, كما أنه خرج عن طاعة الخليفة العباسي سنة 446 هـ / 1054 م وأتصل سرًا بالفاطميين [196] الشيعة بمصر؛ بهدف القضاء على الخليفة العباسي وعلى الأمير البويهي ؛ إذ بدأ في تنفيذ هدفه فاتجه إلى الموصل ([197]) وهزم صاحبها قريش العقيلي ,

---

190 عمان : بضم أوله وتخفيف ثانية وآخره نون , أسم كورة عربية على ساحل بحر اليمن والهند . للمزيد من المعلومات انظر : الحموي , معجم البلدان , مجلد 4 , ص 150 - 154 .

191 الأصفهاني , تاريخ أل سلجوق , ص 10 . طقوش , محمد سهيل , تاريخ السلاجقة في بلاد الشام (471-511هـ /1078-1117م) , ط3 , دار النفائس , بيروت , 2009 م , ص 50 - 52 . سيشار له لاحقًا : طقوش , تاريخ السلاجقة .

192 القائم بأمر لله : أبو جعفر عبد الله بن القادر بالله أحمد بن إسحاق بن المقتدر جعفر العباسي البغدادي . للمزيد من المعلومات انظر : ابن طقطقا , الآداب السلطانية , ص 250 . ابن الجوزي , المنتظم , الجزء8 , ص 58 . ابن الأثير , الكامل , الجزء9 , ص 417- 422 .ابن العماد , شذرات , الجزء 3 , ص 326 - 327.

193 البساسيري :ـ هو أبو الحارث أرسلان بن عبد الله البساسيري التركي , وقيل أبو المنصور البساسيري مقدم الأتراك ببغداد , والبساسيري بفتح الباء والسين المهملة نسبة إلى بلدة بفارس أسمها بسا و العرب تسميها فسا, والنسبة إليها بالعربية فسر ويقال لها بالفارسية بساسيري . للمزيد من المعلومات انظر : السمعاني , أبي سعد عبد الكريم بم محمد بن منصور التميمي (ت 562 هـ / 116 م) , الأنساب , تعليق : عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني , 12جزء , ط2, مكتبة ابن تيمية , القاهرة , 1980 م , الجزء2 , ص 203 - 204 . سيشار له لاحقًا : السمعاني , الأنساب . ابن خلكان , وفيات الأعيان , الجزء1 , ص 192 .الذهبي , سير أعلام النبلاء , الجزء18 , ص 132 - 133 .

194 بهاء الدولة : أبو نصر ـ أحمد بن عضد الدولة بن بويه , ملك العراق وكان خاضعًا للسلطان محمود بن سبكتكين , توفي سنة (403 هـ / 1012 م) . للمزيد من المعلومات انظر : الذهبي , سير أعلام النبلاء , الجزء17 , ص 185 , 186 .

195 جلال الدولة : أبا الطاهر , حاكم العراق , هو فيروزجرد بن الملك بهاء الدولة أبي نصر بن السلطان عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه . للمزيد من المعلومات انظر : ابن الأثير , الكامل , الجزء 9 , ص 361 , 366 , 409 , 510 , 517 . الذهبي , سير أعلام النبلاء , الجزء 17 , ص 577 - 578 . ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , الجزء5 , ص 38 .ابن العماد , شذرات , الجزء3 , ص 255 .

196 الدولة الفاطمية : هي إحدى دول الخلافة الإسلامية , وهي الدولة الوحيدة التي اتخذت المذهب الشيعي الإسماعلي مذهبًا لها , تنسب هذه الدولة إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق , أسسها عُبيد الله المهدي بالله.ظهرت هذه الدولة في المهدية بتونس سنة (300هـ /912م) ثم انتقلت إلى المنصورة بمصر سنة (358هـ/969 م) فبنو القاهرة جوار الفسطاط التي جعلوها عاصمة لهم . للمزيد من المعلومات انظر: ابن الأثير , الكامل , الجزء7 , ص 333 . المقريزي, تقي الدين أحمد بن علي (ت 845 هـ / 1331 م) , الخطط , تحقيق : زينهم و مديحة الشرقاوي , 3أجزاء , مكتبة مدبولي , القاهرة , 1998م , الجزء1 , ص 402 - 404 . سيشار له لاحقًا : المقريزي , الخطط . ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , الجزء 4 , ص 9 , 13 , 165.

197 الموصل : بالفتح , وكسر الصاد : المدينة المشهورة العظيمة , إحدى قواعد بلاد الإسلام , وسميت الموصل لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق , وقيل وصلت بين دجلة والفرات . للمزيد من المعلومات انظر : الحموي , معجم البلدان , مجلد 5 , ص 450 - 453 . البغدادي , المراصد , الجزء 3 , ص 333 - 334 .

وقتلميش [198] ولكنه سرعان ما لاذ بالفرار بعد سماعه عودة طغرل بك [199] من بغداد وفي هذه الأثناء اتجه البساسيري إلى بغداد سنة 450هـ/1058م وسرعان ما أزال اسم الخليفة من الخطبة ودعا لحيفه المستنصر بالله الفاطمي [200] 487هـ/1094م , فلم يكتمل هدفه لدخول طغرل بك بغداد وقتله سنة 451هـ/1059م [201]. وبذا أعاد طغرل بك الخليفة العباسي إلى مكانه بعدما أبعد عنه ليسقط الخليفة اسم الأمير البويهي الرحيم من الخطبة , وبهذا تكون نهاية الدولة البويهية في بغداد التي استمرت لأكثر من قرن من الزمن [202] .

وكان هدف طغرل بك السلجوقي هو توحيد المشرق الإسلامي الممتد من بلاد ما وراء النهر إلى شرق البحر المتوسط , ولذلك تقدم نحو ديار بكر [203] والتي كانت تحت حكم بني مروان [204] منذ سنة 380هـ/990م الذين دخلوا في طاعته , لينتقل من بعدها طغرل بك إلى الموصل الواقعة تحت حكم الأمراء العقيليين[205] منذ سنة (386هـ/996م) أبناء عمومته. أما آذربيجان فكانت تحت حكم الروادنيين الذين قدموا الولاء والطاعة للسلاجقة [206] .

وكانت هناك عدة أمارات مستقلة أو شبه مستقلة عن جسم الدولة العباسية منها الإمارة الغزنوية [207](351-583هـ/962-1186م) في خراسان بقيادة السلطان مسعود [208] إذ هزموه

---

198 قتلميش : ابن إسرائيل بن سلجوق بن دقاق , الملك شهاب الدولة التركماني السلجوقي , صاحب قلاع بالعراق . للمزيد من المعلومات انظر : الذهبي , سير أعلام النبلاء , الجزء 18 , ص 112 .

199 طغرل بك : بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة , وضم الراء وسكون اللام , وفتح الباء الموحدة , وبعدها كاف , وهو أسم علم تركي مركب من طغرل وهو أسم علم بلغة الترك لطائر معروف عندهم , وبه سمي الرجل , وبك معناها الأمير .

وهو طغرل بك ابن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق الملقب بركن الدولة , أبو طالب (ت 455 هـ /1063 م) مؤسس دولة السلاجقة . للمزيد من المعلومات انظر : الصفدي , الوافي بالوفيات , الجزء 5 , ص 63 -78 . ابن خلكان , وفيات الأعيان , الجزء5 , ص 63 - 78 . الذهبي , سير أعلام النبلاء , الجزء 18 , ص107 -112 . ابن العماد , شذرات , الجزء 3 , ص 293 - 296 .

200 المتنتصر بالله الفاطمي : معد بن الظاهر بن الحاكم بأمر الله , ولد سنة(420هـ/1029م) , اسمترت خلافته حوالي ستين عامًا (428-487هـ/1036-1094م), وحدث في خلافته قحط شديد لمصر امتد لما يقارب سبع سنوات . للمزيد من المعلومات انظر : ابن خلكان , وفيات الأعيان , الجزء5 ,ص 229 - 230 .

201 السمعاني , الأنساب ,الجزء2 , ص 203 - 208 . الذهبي , سير أعلام النبلاء , الجزء 18 , ص 133 , 134 . حلمي , التاريخ , ص 29 . طقوش , تاريخ السلاجقة , ص 55 - 58 .

202 ابن الأثير , الكامل , الجزء 10 , ص 241 - 242 . حلمي , التاريخ , ص 32.

203 ديار بكر : وهي بلاد واسعة تنسب إلي بكر بن وائل , وحدُّها ما غرّب من دجلة إلى بلاد الجبل المطل على نصبين إلى دجلة ومنه حصن كيفا وآمد وميافارقين , وقد يتجاوز دجلة , وما تخلل ذلك من البلاد لا يتجاوز السهل . للمزيد من المعلومات انظر : الحموي , معجم البلدان , مجلد 2 , ص 494 . البغدادي , مراصد , الجزء2 , ص 547 .

204 بنو مروان : قبيلة كردية . للمزيد من المعلومات انظر: ابن لعبون , حمد بن محمد بن لعبون الوائلي الحنبلي النتجدي (ت 1260 هـ / 1844 م) , تاريخ ابن لعبون ,ط2 , مكتبة المدني , السعودية , 1408 هـ , ص 55 -58 . سيشار له لاحقًا : ابن لعبون , تاريخ .

205 الأمراء العقيليون : هم بنو عامر بن عوف بن مالك بن عوف , كان من رؤساءهم المقلد وقريش وابنه مسلم . للمزيد من المعلومات انظر : ابن لعبون , تاريخ , ص 33 - 35 .

206 ابن الجوزي , المنتظم , الجزء 8 , ص 163 . أبو النصر , محمد عبد العظيم يوسف , السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري , ط1 , عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية , مصر , 2003 م , ص 20 - 25

207 الإمارة الغزنوية : قامت هذه الدولة في بلاد الأفغان والبنجاب وهي وليدة الدولة السامانية , يُعد الأمير إبراهيم بن ألبتكين (352هـ/ 963م) مؤسس هذه الإمارة وهو مملوك من مماليك السامانيين الذين تدرجوا في

سنة (429 هـ/1037م) وأقاموا على أنقاض دولته دولة سلجوقية اعترفت بها الخلافة العباسية [209], الإمارة الغورية(543-612هـ/1148-1215م)[210], وبعد ذلك تمكنوا بوصفهم سنيين من بسط نفوذهم على (إيران , العراق , أسيا الصغرى , وأكثر أجزاء بلاد الشام , اليمن) [211] .

واتخذ السلاجقة من الإقطاع العسكري نظامًا لهم يهدف لتحقيق جملة من الأهداف هي :

أ ـ اتساع حدود الدولة مما ترتب عليه صعوبة تحصيل الأموال منها .

ب ـ زيادة الدخل الخزينة العامة للدولة , وإنعاش الاقتصاد .

ج ـ الاحتفاظ بالجيش الذي أساسه القبائل التركية ذات الطبيعة المتنقلة وتوطينهم , وربطهم بالأرض وترغيبهم على الاستقرار , واستغلال الأرض وزراعتها [212] , وهذا ما يفسر رغبته في عمارة الأرض والمحافظة عليها .

د ـ تجهيز الجند من قبل الأمراء المقطعين ليكونوا جاهزين في حالة الحاجة لهم [213] . وخير مثال على ذلك طلب السلطان بركياروق[214]سنة (491هـ/1097م) من الأمراء الخروج بعساكرهم لحرب الصليبين, لم يرفض أحد من الأمراء بل تقدم سيف الدولة وأرسل جنده إلى

الرقي إلى أن بلغوا مرتبة الإمارة , حكمت هذه الإمارة بلاد خراسان وولاية غزنة التي نسب إليها الغزنويون . للمزيد من المعلومات انظر : الصلابي , علي محمد محمد , دولة السلاجقة , مؤسسة اقرأ , القاهرة ,2006 م , ص 25 ـ 29 . سيشار له لاحقًا : الصلابي , دولة السلاجقة.

208 السلطان مسعود : بن محمود بن سبكتكين , من ملوك الدولة الغزنوية , ولد في غزنة , وتولي السلطنة بعد وفاة والده سنة (422 هـ / 1020 م) , حكم خراسان , وكرمان , وبلاد الجبل , والري , وأصبهان , والهند , توفي سنة (432هـ/ 1040 م) . للمزيد من المعلومات انظر: ابن الأثير , الكامل , الجزء9 , ص 138 - 150 . الأصفهاني , آل سلجوق , ص 15 . الصلابي , دولة السلاجقة , ص 23 - 25 .

209 حسنين , عبد المنعم , سلاجقة إيران والعراق , ط2 , مكتبة النهضة المصرية , الإسكندرية , 1970 م , ص 27 . سيشار له لاحقًا : حسنين , سلاجقة.

210 الإمارة الغورية : تنسب إلى قبيلة الشنسباني , ينتسبون إلى أحد أجدادهم وهو أحد أولاد الضحاك بطل الشاهنامة , تنحدر هذه القبيلة من الجبال الواقعة وسط أفغانستان , تولوا إمارة غزنة من قبل الغزنويين وأسسوا دولة مستقلة لهم اتخذت من فيروزكوة عاصمة لها . للمزيد من المعلومات انظر : بروكلمان , كارل , تاريخ الشعوب الإسلامية , ترجمة: نبيه أمين فارس , ط5 , دار العلم للملايين , بيروت , 1968 م , 197 - 201 . سيشار له لاحقًا : بروكلمان , تاريخ .

211 اليمن : بالتحريك , قيل سميت باليمن لتيامنهم لما تفرقت العرب من مكة , كما سميت بالشام , لأخذهم الشمال , والبحر محيط بأرض اليمن من الشرق إلى الجنوب , ثم راجعًا إلى الغرب . للمزيد من المعلومات انظر : الحموي , معجم البلدان , مجلد 5 , ص 515 - 516 . البغدادي , مراصد , الجزء 3 , ص 1483 .

212 الأصفهاني , دولة أل سلجوق , ص55 -56 .خرابشة , سليمان , الإقطاع السلجوقي في بلاد الشام , دراسات العلوم الإنسانية , مجلد 22 (أ) , ع6 , 1995 م , ص 3418 . سيشار له لاحقًا : خرابشة , الإقطاع السلجوقي .

213 ابن الأثير , الكامل , الجزء8 , ص 186 - 187 . طرخان , النظم , ص 14 .

214 بركياروق : هو ابن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي , أبو المظفر , ركن الدولة , حكم بعد أبيه , وناب عنه أخاه سنجر على خراسان . للمزيد من المعلومات انظر : الصفدي , الوافي بالوفيات ـــ ـــالجزء10 , ص 121- 122 . ابن خلكان , وفيات الأعيان , الجزء1 , ص 268 -269 . الذهبي , سير أعلام النبلاء , الجزء 19 , ص 195 - 196 . ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , الجزء 5 , ص 191 . ابن العماد , شذرات , الجزء3 , ص407- 408 .

الأنبار , كما توجه كربوقا لبلاد الشام , وأقام معسكرًا في مرج دابق , وهناك انضم إليه دقاق بن تتش وطغتكين [215] وأرسلان تاتش صاحب سنجار [216] وغيرهم [217] .

و ـ تطبيق الحكم اللامركزي من خلال تخفيف بعض المتاعب الحربية والإدارية عن الحكومة المركزية ؛ إذ أصبحت بعض الإقطاعات أتابكية مستقلة تنظم أمور أموالها , وتصد الاعتداءات التي تتعرض لها .

وعندما دخل السلاجقة بغداد وجدوا نظام الإقطاع العسكري البويهي قائمًا والذي أدى إلى خراب قسم كبير من الأراضي الزراعية وإفلاس بيت المال كما سبق أن أسلفنا , وكنتيجة لهذه الأوضاع المتردية وضخامة الجيش السلجوقي الذي تألف من (46) ألف جندي من عناصر عديدة منها الأتراك [218] , والخوارزميين [219] , والغزنويون , والتركمان [220] , وأبناء بعض القبائل العربية من أهالي الشام , والديلم, والخراسانيين [221] , والمماليك [222] , والأكراد [223]

---

215 طغتيكين : من أمراء السلطان تتش بن ألب أرسلان السلجوقي ,أبو المنصور طغتيكين الأتابك ,أصبح مقدم عسكر السلطان دقاق , ثم حكم من بعده . لقب بظهير الدين . للمزيد من المعلومات انظر : ابن الأثير , الكامل , الجزء 10 , ص 37 , 248 ,389 , 394 ,400 , 487 , 497 , 503 , 543 , 587 , 652 . الذهبي , سير أعلام النبلاء , الجزء 19 , ص 519 - 521 . ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , الجزء 5 , ص 235 . ابن العماد , شذرات , الجزء 4 , ص 65 - 66 .

216 سنجار : بالكسر , ثم السكون , ثم الجيم , وآخره راء ,: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة , في لحف جبل عالٍ , ويقولون : سفينة نوح ـ عليه السلام ـ لما مرت به نطحته , فقال نوح : هذا سن جبل جار علينا , فسميت سنجار .للمزيج من المعلومات انظر : الحموي , معجم البلدان , مجلد 3 , ص 262 - 263 . البغدادي , مراصد , الجزء 2 , ص 743 .

217 ابن الأثير , الكامل , الجزء 8 , ص 187 - 189 . طرخان , النظم , ص 14 .

218 الأتراك :قوم نشؤوا بين سكان التبت والصين في الشرق والجنس الأسيوي القديم في الشمال والشعوب الفنلادية الأوغرية في الغرب , وهي منطقة سهول سيبريا الشمالية الواسعة والبوادي الواقعة بين بحر الخرز وجبال الكاي .استقر الأتراك في مناطق تركستان وظهرت منهم قبيلة قنق الذين ظهر منهم السلاجقة بعد الإسلام . للمزيد من المعلومات انظر: بروكلمان , تاريخ , ص 214 - 260 .

219 الخوارزميين : عنصر بشري من الجنس التركي , وهم سكان إقليم خوارزم . ومن الشرق بلا ما وراء النهر , ومن الشمال الترك ويعود أصلهم إلى جماعة من الأتراك قدر عددهم (400) شخص .للمزيد من المعلومات انظر : الشرمان , أحمد سليم شحادة , الجيش السلجوقي , رسالة ماجستير منشورة , جامعة اليرموك , 1987 م , ص 24 - 25 .

220 التركمان : قبائل تركية الأصل تجتمع حول رئيسها , ظهروا في أسيا الوسطى أو فيما يعرف ما وراء بحر قزوين, منذ عهود قديمة . للمزيد من المعلومات انظر : الحسيني , صدر الدين بن علي (ت 622هـ 1226م), أخبار الدولة السلجوقية , تر: محمد إقبال , لاهور, (د .م) , 1932 , ص 194. سيشار له لاحقًا : الحسيني , أخبار الدولة السلاجقة .

221 الخراسانيون : نسبة إلى خراسان , أي بلاد الشمس المشرق , وهذا مصطلح فارسي مركب من "خر" بمعنى شمس و"أسان" بمعنى مشرق . للمزيد من المعلومات انظر : ابن الجوزي , المنتظم , الجزء15 , ص 277 ,الجزء16 , ص 191 . ابن الأثير , الكامل , الجزء 8 ,ص 89,198 .

222 المماليك : وهم خليط من عدة أجناس مختلفة , منهم الأتراك واليونان . للمزيد من المعلومات انظر : لامبتون , الإقطاع , ص 228 .

223 الأكراد : ينتسبون إلى إيران بن أشور بن سام بن نوح , ويتفرعون لعدة قبائل منها على الكورانية بنوكوران , الهذبانية , البشنوية , السرلجية ...ألخ .للمزيد من المعلومات انظر : القلقشندي , صبح الأعشى , الجزء 1 , ص 369 .

, والأرمن [224] الشبانكارنين [225], إضافة لذلك كان هناك جيش خاص بالسلطان يسمى العسكر وهو يتألف من أربعة الآف رجل وهؤلاء تمركزوا في القصر حيث كانت أسماؤهم تسجل في الديوان [226] , ولهذا اعتمد السلاجقة على الإقطاع العسكري كبديل للرواتب ,فكلود كاهن يذكر أن راتب الجندي المجهز تجهيزًا كاملاً يتراوح ما بين 1000 - 1250 دينار في السنة [227] , في حين يشير ياقوت الحموي [228] (ت 626 هـ/ 1063 م) إلى رواتب القادة والأمراء بما يتراوح بين 20,000 - 50,000 دينار في السنة [229] , ولعل نظرة السلاجقة القبلية للأرض على اعتبارها ملكية مشتركة وما قاموا به من تطوير وفق للمفاهيم الإيرانية المحلية التي ساعدت على تطبيق هذا النظام والذي دخل في بلدان لم يدخلها من قبل منها خراسان [230].

يعتبر نظام الملك وزير السلطان آلب آرسلان و والد السلطان ملكشاه(457 - 465 هـ / 1065 - 1072 م)[231] أول من عمم الإقطاع العسكري السلجوقي ؛ حيث قام بتوزيع الأراضي على الجند على هيئة إقطاعات , لأنه رأى أن الأموال لا تحصل من البلاد لاختلالها , ولا يصح منها ارتفاع لاعتلالها , ففرقها على الأجناد إقطاعًا وجعلها لهم حاصلاً وارتفاعًا[232],ولعل خير دليل على ذلك إشارة المقريزي(ت845هـ/1441 م) " ... وأعلم أنه كانت عادة الخلفاء من بني أمية وبني العباس والفاطميين منذ عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - (ت23هـ/643م) أن تجبى أموال الخراج ثم تفرق في الأمراء أو العمال أو الأجناد وعلى

---

224 الأرمن : ظهروا في عهد السلطان ملكشاه سنة 465هـ/1072م . للمزيد من المعلومات نظر : الحسيني , أخبار دولة السلاجقة , ص50.

225 الشبانكارنين : نسبة إلى قبلة شبانكارة التي انسلخت من فارس من أيام السيادة المغولية وتألفت منها حكومة قائمة بنفسها , استولت على القسم الشرقي من إقليم فارس منذ منتصف القرن الخامس إلي منتصف القرن الثامن الهجريين . وردت عند ابن الأثير (الشوالكاره) . للمزيد من المعلومات انظر : ابن الأثير , الكامل , الجزء 101 , ص 302 . لسترنج , كي , بلدان الخلافة الشرقية , ترجمة :بشير فرنسيس وكوركيس عواد , ط2 , مؤسسة الرسالة , بيروت , 1985 م, ص 355 . الجالودي عليان عبد الفتاح , قواعد الحكم في سلطنة آل سلجوق من خلال كتاب (سياست نامه) للوزير السلجوقي نظام الملك الطوسي , المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية , مجلد 5 , ع1 , 2009 م , هامش رقم 104 , ص 22 . سيشار له لاحقًا : الجالودي , قواعد الحكم .

226 الجالودي , قواعد الحكم , ص13 . خليل , الإقطاع الشرقي , ص 170. طرخان , النظم , ص 55 - 56.

227 كاهن , تطور الإقطاع , ص 207 .

228 ياقوت الحموي : هو ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي الملقب بشهاب الدين , يُعد من أبرز الجغرافيين العرب (ت626هـ/ 1229 م) , امتاز بدقة ملاحظته وسعة نظره. اهتم بالأدب والجغرافيا والتاريخ واللغة والنحو , ومن مؤلفاته : معجم الأدباء , ومعجم البلدان , والمقتضب في كتاب جمهرة النسب , وأخبار أهل الملل والنحل . للمزيد من المعلومات أنظر : ابن خلكان , وفيات الأعيان , الجزء 6 , ص 127 . الذهبي , سير أعلام النبلاء ,الجزء 22 , ص 312 . ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , الجزء 5 , ص 543 .

229 الحموي , معجم الأدباء , الجزء 6 , ص 246 .

230 الطوسي , سياست نامة , ص 67 . حلمي , السلاجقة , ص 201 . الدوري , مقدمة , ص 95 . خرابشة , الإقطاع السلجوقي , ص 3422 .

231 ألب أرسلان : بفتح الهمزة وسكون اللام وبعدها باء موحدة . محمد بن جغري بيك داود بن ميكائيل بن سلجوق بن تقاق ابن سلجوق , التركماني الغزي . وهو أسم تركي, لقب بعضد الدولة أبو شجاع . للمزيد من المعلومات انظر : الصفدي , الوافي بالوفيات , الجزء 2 , ص 308 - 309 . ابن الأثير , الكامل , الجزء 10 , ص 64, 67 , 73 , 75 . ابن خلكان , وفيات الأعيان , الجزء 5 , ص 69 -71 . الذهبي , سير أعلام النبلاء , ج18 , ص 414 - 418 . ابن العماد , شذرات , الجزء 3 , 318 - 319 .

232 الأصفهاني , أل سلجوق , ص55 - 56 . كاهن , تطر الإقطاع , ص 219.

قدرتهم وبحسب مقاديرهم , وكان يقال لذلك في صدر الإسلام العطاء ومازال هذا الأمر على ذلك إلى أن كانت دولة العجم , فغُيِّر هذا الرسم . وذلك لأن مملكة نظام الملك اتسعت فرأى أن يسلم كل مقطع قرية أو أكثر على قدر طاقته ... " [233] .

وهذا يعني أن الإقطاعات من أراضي الخراج إذ خصص ريعها على الجيش أما رقبة الأرض فأنها تبقى ملكًا لبيت المال [234] , أي أن الإقطاع كان إقطاع استغلال [235] .

سياسة نظام الملك في توزيع الإقطاعات :-

بعدما تولي نظام الملك الوزارة للمرة الثانية في عهد ملكشاه السلجوقي , أعاد النظر في النظام المالي ؛ إذ وجد عجزًا كبيرًا في الخزينة بسبب الحروب المتلاحقة وخراب الأراضي وفي هذه الحالة لا يجوز فرض الضرائب على الرعية لأن الأرض بور؛ فاستبدل نظام العطاء (الرواتب) بالإقطاع العسكري[236] , ويشير السبكى (ت 771هـ/ 1369م)[237] للنجاح الذي حققه نظام الإقطاع في عهد نظام الملك في تحقيق الأهداف المرجوة منه " ففعل ذلك فكان سببًا في عمارة البلاد وكثرة الغلات فتناقله الملوك بعده " [238] .

وضع نظام الملك إجراءات وتعليمات لحماية الفلاحين وعقوبات تسجل في حال قيام المقطعين بالقسوة على الزراع , فدعا إلى النظر في أحوال الرعية - الفلاحين - ولأجل ذلك أرسل مندوبين عنه لكل الإقطاعات المتفرقة في كل المناطق الخاضعة للسيطرة السلجوقية , لمراقبة أحوال أهل المدن والأرياف والتأكد من عمارة الأرض وكشف الخراب الذي لحق بها , والوقوف على طرق تعامل المقطعين مع الزراع وهذه المهمة تستغرق { شهرًا } تقريبًا دون علم المقطعين , ثم العودة للسلطان محملين هذه السجلات [239] .

وفي ذلك يورد نظام الملك في كتابه سياست نامه " ليعلم المستقطعون أن لا شأن لهم على الرعايا سوى تحصيل الأموال المستحقة عليهم بالحسنى على أن يكونوا بعد ذلك آمنين على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأبنائهم وضياعهم وما يملكون , دون أن يكون لأصحاب الإقطاعات عليهم من سبيل أو يمنعوهم من الذهاب إلى القصر لبسط أحوالهم بأنفسهم إذا رغبوا ذلك ... "

---

233 المقريزي , الخطط , الجزء 1 , ص 153 , 154 .
234 خرابشة , الإقطاع السلجوقي , ص 3420 .
235 طرخان , النظم , ص 22 .
236 محمود إسماعيل , الإقطاع , ص 9 - 10 .
237 السبكى : هو تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن تقى الدين أبي الحسن علي بن زين الدين عبد الكافي بن ضياء الدين الشافعي الأنصاري , نسبته سبك لأحد القرى من أعمال المنوفية بمصر وكانت تمسى "سبك العبيد وسبك العويضات " , أشهر مؤلفاته قواعد الدين وعمدة الموحدين , أوضح المسالك في المناسك , طبقات الشافعية الكبرى . للمزيد من المعلومات انظر : ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , الجزء1 , ص108 . ابن العماد , شذرات الذهب , الجزء 6 , ص 126 , 153 , 200-201 .
238 المقريزي , الخطط , الجزء 1 , ص 95 . الحسيني , أخبار الدولة السلجوقية , ص 154 .
239 الطوسي , سياست نامه , ص 170 . المقريزي , الخطط , الجزء1 , ص95 .

[240] . كما سعى نظام الملك إلى معرفة عدد الجند الموجودين في الإقطاع , لذا قال " ... في حال غياب أحد الجند لموته أو لأي سبب آخر , أن يعلنوا ذلك ولا يخفوه " [241] .

وطبق نظام الملك إجراء يقتضي توزيع إقطاع الجندي الواحد في عدة مناطق تابعة للسيطرة السلجوقية ؛ لاعتقاده أن ذلك لا يُكَوِّنْ عصبة للجندي وبالتالي يمنع الخطر عن الدولة [242] . وقد أكد البنداري(ت586هـ/1190م)[243] ذلك بقوله " ربما قرر لواحد من الجند ألف دينار في السنة فوجه نصفه على بلاد الروم ,ونصفه الآخر على أقصى خراسان , وصاحب الإقطاع راض" [244] , وليس ذلك فحسب بل سعى إلى تغيير العمال والمقطعين كل سنتين أو ثلاث سنوات [245] .

كما حدد نظام الملك الالتزامات الرئيسة للمقطعين تمثلت في تقديم عصمة ولاياتهم , وإحضار العسكر للدولة عند الحاجة لهم ـ قد سبق الإشارة إلى ذلك عند الحديث عن هدف الإقطاع ـ فإذ لم يقم المقطع بذلك يؤخذ منه إقطاعه , كما كان عليه واجب الحفاظ على الأمن داخل إقطاعه ـ أي في حالة حدوث خلاف بين الفلاحين ـ ويضاف إلى ذلك كان عليه بعض الالتزامات المالية إذ توجب عليه دفع مبلغ سنوي للسلطان شريطة أن ينضوي هو وعدد من جنده تحت لوائه عندما يخوض السلطان حربًا , فكان يجهز جنده بالمؤونة والعتاد على نفقته الخاصة , الالتزامات التي يقوم بها المقطع بعد أداء يمين الولاء للسلطان أو للوزير [246] .

إلا أن هذه المحاولات الإصلاحية التي جعلها نظام الملك دستورًا في الدولة السجلوقية لم تأتِ بالنفع الكبير إذ لم يراع الإقطاعيون حقوق الرعية من خلال فرض الضرائب الباهظة التي أثقلت كاهل الرعية [247] .

وأدت التعديلات التي أجراها نظام الملك على الإقطاع إلى تنظيمه وشموله ـ كل أفراد الجيش السلجوقي ـ وهو بذلك يكون عكس الإقطاع البويهي الذي لم يشمل كل الجنود ـ ؛ لهذا نرى حرص المقطعين على تحسين وتنظيم إقطاعاتهم لغرض الاستفادة منها أولاً , وحتى لا يتم إبعادهم عنها ثانيًا , حيث كانوا مهددين بالإقصاء في حالة خرابها أو عدم التزامهم بالشروط المفروضة عليهم , فكانوا يذكرون اسم السلطان في الخطبة فضلاً عن إرسال الخيل والقماش والأطعمة التي ينتجها إقطاعهم , وتوجب عليهم أيضا مد السلطة بالأموال عند تولي سلطان جديد أو ولي عهد جديد [248] .

---

[240] الطوسي , سياست نامه, ص 70 .

[241] نفس المصدر , ص 137 .

[242] ابن الأثير , الكامل , الجزء 10 , ص 224 . خرابشة , الإقطاع السلجوقي , ص 3421 .

[243] البنداري : الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني , مترجم الشاهنامه , هو شاعر وأديب بالعربية والفارسية , أهم كتبه تاريخ بغداد , وزبدة النصرة , وتاريخ دولة آل سلجوق . للمزيد من المعلومات انظر :الزركلي , الأعلام , الجزء 3 ,ص 312 -313 .

[244] البنداري , آل سلجوق , ص 55 - 56 .

[245] الطوسي , سياست نامة , ص 76 . أشتور , التاريخ , ص 276 .

[246] الطوسي , ساست نامه , ص 76 . أبو نصر , السلاجقة , ص 382 . طرخان , النظم , ص 184 .

[247] ابن القلانسي , ذيل , ص 180 . ابن الأثير , الكامل , الجزء 10 , ص 103 .

[248] الأصفهاني , آل سلجوق , ص 60 . الرواندي , راحة الصدور , ص 202-203 .

وتمتع المقطع ببعض الالتزامات منها إدارية تمثلت في حق الإشراف على الإقطاع , أي له حق الحكم على الولاية , ومالية تمثلت في حق جمع الضرائب من الفلاحين , أما الحقوق الأدبية , فجاءت في لغة المخاطبة في الرسائل والخطب, وتعيين من يراه مناسبًا لشغل وظائف إدارية في الإقطاع , فضلاً عن السماح له بقرع الطبول لتذكيره بوقت الصلاة [249] . كما حق للمقطع مصاهرة السلطان وهذا أعلى شرف يناله المقطع وقد تم ذلك في سنة 469هـ /1076م في عهد السلطان ملكشاه الذي زوَّج أخته خاتون زليخة لمحمد بن مسلم بن قريش العقيلي[250] , فضلاً عن إقطاعه إقطاعات واسعة شملت الموصل ـ الرحبة وأعمالها [251] ـ حران[252]ـ الرقة[253]ـ سروج[254] ـ الخابور[255] .

على الرغم من شدة مراقبة المقطعين إلا أنهم في أواخر عهد السلطة السلجوقية سعوا إلى تحويل إقطاعاتهم إلى وراثية [256] . فكان المقطعون يقيمون في المدن تاركين إدارة إقطاعهم للوكلاء , فأصبحت حرية الزراع محدودة في الغالب لأنهم تحت تصرف الوكلاء الذين لم يكن همهم سوى جمع الأموال بأي طريقة كانت [257] .

وعرف السلاجقة نظام الإلجاء والذي ظهر كنتيجة لسياسة المقطعين اتجاه الفلاحين والزراع , والتي تمثلت في إجبار الفلاحين على دفع رسوم إضافية والقيام بأعمال السخرة التي كانت ترهق الفلاحين , وكنتيجة لكل ذلك اضطر الفلاح إلى إلجاء أرضه إلى القادة العسكريين لطلب الحماية , وهذا أدى إلى توسيع ملكيات القادة وتقلص ملكيات الفلاحين أي الملكيات الصغيرة , وقد اعترفت الدولة السلجوقية بهذه التطورات في أواخر عصرها ؛ إذ أصبح الإقطاع وراثيًا وتمتع المقطعين بسلطة شاملة على الفلاحين [258] .

---

[249] الأصفهاني , آل سلجوق , ص 60 - 61 . خرابشة , الإقطاع , ص 3420. أبو النصر , السلاجقة , ص 383. طرخان , النظم , ص 22 . الجالودي , عليان عبد الفتاح , تطور السلطنة وعلاقتها بالخلافة خلال العصر السلجوقي "447 -590 هـ / 1055 -1193 م" , رسالة دكتوراه غير منشورة , الجامعة الأردنية , عمان , 1997 م .

[250] مسلم بن قريش العقيلي : الهوازني من كبار العقيليين , أمير حلب والموصل , قضى على بني مرداس أصحاب الموصل .للمزيد من المعلومات انظر : ابن الأثير , الكامل , الجزء 8 , ص 225 .

[251] الرحبة : بضم أوله وسكون ثانيه , قرية بحذاء القادسية على مرحلة من الكوفة . للمزيد من المعلومات انظر : الحموي , معجم البلدان , مجلد3 , ص33.

[252] حرّان : بتشديد الراء , وأخره نون , قصبة ديار مضر على طريق الموصل والشام والروم . للمزيد من المعلومات انظر: الحموي , معجم البلدان , مجلد 2 ,ص235 .

[253] الرقة : بفتح أوله وثانيه , مدينة مشهورة على الفرات الشرقي .للمزيد من المعلومات انظر: الحموي , معجم البلدان , مجلد 3 , ص59.

[254] سروج : بفتح أوله من السرج , هي بلدة قريبة من حران ومن ديار مضر . للمزيد من المعلومات انظر : الحموي , معجم البلدان , مجلد 3 ,ص216 -217 .

[255] خابور : بعد الألف باء موحدة , وأخره راء , وهي الأرض الرخوة ذات الحجارة . للمزيد من المعلومات انظر: الحموي , معجم البلدان , مجلد 2 , ص 334 -335 .

[256] الدوري , مقدمة ,ص 95 - 97 . خرابشة , الإقطاع السلجوقي , ص 3421 .

[257] حلمي , أحمد كمال الدين , السلاجقة في التاريخ والحضارة , دار البحوث العلمية , الكويت , 1975 م , ص 201 . الأصفهاني , أل سلجوق , ص 66 .

[258] الدوري , نشأة الإقطاع , ص 263 . لامبتون , نظرات في الإقطاع , ص 285 . خرابشة , الإقطاع السلجوقي , ص 3419 .

وعرف السلاجقة نظام الضمان والذي هدفوا من ورائه الحصول على مبلغ من المال , وذلك عن طريق تضمين أحد أتباعهم مدينة أو ولاية معينة وهناك أمثلة عديدة لذلك نذكر منها زمن طغرل بك ؛ فقد قام عميد الملك الكندري[259] وزير طغرل بك سنة (448هـ/1056م) بتضمين البصرة والأحواز [260] لهزارسب بن بنكير مقابل ثلاثمائة وستين ألف دينار في السنة [261] , كما ضمن طغرل بك سنة (451 هـ / 1059 م) مدينة واسط لأبي علي فضلان مقابل مئتي ألف دينار [262] .

ضمن طغرل بك مدينة بغداد سنة (452هـ/1060م) للمظفر بن الحسين مقابل أربعمائة ألف دينار لمدة ثلاث سنوات , وفي سنة (455هـ/1063م) ضمن طغرل بك بغداد لأبي سعد القايني بمائة وخمسين ألف دينار [263] . وفي عهد ملكشاه استمر التضمين ؛ إذ ضمن مدينة حلب [264] سنة (472هـ/1079م) لمسلم بن قريش العقيلي بمبلغ ثلاثمائة ألف دينار في السنة [265] .

الإقطاع في ظل الأتابكيات السلجوقية :

الأتابك : لفظ تركي يتألف من مقطعين (أتا) وتعني الأب , و(بك) تعني الأمير أو الشيخ , الأتابك : اصطلاحًا تعني الأمير الوالد أو مربو أبناء السلاطين [266] , هي نظام عسكري إداري ظهر في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ـ في أواخر عهد السلاجقة ـ إذ اعتمد على المماليك الذين كانوا نواة الجيش السلجوقي وتحصلوا على الإقطاعات في فارس , والجزيرة , والشام , وسرعان ما اتخذ هؤلاء مجموعة من الجند لخدمتهم بذا أصبحت هذه الأتابكيات تحكم نفسها بنفسها بتفويض من السلطان , غير أن أصحابها لم يلبثوا حتى أصبحوا أصحاب نفوذ وسلطان في تلك الإقطاعات,ومن هنا أصبحت هذه الأتابكيات شبه مستقلة عن

---

[259] عميد الملك الكندري : أبو نصر منصور بن محمد الكندري , وقيل : محمد بن منصور بن محمد الكندري , الوزير السلطان طغرل بك ثم للسلطان ألب أرسلان , سمى بالكندري نسبة إلى كندر قرية قريبة من قزوين , وقيل سمى بذلك نسبة إلى بيع الكندر , تلقب بسيد الوزراء إضافة إلى عميد الملك (ت 456هـ /1063م). للمزيد من المعلومات انظر : السمعاني , الأنساب , الجزء1 , ص 383 - 484 . ابن خلكان , وفيات الأعيان , الجزء5 , ص 138 - 143 . الذهبي , سير أعلام النبلاء ,الجزء18 , ص113 - 115 . ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , الجزء5 , ص 76 . ابن العماد , شذرات , الجزء3 , ص 361 - 304 .

[260] الأحواز : بالزاء , من نواحي بغداد جهة النهروان . للمزيد من المعلومات انظر : الحموي , معجم البلدان , مجلد 1 , ص 117 . البغدادي , مراصد , الجزء1 , ص 38 .

[261] كاهن , تطور الإقطاع , ص 220 .

[262] الأصفهاني, آل سلجوق , ص60 . الدوري , نشأة الإقطاع , ص 253 . آن لامبتون , الإقطاع , ص 287.

[263] الراوندي , محمد بن علي بن سليمان (ت 599 هـ / 1202م) راحة الصدور وأية السرور , ترجمة : إبراهيم أمين الشواربي وآخرون , (د.م) , القاهرة , 1960 م , ص 254 . سيشار له لاحقًا الراوندي , راحة الصدور . الأصفهاني , آل سلجوق , 80.

[264] حلب : بالتحريك , مدينة مشهورة بالشام , واسعة كثيرة الخيرات , طيبة الهواء , وهي قصبة جن قنسرين ,وسميت حلب , لأن إبراهيم ـ عليه السلام ـ كان نازلاً بها يحلب غنمه في الجماعات ويتصدق به , فيقول الفقراء : حلب . للمزيد من المعلومات انظر: الحموي , مجلد2 , ص 282 - 290 . البغدادي , مراصد , الجزء2 , ص 417 .

[265] أبو نصر , السلاجقة , ص 354 . حلمي , السلاجقة , ص 248 .

[266] ابن الأثير , الكامل , الجزء10 , ص 79 -80 .الراوندي , راحة الصدور , ص140 . القلقشندي , صبح الأعشي , الجزء 4 , ص 18 .

جسم الدولة [267] , وحولوها إلى وراثية , وسميت بأسمائهم منها مثلاً :أتابكية نظام الملك , أتابكة طغتكين , أتابكة الأرتق [268] [269] . قوة جديدة وسعى الأتابكة إلى زيادة رقعة إقطاعاتهم على حساب بعضهم البعض وهذا أدى بمرور الزمن إلى تفتت الدولة إلى إمارات صغيرة متناحرة فيما بينها , والتي مهدت الطريق لدخول المغول وسيطرتهم على بلاد ما وراء النهر , والعراق , وأذربيجان , وفارس وغيرها .

ولعل شهر تلك الأتابكيات هي : أتابكية دمشق والتي أسسها البوريون وأسس هذه الأتابكية طغتكين مملوك تتش بن ألب أرسلان , وكان أتابكًا للأمير دقاق بن تتش على ولاية دمشق والتي حكمها سنة (500هـ/1106م) , ونتيجة لما تمتع به طغتكين من نفوذ قام بمنح العديد من الأمراء إقطاعات منها : إقطاع الأمير الأصفهيد التركماني سنة (500هـ/1106م) منطقة وادي موسي , والجبال , والبلقاء [270] .

سار أبناء وأحفاد طغتكين على نفس نهج أبيهم , وخير دليل ما قام به الأمير شهاب الدين محمود بن تاج الملوك صاحب دمشق إذ أخذ حمص من الأمير صمصام الدولة خير خان بن قراجا [271] , لم يستمر الحال كثير إذ تقدم نور الدين زنكي سنة (549هـ/1154م) واستولى عليها [272] .

أتابكية بلاد الشام وأسسها عماد الدين زنكي بن اقسنقر [273] , عمل على تثبيت قواعد مملكته في حلب والموصل والجزيرة من خلال حصوله على تفويض من السلطان محمود السلجوقي يمنحه أقطاعًا أوسع وذلك نظير قيام بمواجهة الصليبين , إذ تم له ذلك وزاد إقطاع ليضم الجزيرة وحمص ومنبج وبعلبك , ليعد بذلك النواة الأولي لتكوين دولته الجديدة ([274]) .

تمتع عماد الدين بنوع ممن الاستقرار , والنفوذ إذ قام بمنح الإقطاعات للأمراء والقادة العسكريين الذين قاموا بإدارة ولاياتهم نيابة عن عماد الدين , ومن هنا نلاحظ الخطر الذي تشكله الأتابكيات على الدولة ومقدار النفوذ الذي تتمتع به [275] .

---

[267] أشتور , التاريخ , ص 213 -214 . رباح , تاريخ المشرق , ص 235 - 236 . كاهن , تاريخ , 246 - 247 .

[268] الأرتق : هو الأمير أرتق بن أكسب جد الملوك الأرتقية , تركماني الأصل , سيطر على حلوان والجبل , ثم توجه سنة (448 هـ/1056م) للشام , وملك القدس بتفويض من السلطان تاج الدولة تتش السلجوقي . للمزيد من المعلومات انظر : ابن الأثير : الكامل , الجزء8 , ص160.ابن خلكان , وفيات الأعيان , الجزء1 , ص191 .

[269] الراوندي , راحة الصدور, ص 140 . حلمي , السلاجقة , ص 147 - 149 .

[270] الشيال , جمال الدين , تاريخ الدولة العباسية , دار الفكر العربي , القاهرة , 1993 م, ص 87 .

[271] خرابشة , الإقطاع السلجوقي , ص 3429 .

[272] ابن الأثير , الباهر , ص188 -191 .

[273] قسيم الدولة : أبو الفتح أقسنقر التركي الحاجب , مملوك السلطان ملكشاه السلجوقي , وهو جد نور الدين زنكي . للمزيد من المعلومات انظر: ابن خلكان , وفيات الأعيان , الجزء1 , ص214 .

[274] ابن الأثير , الكامل , الجزء 10 , ص 650-658,663. ابن العديم , زبدة الحلب , الجزء2 , ص 243.

[275] المقريزي , تقي الدين أحمد بن علي (ت845هـ/1331م) , السلوك لمعرفة دول الملوك , تحقيق : محمد حلمي محمد , الجزء1 , لجنة إحياء التراث الإسلامي , القاهرة , 1973 م , ص 158 - 160 . سيشار له لاحقًا : المقريزي , السلوك .

أتابكية سنجار وأسسها عماد الدين زنكي بن قطب الدين مودود سنة 566هـ/1170م , ولكنها لم تستمر طويلاً إذ استولى عليها الأيوبيون سنة 617هـ/1220م [276] .

أتابكية أربيل وأسس هذه الأتابكية بنو بكتكين [277] الذي حكم الموصل نائبًا عن عماد الدين زنكي , وسرعان ما استولى على سنجار وحرّان وتكريت وأربل بعد وفاة عماد الدين زنكي , جعل أربل مقر حكمه. وبعد وفاته سنة 563هـ/1168م استولى ابنه الأكبر مظفر الدين كوكبري على حرّان وابنه الأصغر زين الدين يوسف أخذ أربل , وانحاز ابنه بكتكين إلى صلاح الدين الأيوبي , في حربه ضد الزنكيين [278] .

أتابكية أذربيجان أسس هذه الأتابكية ايلدكز , وكان أحد عبيد السلطان مسعود السلجوقي , ترقي يلدكز في خدمة السلطان حتى نال على مناصب عليا في الدولة , نتيجة لما أظهره من شجاعة ولباقة جعلت السلطان يوليه منطقة أذربيجان , فتمتع بالقوة والنفوذ حتى بلغ إقطاعه مكران . ولكن خلفاءه لم يكونوا بدرجة نفوذه وقوته الأمر الذي أثر سلبًا على نفوذ الذي تقلص ليشمل أذربيجان وهنا قضى عليهم جلال الدين منكبرتى [279] .

أتابكية كرمان مؤسس هذه الأتابكية بُراك بن حاجب أحد قادة دولة المغول , الذين دخلوا في خدمة خوارزم شاه في كرمان سنة 619هـ /1222م , بقيت هذه الأتابكية خاضعة للخوارزميين في عهد جلال الدين منكبرتي , تم خضعت لإيلخانات فارس حتى انتهت [280] .

ويضاف إلي هذه لأتابكيات أتابكية لورستان , أتابكية ديار بكر, أتابكية أرمينية , أتابكية الجزيرة , أتابكية فارس . وهذه الأتابكيات كانت تتوسع وتتقلص بسبب المنازعات بين سلاطين السلاجقة من جهة وبين مؤسسيها من جهة أخري , وهذا الأمر زاد من ضعف الدولة السلجوقية.

أنواع الإقطاع السلجوقي

تنوعت الإقطاعات السلجوقية بين الإداري , والعسكري , والخاص , وكانت تمنح إما من السلطان مباشرة أو من وزيره أو نواب السلطان ومن هذه الإقطاعات :ـ

أ ـ إقطاعات البيت السلجوقي :

عمل سلاطين السلاجقة على توزيع الأراضي كإقطاعات بين أفراد البيت السلجوقي , وهذه الإقطاعات كانت منتشرة في أغلب البلاد ؛ فالسلطان طغرل بك وزع الإمارات بين إخوته وأقاربه من السلاجقة , كما سمح لهم بتملك البلاد التي يفتحونها , وقام ألب أرسلان بإقطاع أخيه سليمان بن داود بن جغرى بك بلخ , وأقطع أخيه أرسلان آرغون خوارزم , أما مرو

---

[276] ابن الأثير , الكامل , الجزء 10 , ص 248 .

[277] بكتكين : زين الدين علي بن كوجك بن بكتكين , أحد قادة عماد الدين زنكي الذي تولى الموصل . للمزيد من المعلومات انظر. ابن الأثير , الباهر , ص 321.

[278] ابن الأثير , الباهر , ص 352.

[279] ابن الأثير , الكامل , الجزء 10 , ص 301 . أمين , تاريخ العراق , ص 212 .

[280] ابن الأثير , الكامل , الجزء 10 , ص 214 .

فكان إقطاعه لأبنه أرسلان شاه , وتحصل أخوه إلياس على طخارستان , وبقشور أصبحت من نصيب مسعود بن أرتاش , في حين تولي مودود بن أرتاش ـ هما من أقارب السلطان ألب أرسلان ـ وصفت هذه الإقطاعات بإقطاعات بلدان بأكملها [281] .

وعندما تولى السلطان ملكشاه سار على نهج ألب أرسلان , فقام سنة(470هـ/ 1077 م) بتعيين سليمان بن قتلميش ابن إسرائيل [282] واليًا على قونيه, ثم توجه سليمان نحو أنطاكية والتي دخلها سنة (477هـ /1084م) فأقر ملكشاه سليمان وأبناءه من بعده على هذه المناطق [283] .

وفي السنة ذاتها أقر ملكشاه أخيه تتش على بلاد الشام , فعمل تتش حال تملكه بلاد الشام على توسيع أملاكه ؛ فأتجه إلى حلب محاولاً البدء بها غير أنه لم ينجح في ذلك , إذ استنجد به تاج الدولة [284] أمير دمشق لمساعدته في صد هجوم الفاطميين الذين سرعان ما تركوا دمشق ليدخلها تتش ويقتل أميرها سنة (471هـ/1078م) [285] , ثم تقدم تتش نحو ديار بكر ليستولى على حصن بزاغة , وألبيرة ثم قفل راجعًا إلى دمشق [286] .

لم يكتفِ تتش بما حصل عليه بل سعي لضم كل بلاد الشام تحت يده وفعلاً تم له ذلك ما بين سنتي (479-487هـ/1077-1094م) ومن هنا خضعت بلاد الشام للسلاجقة [287] , بهذا الانتصار زاد نفوذ تتش وصار يقطع الأراضي لعساكره , إذ أقطع أرتق بن أكسب التركماني سنة (479هـ/1088م) بيت المقدس وذلك تقديرًا لمساعدته في الاستيلاء على حلب من أمراء بني عقيل , والتي سبق وأن حاصرها تتش [288] .

ولكن هذه المملكة سرعان ما تفتتت عقب مقتل تتش سنة 488هـ/1098م , إذ اقتسم ولداه دقاق ـ شمس الملوك ـ حكم دمشق , ورضوان ـ فخر الملوك ـ والذي تملك حلب وأعمالها [289].

وإذا عدنا إلى ملكشاه نجد أن مملكته قُسِّمت بين أبنائه بعد مماته سنة 485هـ/1092م فبيركياروق أخذ بلاد الري , وخوزستان , وطبرستان , وفارس , وديار بكر , والجزيرة , والحرمين . في حين تملك السلطان محمد بن ملكشاه ـ الذي تولي السلطنة بعد وفاته والده ـ

---

[281] ابن الأثير , الكامل , الجزء10 , ص 19 . طرخان , النظم , ص 27. أبو نصر , السلاجقة , ص390.

[282] سليمان بن قتلميش بن إسرائيل ابن عم جغرى بك جد السلطان ملكشاه, يُعد سليمان مؤسس دولة سلاجقة الروم التي بقيت تحت حكمهم حتى سنة (700هـ/130م) . للمزيد من المعلومات انظر, حسنين , سلاجقة إيران والعراق , صر64 , هامش رقم 2 .

[283] ابن الأثير , الكامل , الجزء 10 , ص112 . حسنين , سلاجقة إيران والعراق , ص 64 -66 .

[284] المقريزي , السلوك , الجزء 1 , 165 .

[285] الأصفهاني , أل سلجوق , ص 65.

[286] ابن الأثير , الكامل , الجزء 10 , ص 111 . الراوندي , راحة الصدور , 145 .

[287] أبو نصر , السلاجقة , ص 247. حلمي , السلاجقة , ص 217 .

[288] خرابشة , الإقطاع السلجوقي , ص 3425 .

[289] نفس المرجع , ص 3425.

بغداد وأرمينية , وأصبهان , وأذربيجان , أما سنجر فكان نصيبه البلاد من خراسان إلى بلاد ما وراء النهر [290].

وبعد وفاة السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي سنة 511هـ/1117م تولى من بعده أبنه محمود الذي دخل في نزاع مع عمه سنجر الذي انتصر عليه , وعاد محمود إلى عمه فأقطعه من خراسان إلي الداروم , في حين شملت إقطاعات سنجر , وهمذان , وأصبهان , وأرمينية , والجبل , وكرمان , وخوزستان , والعراق , وديار بكر ... ألخ [291] .

ب ـ إقطاعات الأمراء :

تمثل هذا النوع من الإقطاع في قيام سلاطين السلاجقة بإقطاع الأراضي للأمراء المقربين منهم وذلك لهدف مكافأتهم على مساعدتهم للسلاطين من جهة وحماية حدود الدولة من جهة أخري ؛ فقد أقطع السلطان ألب أرسلان الأمير أتسز بن أوق التركماني منطقة الرملة وبيت المقدس ومصر التي توفي فيها [292] , كما سيطر على جنوبي بلاد الشام ثم دمشق سنة 468هـ/1076م [293] .

وعندما تولى ملكشاه السلطنة أقطع الأمير بوزان [294] الرها , وحران , وقلعة حلب [295] , كما أقطع ملكشاه الأمير أحمد بن إبراهيم بن هوزان الروادي الكردي المراغة [296] , وأقطع الأمير قايماز الأرجواني الكوفة [297] . وشمل إقطاع الأمير ياغي سيان انطاكية , أما الأمير أق سنقر الملقب بقسيم الدولة عماد الدين زنكي فأقطع حلب وأعمالها وحماه ومنبج واللاذقية , بقي في إقطاعه إلى أن قتل سنة (487هـ/1094م) [298] , يبدو أن الهدف من وراء الإقطاعين الأخرين هما الحد من تقدم تتش أخي السلطان ملكشاه الذي أصبح يشكل خطرًا كبيرًا على السلطنة .

أما بغداد فكانت من نصيب شحنة كوهرانين نظير راتبه ؛ إلا أن هذا الإقطاع كان غير ثابت بسبب المنازعات التي كانت تدور بين الطرفين , ففي سنة (469هـ/1076م) أبدل الخليفة هذا الإقطاع بمبلغ مالي مقداره ألف دينار في السنة إلا أن شحنة لم يوافق إلا بعد زيادة المبلغ إلى

---

[290] ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , الجزء 5 , ص 134-135. ابن خلون , العبر, الجزء3 , ص 490-419 . طرخان , النظم , ص 30.
[291] طرخان , النظم . ص 30 .
[292] ابن الأثير , الكامل ,الجزء 10 , ص 57 , 77 , 99 . خرابشة , الإقطاع السلجوقي , ص 3426.
[293] خرابشة , الإقطاع السلجوقي , ص 3426.
[294] بوزان : أمير تركماني ساعد تتش في صد هجوم الفاطميين بقيادة بدر الجمالي . غير أن تتش قتله سنة (487هـ/1049م) , فانظم مماليكه إلى بركياروق ابن ملكشاه وحين نازعه تتش على السلطة قتله أحد مماليك بوزان سنة (488هـ/1095م) . للمزيد من المعلومات انظر : أبو النصر , سلاجقة إيران والعراق , ص386, هامش رقم 5 . طرخان , النظم , ص 29 , هامش رقم 50 .
[295] ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , الجزء 5 , ص 125 .
[296] المراغة : أشهر مدن أذربيجان ,كانت تدعى " افرازهروز" . للمزيد من المعلومات انظر: الحموي , مجلد 5 , ص4 .
[297] ابن خلدون , العبر , الجزء 3 , ص 494 .
[298] ابن الأثير , الباهر , ص 15 . ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , الجزء 5 , ص 125 . خرابشة , الإقطاع السلجوقي , ص 3427 . طرخان , النظم , ص 51 .

ثمانمائة ألف دينار في السنة [299] . كما أقطع ملكشاه كرمان للأمير قاورد ثم لأبنائه من بعده [300] .

اقطع السلطان محمد بن ملكشاه الأمير جاولي الموصل وأعمالها إضافة إلى ماكان تحت يد جركمش , غير أن أهل الموصل لم يرضوا بتعيين جاولي عليهم وقاموا باستدعاء قليج أرسلان بن سليمان السلجوقي ليتولى إمارة الموصل , إلا أن جاولي تمكن من القضاء عليه ودخل الموصل , ولم يطل به المقام إذ أبدله السلطان محمد إقليم فارس , ليقطعها للأمير لأق سنقر البرسفي ثم استرجعها منه سنة (509هـ/1115م) , ليقطعها للأمير حبوش بك [301] .

ج ـ إقطاعات الأمراء العرب .

قام هذا النوع من الإقطاع على أبناء بعض القبائل العربية التي ساعدت السلاطين في حروبهم , أو لطلب السلاطين لولاء هذه القبائل التي كانت تشكل ثقلاً سياسيًا كبيرًا , ومن هذه الإقطاعات : إقطاع السلطان ألب أرسلان سنة (463هـ/1071م) ولاية حلب وأعمالها لمحمد بن نصر بن مرداس والذي أقطع بدوره معرة النعمان سنة (458هـ/1066م) للأمير أحمد خان التركماني [302] .

كما أقطع السلطان ملكشاه الأمير محمد بن مسلم العقيلي الموصل وحران والرحبة [303] , وأقطع سالم بن مالك قلعة جعبر[304] , بعد أن أخذ منه دمشق وحلب [305] . كما أقطع ملكشاه علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكتاني شيزر , التي انتقلت إلى ابنه بعد وفاته [306] .

ترتب على الإقطاع السلجوقي نتائج مهمة نجملها فيما يلي :

أ ـ تمكن النظام الإقطاعي السلجوقي من الحصول على الأموال اللازمة لتجهيز الجيش .

ب ـ تم تعمير الأراضي الزراعية وذلك بسبب تبعثرها في أماكن عديدة وحث المقطعون على استغلالها .

ج ـ منح إقطاعات لقادة الجيش وذلك لكسب ولائهم ولطاعتهم للدولة من خلال ذكر اسم السلطان على منابر الصلاة في يوم الجمعة .

---

[299] ابن الجوزي , المنتظم , الجزء 9 , ص 307 . أبو النصر , سلاجقة إيران والعراق , ص 387 .

[300] ابن خلدون , العبر , الجزء 5 , ص 5-6. أبو النصر , سلاجقة إيران والعراق , ص 394 .

[301] ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , الجزء 5 , ص 188 .

[302] ابن الأثير , الكامل , الجزء 10 , ص 64 . خرابشة , الإقطاع السلجوقي , ص 3436 .

[303] ابن خلدون , العبر , الجزء 4 , ص 268 . أبو النصر , سلاجقة إيران والعراق , ص386 . طرخان , النظم . ص27 .

[304] قلعة جعبر: قلعة تق على الفرات مقابل صفين , كانت تعرف بدوسر إذ ملكها رجل من بني تغلب يقال له جعبر بن مالك فغلب أسمه عليها . للمزيد من المعلومات انظر : الحموي , معجم البلدان , الجزء 4 , ص 39 .

[305] ابن خلدون , العبر , الجزء 4 , ص 268 -269 . أبو النصر , سلاجقة إيران والعراق , ص380 . طرخان , النظم , ص 27 .

[306] ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , الجزء 5 , ص 332 . ابن خلدون , العبر , الجزء 3 , ص 494 . أبو النصر , سلاجقة إيران والعراق , ص386 . طرخان , النظم , ص27 .

د ـ أدي نظام التضمين الذي اتبعه السلاجقة إلى إرهاق الفلاحين وابتزازهم بكل الطرق , لجمع الأموال التي يدفعها المقطعين نظير حصولهم على الضمان , بل وأعاد بعض المقطعين الضرائب التي ألغيت منهم أبو سعد القايتي الذي ألغي الضرائب عندما ضمن مدينة بغداد سنة (455 هـ / 1063 م) .

موازنة بين الإقطاع في الدولة البويهية و الإقطاع في الدولة السلجوقية :ـ

1/ كلتا الدولتين جاءتا متتاليتان في الحكم والزمن .

2/ حكمت الدولتين دولة الخلافة في المشرق , فسعتا إلى إقامة حكومة مستقلة مع إبقائهما على الهيبة الشرعية للخليفة ؛ إذ ذكر اسم الخليفة في الخطبة وضرب اسمه على السكة , على أن يفوض الخليفة في الحكم للسلطان .

3/ اتبع بعض سلاطينهما سياسة اقتصادية أدت إلى اعتمادهم على نظام الإقطاع العسكري الذي كان هدفه دفع رواتب الجند الذين عجزت الدولة عن دفعها .

4/ حاولت الدولتين حكم العالم الإسلامي كله , ولكن البويهيين لم يتمكنوا من ذلك إذ امتدت حدود دولتهم (العراق ـ الجزيرة ـ خورستان ـ فارس ـ كرمان ـ عُمان) , في حين تمكن السلاجقة من حكم العراق وبلاد الشام والمشرق الإسلامي إذ امتدت حدود دولتهم (إيران , العراق , أسيا الصغرى , اليمن , أكثر أجزاء بلاد الشام) .

5/ الاختلاف المذهبي بين الدوليتين جعل علاقة السلاجقة ـ في عهد السلاطين العظام ـ السنيين بالخلافة أفضل من علاقة البويهيين الشيعة بالخلافة العباسية .

6/ أدت الخلافات الداخلية إلى إنهاء حكم الدولتين[307] .

[307] رباح , التاريخ , ص 227 , 235 .

الفصـــــــل الثالث

الإقطـــــــاع الأوروبـــي :

عناصر النظام الإقطاعي

1/ طبقة السادة الإقطاعيين :-

أ ـ طبقة الملوك والنبلاء .

ب ـ طبقة رجال الكنيسة .

ج ـ طبقة الفرسان :

ج : 1- الفارس ونظام الفروسية .

ج : 2 ـ الجيش والحروب الإقطاعية .

2/ طبقة الأتباع :-

أ ـ طبقة العبيد.

ب ـ طبقة الفلاحين الأحرار .

ج ـ طبقة الأقنان أو عبيد الأرض .

3/ الأرض :-

أ ـ نظام الضياع أو القرى الإقطاعية .

ب ـ نظام الزراعة .

نظام التبعية :

الحقوق والواجبات الإقطاعية :

أ ـ واجبات السيد .

ب ـ واجبات التابع :-

أولاً : الواجبات الحربية .

ثانيًا : الواجبات الاجتماعية .

ثالثًا : الواجبات المالية :-

أ ـ الخدمات .

ب ـ المقررات (الضرائب) .

ج ـ الاحتكارات .

الملكية الفرنسة والملكية الإنجليزية :-

أ ـ الملكية الفرنسية .

ب ـ الملكية الإنجليزية .

الاقطاع في الغرب الاوروبي :

عناصر النظام الإقطاعي :

ارتكز النظام الإقطاعي في جوهره على ثلاث طبقات أساسية هي السيد (Lord) , التابع (Vassal) , الأرض ـ الإقطاع ـ (Fief) , شكلت الطبقة الأولي الهيئة الحاكمة والفئة التي تمتلك رأس المال ـ الغنية ـ والتي تشمل الملوك والبارونات (les Barons) والأدواق (les ducs) والكونتات ـ جمع كونت ـ (les comtes) أو الـڤيكونتات (les vicomtes) [308] ورجال الكنيسة والفرسان , بينما شكلت الطبقة الثانية الهيئة العاملة التي اعتمدت عليها الطبقة الأولي , في حين كانت الأرض هي قوام المجتمع الإقطاعي الذي قام في جوهره على أساس العلاقة الشخصية والاقتصادية التي ارتبطت بحيازة الأرض , وعليه فقد قامت عدة التزامات بين الطبقات .ولتوضيح ذلك يتوجب علينا التعرف على هذه العناصر ومن ثم توضيح التزاماتها.

هناك قول مشهور لدي مؤرخي العصور الوسطى حول عناصر النظام الإقطاعي يقول : بُنى المجتمع الإقطاعي على ثلاث طبقات هي : أولئك الذين يحكمون من النبلاء والفرسان , وأولئك الذين يتعبدون وهم رجال الدين , وأولئك الذين ينتجون وهم الفلاحون . [309]

1/ طبقة السادة الإقطاعين :

أ ـ طبقة الملوك والنبلاء :

اشتمل النظام الإقطاعي على سلسلة لا متناهية من التعقيدات التي رسمت العلاقات الإقطاعية , حيث جاءت على شكل هرم يضم جميع طبقات المجتمع بدءًا من الملك الذي يقف على قمته , باعتباره سيد البلاد وسيد السادة الإقطاعيين من الناحيتين النظرية والعملية , ولكنه في حقيقة الأمر لم يكن سوي سيد إقطاعي ينحصر سلطانه في أملاكه الأميرية , وعاجز عن حماية الأقاليم البعيدة عنه . [310]

وبناء على ذلك فقد انحصر دخله في ريع أراضيه , بل واضطر في كثير من الأحيان إلى التنقل من ضيعة ـ سيأتي الحديث عنها فيما بعد ـ إلى أخرى ليحصل على طعامه وشرابه هذا في حالة السلم , أما في حالة الحرب فقد كان يعتمد على المعونة العسكرية وكثيرًا ما لجأ إلى منح ضيع لبعض السادة الأقوياء ليحصل على تلك المعونة .[311]

أثرت حالة الفوضى السياسية التي ألمت بغرب أوروبا العصور الوسطى إلى تقلص نفوذ الملوك أكثر فأكثر لدرجة أن ملوك فرنسا في القرنين العاشر والحادي عشر لم يكن لهم من

---

[308] مدني , تاريخ العصور , ص 454 . انظر الملحق رقم 4 .
[309] للمزيد من المعلومات انظر الملحق رقم 9 .
[310] ترحيني , معالم التاريخ , ص 127 . انظر أيضًا :

-David , The History of , P , 36 .

[311] ديورانت , ول وايريل , قصة الحضارة , تر : محمد بدران , 15 جزء , (د , ن) , القاهرة , (د , ت) , الجزء 14 , ص 430 . سيشار له لاحقًا : ديورانت , قصة الحضارة .

الأراضي ما يؤمن به سلطانهم على كبار السادة الإقطاعيين الذين كانوا يلقبون الملك بالسيد , ولكنه في واقع الأمر لم يكن يملك من الأراضي إلا القليل بل وأقل من أملاك الكنيسة .[312]

وتسبب عجز الملوك في ازدياد نفوذ السادة الإقطاعيين الذين حملوا عدة ألقاب منها البارونات وهم أعلى مكانة في هذه الطبقة فهم ملاّك الحصون , ثم تأتي بعدهم طبقة (الأدواق , الكونتات , الماركيز) وهم يحتلون الأقسام الإدارية الكبرى في العهد الكارولنجي[313] ـ حكام الولايات ـ وتختلف درجة نفوذهم حسب مساحة الأراضي التي حصلوا عليها أو ورثوها , وهم يشكلون الطبقة الثانية في الهرم الإقطاعي .[314]

امتلك كبار السادة الإقطاعيين زمام الأمور في الدولة بحيث أصبحوا ينتخبون الملك وهذا ما حصل في فرنسا إذ اعترف ملوك آل كابيه[315] بحق السادة الإقطاعيين في انتخاب الملك , وبالتالي صار من شبه المستحيل أن يتدخل موظفو الملك في الشؤون الداخلية للإقطاعات التي يمتلكها هؤلاء , بحيث أصبح لهم موظفون خاصون بإدارة شؤون الإقطاع[316], ومن هنا تعددت صلاحياتهم داخل الإقطاعات منها :

1- سك العملة .

2- الحق في جمع الضرائب.

3- الحق في فرض ضرائب على البضائع .

4- الحق في فرض الخدمة العسكرية .

5- الحق في إقامة محاكم للفصل في القضايا التي يعرضها أتباعه , وتجب الإشارة إلى أن قضايا الإعدام كانت تعرض على الملك ليفصل فيها .

6- الحق في تحديد المكاييل والمقاييس .

7- الحق في تحديد موسم بيع الخمور .[317]

---

312 Scott , Martin , Medieval Europe , London , 1964 , P . 127 .

313 مدني , تاريخ العصور , ص 454 .

314 Strayer , Joseph , The Western Europe in middle ages , Appelon Century Crofts , Now York , 1955 , P . 60 .

315 آل كابيه : هي أسرة حكمت فرنسا لفترة طويلة استطاعت خلالها أن تمد فرنسا بسلسلة من الملوك الشرعيين أولهم الملك هيو كابت , لقد اكتسبت هذه العائلة مكانتها بفضل مقاومتها للأخطار الخارجية منها مقاومة النورمان . للمزيد من المعلومات انظر : زيادة , عالم العصور الوسطى , ص 98 , 99 . فشر , تاريخ أوروبا , ص 160 .

316 زيادة , نقولا , عالم العصور الوسطى في أوروبة , ط1 , المكتبة العصرية , فلسطين , 1947 م , ص 98 . سيشار له لاحقًا : زيادة , عالم العصور . انظر أيضًا :

- Painter , Sidney , the Rise of the Feudal Monarchies , edi ; Fourth Printing , Cornell University Press, Now York , 1959 , P . 11 – 13 .

317 ديورانت , قصة الحضارة , الجزء 14 , ص 430 . العريني , تاريخ أوربا , ص 397 . عمران , حضارة أوروبا , ص 82 . انظر أيضًا : ـــ

ومن خلال هذا الاستعراض يتضح أن كبار السادة الإقطاعيين مارسوا داخل حدود إقطاعاتهم السلطة القضائية والتشريعية والتنفيذية , أي أن كل أقطاعية كانت بمثابة دولة صغيرة . ومن هنا تفككت دول غرب أوروبا أكثر فأكثر لدرجة أن التعامل بين الإقطاعيين بات وكأنه تعامل بين دولتين .

ب ـ طبقة رجال الكنيسة :

اصطبغت الكنيسة بالدولة والحياة الاجتماعية والاقتصادية , فأصبح لها دور مميز فيها لدرجة أنها كانت تملك كلمة الفصل في أغلب القضايا , ومن هنا أضحت جزء لا يتجزأ من , مجتمع غرب أوروبا في العصور الوسطى . [318]

كانت أغلب قوانين الكنيسة مستمدة من التقاليد التي يعيش عليها الناس , فاستطاعت بذلك أن تصوغ الدين في شكل يتفق وتلك التقاليد , فعملت على حث الناس على حياة التقشف والزهد , بل أثارت الروح القتالية لهم وخاصة عندما دعت للحملات الصليبية [319] , فكانت بذلك القوة التي كادت أن تحل محل الدولة المتهاوية [320] .

ونتيجة لسيطرة الكنيسة الروحية جمعت أموالاً وأراضي كثيرة من مختلف طبقات المجتمع طلبًا للرحمة والغفران , ويضاف إلى ذلك حصلت الكنيسة على أراضي من الدولة ومن النبلاء على شكل هبات أو مساعدات ادعت أنها ضرورية لبناء صروح كنائسية وخدماتية ضخمة[321], وبذلك أضحت هي المتصرف الأول فيها بل المالك الكبير في الدولة , إذ أضحت تمتلك ثلث أراضي غرب أوروبا في العصور الوسطى . [322]

إلى جانب امتلاك الكنيسة لتلك الإقطاعيات الواسعة كانت مُعفاة من الضرائب , بل كان من حقها جمع العشور[323] ـ وهي ضريبة تشكل ثقلاً كبيرًا على الفلاحين ـ , ضف إلى ذلك هناك ضرائب فُرضت على البهائم أو المواشي تؤول أموالها إلى الكنيسة . [324]

وبالرغم من أن الأسقف أو رئيس الدير والذي أصبح يملك إقطاعات واسعة ضمن دائرة كهنوتية مستقلة عن الحياة المدنية , إلا أنه وبامتلاكه تلك الإقطاعيات أصبح يشكل أحد أضلع

- Lamonte , The World of , P 219 .

318 Durant , The Age of , p . 564

319 Hollister .C . W , Medieval Europe : A Short History , London , 1964 , P . 145 .

320 بروي , إدوارد , القرون الوسطى , تاريخ الحضارات العام , تر : يوسف داغر وفريد داغر , 7 مج , عويدات للطباعة والنشر , بيروت , 2003 م , مجلد 3 , ص 316 . سيشار له لاحقًا : بروي , القرون الوسطى .

321 Lamonte , The World of , P . 223 .

322 Durant : Will , The Age of Faith : A history of medieval civilization Christian , Islamic and Judaic – from Contantine to Dante , A . D (325 -1300) , Simon and Schuster , New York , 1950 , P .564 .

323 العشور : ضريبة مقدارها شلينين عن كل جنيه , كانت ملزمة على كل فئات المجتمع وخاصة الطبقة الكادحة منهم , إذ كانت تحسب على جملة الإيرادات . للمزيد من المعلومات انظر : كولتون , عالم العصور , ص 121 , 122 .

324 نفس المرجع , ص 121 , 122 .

الهرم الإقطاعي , وبذلك أضحى يقوم بمهام غير مهمته الأصلية , وهذه المهام تتمثل في رئاسة محاكم الأسقفيات والأديرة , وسك العملة , والإشراف على الأراضي الزراعية , وأخيرًا الخدمة العسكرية .[325]

ونتيجة لهذا التطور عمل رجال الكنائس على جمع الفلاحين لزراعة تلك الإقطاعيات , وجمع الجنود للدفاع عنهم , فصار شأنهم شأن النبلاء , إذ قاموا بأداء يمين الولاء والطاعة للملوك , كما أنهم سعوا للحصول على ترقيات وألقاب مثل (كونت ـ دوق) ومناصب عليا مثل منصب رئاسة مجلس الأساقفة أو الحصول على كرسي البابوية .[326]

فأصبح من الطبيعي أن ترى رئيس دير أو أسقف أو راهب يرتدي درعًا ويحمل سلاحًا وهذا ما حصل في فرنسا مثلاً . وبهذا شاركت الكنيسة في الحروب إذ قامت بتجهيز جيوش الملك بالجنود .[327]

ونتج عن هذا التغيير الذي طرأ على الكنيسة التي كانت تُعد مؤسسة دينية بحته , نقمة من بعض الفئات المسيحية المتدنية وكبار الملاك ؛ لذا عملت الكنيسة على تحريم الحرب على رجالها وإنما مكنت رجل الكنيسة من توزيع الأقطاعات على أتباع ثانويين يلتزمون بالخدمة العسكرية .[328]

ونظرًا لأن الصفة التي كانت غالبة على المجتمع هي الصفة القتالية , فقد حاولت الكنيسة أن تحد منها وأن توجه الفرسان إلى أشياء أكثر فائدة ونفعًا ؛ فبذلت من أجل ذلك الكثير لمحاولة حصر الحروب الإقطاعية , فقررت ما يعرف بسلام الله [329] وأضيفت إليه هدنة الله [330] سنة 1040م كمحاولة لجعل الحروب الداخلية أكثر صعوبة وندرة , وذلك بإيقافها بحجة احترام ذكرى الأيام , فتعممت هدنة الله في فرنسا وأسبانيا وألمانيا .[331]

---

[325] Lamonte , The World of ,P. 222 .

[326] Durant , The Age of , p . 564 .

[327] Yonge , C. M ., History of France , London , 1907 ,P . 55 , 56 .

[328] ترحينيى , معالم التاريخ الأوروبي , ص 138 , 139 .

[329] سلام الله (Pax Dei) : نتيجة لتسلط الروح القتالية , وتمجيد الفارس طبقًا الفروسية , ومع الكنيسة من مقاومتها , فحرصت الكنيسة على تنمية وحشد هذه الروح لصالحها ؛ فأصبحت الحرب لتحقيق أغراض الكنيسة مقبولة وجائزة ـ حرب مقدسة ـ إذ اعتبر البابا ليو الرابع كل من يموت في سبيل الدفاع عن الكنيسة مثواه الجنة. ولكن ونتيجة لما ساد من فوضى واضطراب الذي أدي إلى تخريب الكنيسة , وما أصاب الفقراء من الشدة والجوع , جعل المجامع الدينية , التي انعقدت أول الأمر في اكتيانيا وبرجنديا منذ سنة 989م تتكر هذه الفوضى وتسعى إلى اتخاذ ما يعرف بالسلام الإلهي . للمزيد من المعلومات انظر : باركر , أرنست , الحروب الصليبية , تر : السيد الباز العريني , ط4 , دار النهضة العربية , بيروت , (د , ت) , ص 10 هامش رقم 2. سيشار له لاحقًا : باركر , الحروب الصليبية .

[330] هدنة الله (Tweuga Dei) : تعتبر امتداد لسلام الله , على أن هدنة الله يغلب عليها الطابع الكنسي , فالكنيسة هي التي تقررها , وتفرض على من يخالفها العقوبات , إذ حتَّمت الكنيسة على المسيحي أن يعتبر الأيام والأزمنة مقدسة , فيكف أثناءها عن القيام بأي عمل من أعمال العنف , فتقرر أول الأمر الكف عن هذه الأعمال , ابتداءً من مساء الأربعاء إلى صباح الاثنين , تذكارًا لما أصاب المسيح أثناءها من الآلام . للمزيد من المعلومات انظر : نفس المرجع , ص 12 , هامش رقم 2 .

[331] الشيخ , حضارة ونظم , ص 44 . فرح , الحضارة الأوروبية , 66 ـ 69 . كانتور , التاريخ الوسيط , القسم 1 , ص 342 .

ج ـ طبقة الفرسان :

ج : 1 ـ الفارس ونظام الفروسية :

الفارس هو رجل يقوم بالخدمة العسكرية , فهو يرتبط بسيد يقسم له يمين الولاء والتبعية [332] , والفروسية مؤسسة عسكرية ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بالأرض وبالنظام الإقطاعي بل أن النظام الإقطاعي هو من أوجدها . [333]

انحدر الفارس من أصل عريق ـ أي من أبناء النبلاء ـ وقد كان الترقي في هذا السلك صعبًا جدًا لأنه يحتاج إلى تدريب شاق ومضن , إذ جرت العادة بأن يُرسل هؤلاء الصبيان إلى بلاط السيد الإقطاعي أو بلاط الملك , وهم في سن السابعة أو الثامنة لكي يتعلموا استعمال الأدوات الحربية كالدروع والتروس والسيوف وينشئوا على حياة الخشونة التي تعدهم لحياة الفروسية[334], وعندما يصل الصبي إلى سن العشرين ويثبت أنه أصبح مستعدًا لآن يتخذ موقعًا في المعركة يتم منحه مرتبة الفروسية في حفل خاص يسمى " حفل التقليد " . [335] إذ يركع الشاب أمام فارس مجرب , ويتلقى منه ضربة من صفحة السيف , وكانت هذه الضربة بالغة العنف , والمقصود منها قهره , ولكن ومع مرور الزمن أضحت فيما بعد ضربة رمزية خفيفة تقع على الكتف , وهذا الإجراء هو المعروف بتنصيب الفارس , ومتى تقلد الشاب سلاحه وتلقى الضربة , أصبح فارسًا كاملاً . [336]

وللفروسية عدة آداب تحكمها تتمثل في النقاط التالية :

1- الإيمان العميق بالدين المسيحي .

2- حماية الكنيسة والدفاع عنها ؛ إذ كانوا يسفكون دماءهم من أجل حماية دينهم .

3- يتوجب على الفارس حماية الضعيف واحترام النساء والأطفال .

4- أن يتحلى الفارس بالشجاعة , وألا يخضع للعدو .

5- أن يحارب الفارس غير المسيحيين بدون مهادنة .

6- أن يكون الفارس مخلصًا لمولاه أو تابعه سواء أكان ملكًا أو بارونًا أو لوردًا .

---

[332] فرح , الحضارة الأوروبية , ص 55 . انظرًا أيضًا :

-Dance , E. H . Europe And The Old World : The Middle Ages , London , 1953 , P . 157 .

[333] اليوسف , العصور الوسطى , ص 129 . انظر أيضًا :

- Durant , The Age of , P . 569 .

[334] الشيخ , الحضارة والنظم , ص 40 , 41 . العريني , النظم والحضارة , القسم1 , ص 46 .

[335] ترحيني , معالم التاريخ الوسيط , ص 143 , 144. الشيخ , الحضارة والنظم , ص 40 . فرح , الحضارة الأوروبية , ص 58 .

[336] الشيخ , الحضارة والنظم , ص 41 . عاشور , حضارة ونظم و ص 402 . العريني , النظم والحضارة , القسم 1 , ص 46 .

7- أن يحافظ الفارس على عهوده ووعوده التي قطعها على نفسه .

8- أن يتحلى الفارس بالخصال الحميدة أي أن لا يرتكب الجرائم والفواحش .

9- أن يحب الفارس مسقط رأسه . [(337)]

ويجب أن نميز بين نوعين من الفرسان هما : فارس الميدان وهو الفارس الذي تحصل على سيفه ولقبه في ميدان المعركة . والنوع الثاني هو فارس الحمام [(338)] : وهذا النوع سبق وان تحدثنا عنه قبل قليل , إذ يقوم الفارس بعد حفل التقليد بالاستحمام كعلامة على التطهير الجسدي والروحي . [(339)]

ويتوجب على الفارس ارتداء عدته الحربية حتى يتمكن من صد أي هجوم من العدو في ساحة القتال , ومن هنا نشأت فكرة مفادها أنه لا يجوز مهاجمة الفارس غير المسلح , بل ينبغي أن يتوفر له الوقت الكافي لارتداء عدته وتجهيز نفسه للقتال[(340)], وترتبط هذه الفكرة بالقيم الأخلاقية لدي الطبقة الإقطاعية والتي أنشأت العرف الخاص باعتبار الأسير ضيفًا عزيزًا , يتوجب حسن معاملته وإطلاق سراحه من أجل جمع فديته , وفي بعض الأحيان يطلب منه تقديم رهينة حتى يجمع فديته وهذه الرهينة يكون أحد أبنائه أو أحد أبناء أخيه .[(341)]

ج : 2 - الجيش والحروب الإقطاعية :

كان لتدهور السلطة المركزية أثر كبير في جر غرب أوروبا في العصور الوسطى إلى سلسلة من الحروب , قامت بين السادة الإقطاعيين من أجل مصالح شخصية لهذا السيد أو ذاك , وسواءً أكانت تلك الحروب لغرض تأديب جار , أو لغزو أراضي سيد إقطاعي , أو لأحقية في إرث أو لخلاف في شروط امتلاك الأرض[(342)], أو من أجل النهب والسرقة ... ألخ من الأهداف الشخصية التي قامت من أجلها تلك الحروب , فقد أدت إلى خراب المزارع وانتشار الأوبئة والأمراض . [(343)]

وضم الجيش الإقطاعي الأمراء والأدواق والكونتات الذين تولوا قيادته , والأسقف الذي حمل رتبة لواء , أما الراهب فقد حمل رتبة نقيب , في حين التحق الفرسان بسلاح الفروسية ,

---

[337] القاعود , طارق السعيد حسن,مظاهر الحياة في انجلترا خلال عصر الملك هنري الثاني (1154 -1189م) , رسالة دكتوراه غير منشورة , جامعة طنطا , مصر , 2010م , ص 548 هامش رقم 3 . سيشار له لاحقًا : القاعود , مظاهر الحياة .

[338] للمزيد من المعلومات انظر الملحق رقم 10 .

[339] عمران , حضارة أوروبا , ص 85 . كولتون , عالم العصور الوسطى , ص 136 .

[340] الشيخ , النظم والحضارة , ص 43 . موس , ميلاد العصور , ص 385 .

[341] العريني , الحضارة والنظم , القسم 1 , ص 50 .

[342] ترحيني , معالم العصور , ص 139 . باركلاف , الدولة والإمبراطورية , ص 132 , هامش رقم 1 . يوسف , تاريخ العصور , ص 118 . انظر أيضًا :

-Sellery: George Clarke, Medieval Civilization, Dana Carleton munr (translator) , century , New York , 1907 . P . 177 . 178 .

[343] قاعود , مظاهر الحياة , ص 542 .

بينما كان المشاة من طبقة البسطاء الذين ساعدوا في عمليات النهب التي تحصل نتيجة لهروب الطرف الخاسر في الحرب .[344]

ولعبت الأسلحة دورًا كبيرًا في تلك الحروب ولعل أبرزها الرمح والترس والخوذة والزرد[345] والدرع , ويضاف إلى ذلك السيف الذي كان سلاح الفارس الأساسي إضافة إلى الفرس التي يمتطيها الفارس والمزودة بالسروج والركاب واللجام . [346]

وبدءًا من منتصف القرن العاشر الميلادي أصبح للحصون والقلاع الإقطاعية أهمية كبيرة في الحياة الاجتماعية , فبعد أن كانت تشكل وسائل الدفاع وأماكن لتحصن الجيش المتراجع , أضحت تشكل مكان إقامة السيد الإقطاعي حيث يَعْقد فيها اجتماعاته , ويتناول فيها الطعام مع أفراد أسرته ومع أتباعه بل أصبحت أماكن لاستقبال ضيوفه [347] , ومع بزوغ شمس القرن الحادي عشر بدأ الفلاحون أتباع السيد بحفر خندق حول الحصن على شكل دائري يبلغ عمقه ما بين (9 - 10) أقدام وأقاموا سورًا عند الحافة الداخلية للخندق وبنو برجًا خشبيًا عند هضبة صغيرة يتم تجميعها من بواقي الحفر , كانت تلك الحصون تبني من فروع الأشجار ومن ثم تطورت فأصبحت تبنى من الحجارة الكبيرة إذ تألف الحصن من طابقين أو ثلاثة طوابق.[348]

اعُتبرت الحروب الإقطاعية كرياضة وتسلية للفرسان في أوقات الفراغ ؛ إذ ابتكر هؤلاء طريقة المبارزة والتي تتم بشكل استعراضي الهدف منه هو إظهار المقدرة والمهارة الحربية [349] ,إذ كان يُحدد يوم معين للنزال بين فريقين من الفرسان يمثلان ضاحيتين أو أسرتين متخاصمتين , ويكون الحكم فارسًا محايدًا , حيث يصطف المتحاربون على ظهور خيولهم ويبدأ القتال فإذا انكسرت الرماح أو السهام يتواصل القتال بالسيوف حتى ينتصر أحدهم ويظفر بسلاح المغلوب وخيله ما لم يستردهم الأخير بالمال , ينال الطرف الغالب شرفًا كبيرًا . [350]

ويجب التمييز بين نوعين من الحروب : أولها الحروب الدفاعية والتي يتوجب فيها على الفلاحين أتباع السيد الذي تعرض للهجوم المشاركة في الدفاع عن سيدهم , ومن ثم يعودون إلى

---

344 ديورانت , قصة الحضارة , الجزء 14 , ص 440 . عمران , حضارة أوروبا , ص 83 . انظر أيضًا :
-Durant , The Age of , P . 569 .

345 الزرد : هو عبارة عن ملابس تقي جسم الفارس مصنوعة في الغالب من القماش الملبد أو من الجلد , حيث تبرز فيه أشكال مستديرة يحتمل أنها تمثل صفائح صغيرة أو حلقات من المعدن . للمزيد من المعلومات انظر : القاعود , مظاهر الحياة , ص 597 .

346 الشيخ , النظم والحضارة , ص 43 . انظر أيضًا :
-Durant ,The Age of ,P. 569 .

347 بيشوب , تاريخ أوروبا , ص 13 . الشيخ , النظم والحضارة , ص 45 . عاشور , 406 . العريني ,الحضارة والنظم , القسم 1 , ص 47 .

348 بانتر , تاريخ الحروب , ص 23 .

349 ديورانت , قصة الحضارة , الجزء14 , ص 446 .

350 عاشور, حضارة ونظم , ص 406 . كولتون , عالم العصور , 160, هامش رقم1, يوسف , حضارة أوروبا , ص 122 . انظر أيضًا :
-Sellery , Medieval Civilization , P . 177 .

حقولهم عندما تنتهي المعركة , وثانيها الحروب الهجومية والتي يشارك فيها الأتباع الفلاحون إذ حددت مدتها بأربعين يومًا ومن تم يعود الفلاحون إلى أعمالهم السابقة .[351]

وترتب على قيام الأتباع بهذه الخدمة العسكرية حصولهم على عدد من الأراضي الزراعية عرفت باسم إقطاع (Fief) أي إقطاع عسكري , الذي لجأت إليه الدولة وكبار السادة الإقطاعيين الذين لم تتوفر في خزينتهم الأموال اللازمة لسد مرتبات هؤلاء الأتباع [352] , ومع هذا امتنع بعض الأتباع عن القيام بهذه الخدمة ونظرًا لصعوبة استرجاع الأراضي التي حصلوا عليها , لجأ ملوك إنجلترا مثلاً إلى فرض بدل نقدي يوازي عدم ذهاب أتباعهم إلى الخدمة . [353] .

ولعله من المفيد أن نشير إلى وقت شن تلك الحروب والذي يبدأ مع بداية فصل الصيف حيث يكون الطقس جيدًا [354]؛ إذ ترتب عليها خراب المزارع وانتشار القحط الذي أدى إلي حدوث مجاعات , ضف إلى ذلك انتشار الأمراض منها مرض الطاعون الذي أجبر مثلاً السادة الإقطاعيين في شمال فرنسا على توقيع عقد بينهم يقض بنبذ الحروب واللجوء إلى التحكيم . [355]

وبالرغم من قلة الحروب الكبيرة مقارنة بالحروب الصغيرة إلا أنها وُجدت قواعد وقوانين تحكمها وتلزم السيد الإقطاعي على مراعاتها وإلا تعرض للعقوبات من قبل المجتمع الإقطاعي ولعل أبرزها : يجب أن لا يحارب السيد الإقطاعي بدون سلاح يليق بمركزه كشريف , وباستطاعة السيد أن يحارب سيده إذا رفض النظر في قضية عرضها عليه للحُكم فيها , كما يجب الإعلان عن الحرب بشكل صريح وإلا اعتبرت الحرب بمثابة غزوة تليق باللصوص . [356]

2/ طبقة الأتباع [357] :

شكلت هذه الطبقة قاعدة الهرم الإقطاعي وهي الطبقة الكادحة العاملة التي أعانت جميع طبقات المجتمع آنذاك , وقد شملت هذه الطبقة ثلاث فئات أو طبقات منها :

أ ـ طبقة العبيد

كانت هذه الطبقة تشكل الأغلبية العددية في غرب أوروبا العصور الوسطى والتي عملت بالخدمة المنزلية وبعض الأعمال اليدوية والتي تحتاج إلى قوة عضلية [358], ويتضح من خلال المسح الذي قام به وليم الفاتح ملك إنجلترا سنة 1066م أن نسبة العبيد الذين يعملون في منازل

---

[351] الشيخ , حضارة ونظم , ص 29 . كانتور , التاريخ الوسيط , القسم1 , ص 340 . كولتون , معالم العصور الوسطى , ص38 هامش رقم 1 .

[352] هلستر , أوروبا , ص 143 .

[353] القاعود , مظاهر الحياة , ص 278 .

[354] العريني , تاريخ أوروبا , ص 396 .

[355] زيادة , عالم العصور , ص 99 ,100 .

[356] - Sellery , Medieval Civilization , P . 178 .

[357] للمزيد من المعلومات انظر الملحق رقم 7 .

[358] كوبلاند , الإقطاع , ص 36 .

السادة الإقطاعيين تعادل ثلثي عدد السكان , ومع مرور الزمن ونتيجة لعدم الاهتمام بهذه الطبقة تقلص عددها كثيرًا وخاصة في انجلترا بينما ظلت موجودة في جنوب فرنسا على الرغم من أنها لم تلق أي اهتمام يذكر . [359]

ب ـ طبقة الفلاحين الأحرار :

وهم فلاحون يمتلكون مساحات محددة من الأراضي ويُعدون قليلي العدد , إذ تبلغ نسبتهم في انجلترا في القرن الحادي عشر ما يقارب 4% من نسبة المزارعين وقد اتضحت هذه النسبة بعد المسح الذي قام به وليم الفاتح , حيث تمركز وجودهم في الأراضي التي تنمو بها الكروم والجهات الجبلية [360] , في حين تبلغ نسبتهم ما يقارب ربع سكان الجنوب الفرنسي الذي لم يتأثر كثيرًا بالنظام الإقطاعي . [361]

تمتع أصحاب هذه الطبقة بنوع من الحرية التي فقدتها الطبقتان الأخيرتان فكان لهم الحق في بيع وشراء الأراضي , والحق في انضمام أبنائهم إلى الكنائس , وحمل السلاح , وبيع الفائض من محصولهم , إضافة إلى الحق في عرض قضاياهم في محكمة السيد المحلي . [362] وفي المقابل كان على هؤلاء الفلاحين دفع الخراج لسادتهم الذين دخلوا في تبعيتهم ولكنهم لم يكونوا مكلفين بالخدمة الأسبوعية بل اقتصرت خدمتهم على المساعدة في أوقات المواسم , والجدير بالذكر أنهم لم يكونوا مكلفين بالخدمة العسكرية . [363]

ج ـ طبقة الأقنان أو عبيد الأرض :

القن هو فلاح يعيش على قطعة من الأرض حصل عليها من سيد إقطاعي [364] , وبالتالي فهو مرتبط بها ارتباطًا وثيقًا , شكلت هذه الطبقة القسم الأكبر من طبقة الفلاحين , التي اعتمدت عليها جميع طبقات مجتمع غرب أوروبا الإقطاعي ؛ إذ حصل الملوك ورجال الكنيسة وكبار السادة الإقطاعيين على مأكلهم ومشربهم بل وملبسهم . [365]

والجدير بالذكر أن أصل هذه الطبقة يرجع إلى الأصل الحر , ولكن ونتيجة للظروف التي مروا بها أجبرتهم على التحول إلى طبقة الأقنان أو عبيد الأرض, الذين لم يكن لهم حقوق في الملكية الشخصية للأرض التي حصلوا عليها لأن ملكيتها كانت بيد السيد الإقطاعي . [366]

لقد تعددت وتنوعت طرق تحول الحر إلى قن منها :

1- عدم تلبية نداء الحرب , وهنا ينزل الشخص إلى طبقة الأقنان كعقاب له .

---

[359] عمران , حضارة أوروبا , ص 61 , 62 .
[360] العريني , الحضارة والنظم , ص 66 .
[361] كوبلاند , الإقطاع , ص 123 . انظر أيضًا :
-Durant , The Age of , P . 553 ,554 .
[362] ترحيني , معالم التاريخ , ص 150 .
[363] ويفز , أوروبا , ص 90 .
[364] نفس المرجع , ص 90 . يوسف , تاريخ أوروبا , ص 123 .
[365] كوبلاند , الإقطاع , ص 7 .
[366] Ganshof , Feudalism ,P. 86 .

2- أن يهب الفرد نفسه للكنيسة ليصبح عبدًا مرتبطًا بها .

3- أن يعرض الشخص الحر نفسه لسيد إقطاعي مقابل مبلغ معين من المال .

4- أن يضطر الشخص الضعيف إلى التنازل عن حريته لسيد قوي يحميه من الأخطار التي تهدده .

5- المجرمين الذين ارتكبوا جرائم ولم يتمكن أقاربهم من دفع الغرامات المفروضة عليهم يتحولون إلى طبقة الأقنان .

6- أسرى الحروب الذين لم يجمعوا فدية مالية لفك أسرهم يتحولون إلى الأقنان .[367]

ويحصل الأقنان على الإقطاعات وفق إجراءات معينة اختلفت عن إجراءات التابع الحر , فالقن كان يستلم الإقطاع من ناطور السيد الإقطاعي وعليه تأدية يمين الولاء والتبعية , ثم يقوم الناطور بإحضار دفتر يدوَّن فيه الأرض التي استلمها القن ويضع الدفتر في خِزانة السيد , وبعدها يشير الناطور بعكازه للقن بدخول الأرض . بهذا يكون قد سُجل هذا القن ضمن مجموعة الأقنان عند هذا السيد , فيتوجب عليه من الآن فصاعدًا تأدية واجبات معينة وأن يدفع ضرائب محددة مقابل كونه قنًا .[368]

وتجدر الإشارة إلى أن وضع القن لا يختلف باختلاف مركز سيده , سواء أكان رجل دين أو رجل سياسة ؛ فالقن يؤدي نفس الواجبات والحقوق المفروضة عليه , وأن اختلفت نوعًا ما طريقة المعاملة , فالكنيسة لها دفاتر مضبوطة أكثر من الرجل العلماني الذي ونتيجة لضعف سلطان الحكومة أصبح يتمتع بنفوذ قوي [369] , إذ أن الدولة فوضت له صلاحيات واسعة وأصبحت مجبرة على كسب ولائه , وبذا أصبح هؤلاء النبلاء يكونون أسر إقطاعية كبيرة تنافس الدولة ففي فرنسا مثلاً أيام حكم ملوك أل كابيه كان هناك ما يقارب (ستة وخمسون) أسرة إقطاعية يسكون نقودهم الخاصة بهم .[370]

ومع مرور الزمن اندمجت هذه الطبقة بطبقة العبيد القديمة لتنشأ عنهما طبقة أهل الفلاحة الذين ارتبطوا بالأرض , وكان لهؤلاء الأقنان أو الفلاحين حقوق بسيطة منها :

1- الحصول على قطعة أرض يستمد منها أسباب العيش , وكانت هذه الأرض على سبيل الانتفاع وليس التمليك , إذ يتوجب عليه دفع جزء من المحصول للسيد .

2- الحق في الحماية داخل الإقطاعية .

---

[367] عاشور , النظم والحضارة , ص 410 , 411 . كوبلاند , الإقطاع , ص 117 . كولتون , عالم العصور , ص 80 .

[368] Ganshof , Feudalism ,P. 87 . Stephenson , Mediaeval Feudalism , P. 45 .

[369] كوبلاند , الإقطاع , ص 24 . يوسف , تاريخ أوروبا , ص 126 .

[370] زيادة , نقولا , عالم العصور الوسطى في أوربة , ط1 , المكتبة العصرية , فلسطين , 1947 م , ص 98 , 99 . سيشار له لاحقًا : زيادة , عالم العصور .

3- الحق في امتلاك كوخ خشبي ـ يشترك فيه في أغلب الأحيان مع عدد من الفلاحين الذين يعملون عند هذا السيد ـ كما امتلك بعض الأواني الفخارية والحديدية , والقليل من الأثاث المكون من سرير خشبي ومنضدة صغيرة وبعض المقاعد الخشبية , كان الفلاح مجبرًا على دفع ضرائب باهظة في حالة بيع أو رهن هذا الأثاث . (371)

وعلى الرغم من ذلك فقد عاش الفلاح أو القن حياة ضنكه تعيسة , فقد كان من حق السيد الإقطاعي طرد الفلاح متى شاء , أي أن الفلاح عاش مسلوب الإرادة خاضًا لتبعية دائمة وليس له من الحقوق سوى الشيء اليسير . أما القوانين التي حكمت الفلاح فكانت عديدة وتعسفية نوعًا ما ؛ إذ كان عليه دفع عدد من الضرائب ولعل أولها ضريبة تدفع للدولة تسمى ضريبة النفس , وثانيها ضريبة تدفع للسيد مقابل الأرض التي تحصل عليها وتسمي ضريبة الاستئجار , كما توجب عليه دفع غرامة مالية إذ أرسل ابنه للمدرسة أو وهبه للكنيسة , يضاف إلى ذلك ضريبة تدفع في حالة قيام الفلاح بالصيد أو رعي مواشيه , هذا بالإضافة إلى طحن الذرة وصنع الخبز وتحضير الشراب لصالح السيد , كما توجب عليه تقديم هدية للسيد في حالة حصول ابن السيد على لقب فارس . (372)

وعلى الرغم من اختلاف المسميات التي أطلقت على هذا الفلاح أو القن ؛ ففي إنجلترا أطلق عليه لفظ (Villein) بينما في فرنسا أطلقت عليه لفظة (Serf (Servus , وفي الواقع لم يكن هناك فرق كبير بين الفلاح الإنجليزي والفلاح أو القن الفرنسي , غير أنه في انجلترا كانت هنالك حكومة قوية وقادرة على حمايتهم بينما اختلت موازين القوى في فرنسا التي كانت تنهشها أنياب النبلاء الإقطاعيين .(373)

ففي انجلترا مثلاً قام وليم الفاتح 1066 - 1087 (374) بمصادرة أراضي كبار السادة الإقطاعيين الذين وقفوا ضد التقدم النورماندي , وبذا أصبح كل شبر من أراضي إنجلترا يخضع للملك النورماندي والذي احتفظ لنفسه بسدس الأراضي ووزع الباقي على جنده , فانخفضت نسبة الأراضي الصالحة للزراعة وقل دخل الفلاح وتفشت المجاعة مما ترتب عليه قيام القن

---

[371] العريني , الحضارة والنظم , ص 42 . كوبلاند , الإقطاع , ص 12 . انظر أيضًا :
-Scott , Medieval Europe , P .230 , 231 .

[372] عمران , حضارة أوروبا , ص 67 . انظر أيضًا .
-David , The History , P. 84 . Durant , The Age , P . 555.

[373] الشيخ , النظم والحضارة , ص 49 . زيادة , عالم العصور , ص 98, 102 - 105 .

[374] وليم الفاتح William The conqueror : ولد سنة 1027م وهو أبن غير شرعي لروبرت الأول Robertالدوق الخامس لنورماندية , والذي قدر له أن يموت وهو في طريق عودته من الحج سنة 1035م ,ولذلك أصبح وليم دوق نورماندي منذ ذلك العام وهو ابن الثامنة من عمره , ولما بلغ أشده بدأ يمارس سلطته وجعل من نفسه أقوي الأفصال التابعين للملك الفرنسي , وتمكن بقوة سلطانه أن يصبح ملكًا لانجلترا (1066 -1087) بعد انتصاره على هارولد ملك إنجلترا في معركة هستنجر Hastings الشهيرة .فخضعت له الأقاليم الجنوبية والشرقية والغربية (1066 - 1068 م) , وبهذا خضع له ما يقارب من (مئة وسبعين) إقطاعيا تابعين للملك مباشرة فضلاً عن كبير من صغار الإقطاعيين , حصل وليم أيضًا على يمين الولاء للتاج مباشرة . للمزيد من المعلومات انظر :
-Tout .t. f ., France And England Their Relations In The Middle Ages Now , London , 1922 , P . 120 .

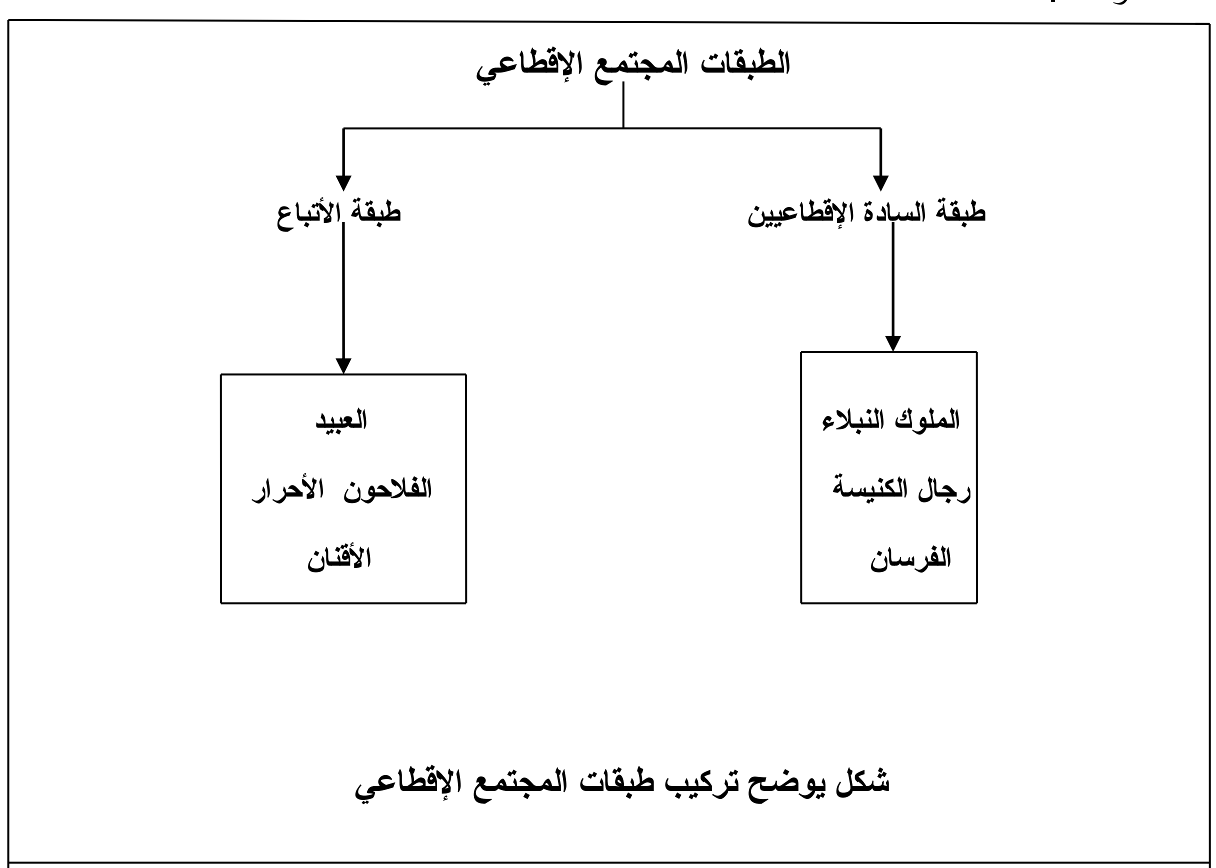
بالهروب من هذه الأوضاع [375] , وبأواخر القرن الحادي عشر أخذت هذه الفئة في الاضمحلال والتلاشي لعدة أسباب إضافة لما سبق نجملها فيما يلي :

1- الحروب الصليبية التي فتحت أمام ما يقارب من (عشرة آلاف) قن باب لالتحاق بها .

2- نشأة المدن وتطورها جعلت الأقنان يلتفتون لها لما تقدمه من مهن جديدة صناعية وتجارية .

3- اقتناع كبار الملاك أن الأقنان أصبحوا يشكلون عبئًا اقتصاديًا غير مربح لهذا أخذوا يحررون أقنانهم بالجملة . [376]

وخاتمة القول انه على الرغم من هذه القسوة التي عاناها القن إلا انه لم يطالب بشي فوق استطاعته ؛ إذ استطاع العيش بما توفره له أرضه من محصول أي انه عاش راضيًا مقتنعًا بما يحصل عليه , ولم يتجاوز تفكيره حدود قريته فهو لم يكن حرًا ولا عبدًا وإنما كان وسطًا بين هذا وذاك .



شكل يوضح تركيب طبقات المجتمع الإقطاعي

3/ الأرض :

شكلت الأرض العمود الفقري الذي بني عليه النظام الإقطاعي في الغرب الأوربي في العصور الوسطى , إذ قامت عليها علاقات اقتصادية بين طرفين أو أكثر , وقد قسمت الأراضي إلى ثلاثة أجزاء : أرض مملوكة , أرض مستأجرة , وأرض مشاع . ووفقًا للقانون الذي وضعه

[375] زيادة , عالم العصور , ص 125 , 126 .
[376] ترحيني , معالم , ص 149 . فرح , الحضارة , ص 76 , 77 .

وليم الفاتح خلال القرن الحادي عشر , كانت الأرض المملوكة عبارة عن أرض للسيد الإقطاعي أو صاحب الضيعة أو القرية , وقد اختلفت اختلافًا كبيرًا من منطقة لأخري نظرًا لاختلاف الضرائب المقررة عليها والتي تذهب إلى خزينة الدولة ولهذا من المستحيل تحديد أهميتها ـ وفيما يبدو ـ أنها تكونت من المساحات التي تقع بين الأراضي المستأجرة . والنوع الثاني ما عرف بالأراضي المستأجرة أو أراضي الشعب , كان حجم هذه المساحات معروفًا وثابتًا في كل قرية برغم اختلاف المساحة المؤجرة في كل قرية عن الأخرى وبالتالي اختلاف قيمة الإيجار . أما النوع الثالث عرف باسم أراضي المشاع والتي كانت من حق جميع المقيمين على الأرض وكانت عبارة عن مراعي طبيعية وأحراش ومروج أو غابات التي كانت تحيط بالأرض الزراعية . [377] ولتوضيح ذلك ستتطرق الدراسة لهذا النظام الذي عرفه الغرب الأوروبي في العصور الوسطى .

أ ـ نظام الضياع أو القرى الإقطاعية [378] :

اختلفت المسميات التي أطلقت على الأرض الزراعية التي عُدت مُلكًا للسيد الإقطاعي ؛ منها القرية والعزبة والضيعة , وعلى الرغم من اختلاف المسمَّى إلا أنها كانت عبارة عن مجموعة من النظم تحصلت بموجبها بعض الطبقات التي لا تشتغل بالزراعة , مثل النبلاء ورجال الدين على حاجاتهم من المشتغلين بالزراعة . [379]

وقبل الخوض في هذا النظام يتوجب علينا توضيح مدلول كل مصطلح , فكولتون يقول أن القرية أو العزبة تشكل الوحدة الإدارية والكنسية , بينما شكلت الضيعة الوحدة الزراعية الاقتصادية .[380] فالقرية والعزبة نظام عرفته أغلب مدن غرب أوروبا في العصور الوسطى إذ انتشرت القرى في المناطق التي استقر بها الجرمان والتي كانت من أخصب المناطق في انجلترا وفرنسا والأجزاء الخصبة من ألمانيا , أما العزب فقد وجدت في المناطق التي انتشر بها سكان البحر المتوسط . [381]

يرجع جذور نظام الضياع إلى الأصل الروماني والجرماني ـ اعتمدت على التبادل التجاري مع المدن ـ أما في العصور الوسطى فقد اختلف الوضع إذ أصبحت الضياع أساس الحياة الاقتصادية وفي الوقت الذي تضاءلت فيه الأهمية التجارية للمدن . [382]

إن نظام الضيعة كان نظامًا على درجة كبيرة من التعقيد تجعلنا نكتفي باستعراض معالمه الرئيسة ـ المقصود بالتعقيد هو انقسامها بين عدد من السادة ـ؛ فإذ كانت الضيعة قد تألفت في العادة من قرية وأراضيها , إلا أننا نجد القرية الواحدة في بعض الحالات مقسمة بين عدد من السادة الإقطاعيين وكل منهم أطلق على الجزء الخاص به اسم ضيعة . كما أننا نجد في حالات أخرى تجمعًا من القرى المتقاربة مكونة ضيعة واحدة . ونجد في حالات أخرى إن القرية

---

[377] بيرين , تاريخ أوروبا , ص 56 , 76 .
[378] للمزيد من المعلومات أنظر الملحق رقم 11 .
[379] العريني , الحضارة والنظم , ق1 , ص 59 .
[380] كولتون , عالم العصور , ص 114 .
[381] العريني , الحضارة والنظم , القسم 1 , ص 65 .
[382] فرح , الحضارة الأوروبية , ص 78 .

ضمت ضيعتين أو أكثر والحقيقة أن الضيعة والقرية كثيرًا ما يستخدمان في معنيين مترادفتين . (383)

والسؤال الذي يطرح نفسه كيف نشأت هذه القرية ؟ نشأت القرية أو الضيعة نتيجة لرغبة الدولة في الاستفادة من الأراضي الزراعية الشاسعة ـ خاصة بعد تدهور التجارة والصناعة ـ ؛ لذا قدمتها كإقطاعات لبعض الأفراد لزراعتها والاستفادة منها , في المقابل يتعهد الشخص بدفع إيجار معلوم للدولة بعد الاستفادة الحقيقة من الأرض . (384)

تكونت القرية الإقطاعية من الأحرار- هو فلاح يمتلك أرض مقابل إيجار معين وهو لا يخضع للخدمة الأسبوعية ـ , وأنصاف الأحرار ـ وهم الفلاحون يمتلكون أراضي في الحقول المترامية الأطراف كانت كافية لسد حاجته هو وأسرته وكان عليه القيام بالعمل في أرض السيد ـ والفلاحون الذين بنوا أكواخهم بالقرب من قصر السيد الإقطاعي للاحتماء به ؛ وبهذا كانت الأكواخ متقاربة من بعضها البعض داخل سور القرية , وبالإضافة إلى الفلاحين كان هناك مجموعة من العاملين أو الموظفين ومنهم :

1- وكيل السيد الإقطاعي : مهمته الإشراف على إدارة أملاك السيد ويتوسط بين الفلاحين والسيد إذ لزم الأمر .

2- رئيس محكمة الضيعة : مهمته الإشراف على المحكمة في الضيعة .

3- حارس الدريس : مهمته حماية الحقول والبساتين من تسلل الحيوانات .

4- كبير الفلاحين : مهمته الإشراف على أعمال الحصاد . (385)

ومجموعة من الحدادين والنجارين وغيرهم . وبهذا شكلت الضيعة نظام الملكية الزراعية في عدة صور أشبه شيء بمملكة أو عالم صغير , يحكمها سيد يتمتع بسلطة شبه مستقلة ويتملك جميع مقومات الاكتفاء الذاتي بحيث يكفي إنتاج الضيعة جميع حاجات الأفراد (386) , وفي حين يقول بيشوب إن القرية الإقطاعية لم تحقق مبدأ الاكتفاء الذاتي دائمًا , إذ كانت في حاجة إلى استيراد الملح لحفظ اللحوم والحديد لمواجهة حاجة الحدادين , والقار لعلاج جرب الماشية , فكان على الفلاحين دفع ثمن هذه الواردات من ضمن فائض إنتاجها . (387)

وعليه فإن هدف الزراعة الاكتفائية هو تحقيق هدفين متلازمين , وهما إمداد المجتمع القروي بأسباب العيش , وإمداد السيد بأنواع الربح , وخلاصة القول فإن الضيعة نظام لجأت إليه مدن غرب أوروبا لتحصل على لقمة العيش عن طريق الأرض . (388)

---

[383] عاشور, حضارة ونظم , ص 413 . كوبلاند , الإقطاع , ص 18 . كين , حضارة أوروبا , ص 51 .

[384] Lamonte , The World of , P. 210 .

[385] Durant , The Age of , P. 561 .

[386] ديورانت , قصة الحضارة , الجزء 14 , ص 417 . عاشور , حضارة ونظم , 412 . عمران , حضارة أوروبا , ص 67 , 69 .

[387] بيشوب , تاريخ أوروبا , ص 246 .

[388] كوبلاند , الإقطاع , ص 104 .

وامتلك السيد الإقطاعي في العادة ضيعة أو أكثر وربما بعدت تلك الضياع عن بعضها البعض بخمسين أو مئة ميل , مما يدل على أن الضيعة كانت تمثل وحدة اقتصادية مرتبطة بمجتمعات قروية مبعثرة هنا وهناك ولهذا كانت حصة الفلاح مبعثرة في أرجاء مختلفة , مما أدي إلى صعوبة حرث الأرض وبالتالي صعوبة حصادها , وكانت تلك الضياع مرتبطة بالسيد الذي يقيم بعيدًا عنها في أغلب الأحيان فيعين وكلاء ينوبون عنه في إدارتها . [389]

وكانت تحيط بالأرض الزراعية الكنيسة وقصر السيد ودكاكين أصحاب الحرف وأكواخ الفلاحين , وما عدا ذلك فهي أرض مشاع والتي عدت ملكًا مشتركًا للجميع . [390]

وكانت الضيعة وحدة اجتماعية ودينية متكاملة ؛ فلها حفلاتها الاجتماعية في الزواج والأعياد , والمناسبات المختلفة , وكان لها كنيستها الصغيرة وقسيسها , يضاف إلى ذلك كانت وحدة صناعية؛إذ كانت تنتج المنسوجات والجلود والسروج والنعال وما يتصل بصناعة الأخشاب.[391]

وحكمت حياة الفلاح مجموعة من العادات والتقاليد المحلية التي كانت بمثابة قانون في نظر الفلاح , وكان يشرف على تلك المحاكم كبير القضاة والذي كان ينتخب سنويًا , كانت المحكمة تقوم بحل النزاعات ومعاقبة المخالفين الذين لم يؤدوا أعمالهم . [392]

ب ـ نظام الزراعة :

اعتمدت طبقات المجتمع الأوروبي الوسيط على الأرض وما تنتجه من محاصيل زراعية , فرأى الفلاح أن كثرة الاستمرار في زراعة الأرض يؤدى إلى خراب الأرض ومن ثم تحويها إلى أرض بور , يضاف إلى ذلك أن قلة إمكانياته المادية للفلاح تجعله غي قادر على توفير المواد اللازمة للزراعة المتكررة سنويًا , فكان عليه اختراع طريقة جديدة تمكنه من الاستفادة قدر المستطاع من الأرض ؛ فلجأ إلى فكرة إراحة الأرض عن طريق نظام الدورة الثائية أو الدورة الثلاثية . [393]

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا ما هي هذه الطريقة ؟ وكيف استطاع الفلاح الاستفادة منها , بل وما هي أنواع المحاصيل التي أصبح ينتجها ؟

للإجابة عن هذه التساؤلات , نبدأ أولاً بشرح نظام الدورة الثنائية أو الثلاثية والذي انتشر في أغلب مدن أوروبا وأكثرها كثافة بالسكان ؛ إذ نجده في إنجلترا وشمال فرنسا والجزء الأكبر من ألمانيا [394] , قام هذا النظام على فكرة تقسيم الأرض الزراعية المحاطة بالقرى إلى حقلين أو ثلاثة حقول ؛ فإذ كانا حقلين زُرع أحدهما وترك الآخر بدون زراعة ـ بور ـ أما إذ كانت ثلاثة

---

[389] بيرين , تاريخ أوروبا , ص 65 .عاشور , حضارة ونظم , ص 414 . فرح , الحضارة الأوروبية , ص 79 , 83 .كوبلاند , الإقطاع , ص 29 .

[390] كوبلاند , الإقطاع , ص 28 , 29 . يوسف , تاريخ العصور , ص 129 - 131 .

[391] الشيخ , النظم والحضارة , ص 50 . عاشور , حضارة ونظم , ص 418 . العريني , الحضارة والنظم , ق1, ص 58 . كوبلاند , الإقطاع , ص 30 .

[392] فرح , الحضارة الأوروبية , ص 79 , 80 . عمران , حضارة أوروبا , ص 58 . يوسف , تاريخ العصور , ص 129 , 130 .

[393] بيشوب , تاريخ أوروبا , ص 247 .

[394] بيرين , تاريخ أوروبا , ص 69 . العريني , الحضارة والنظم , القسم1 , ص 57 .

حقول زرع أحدهما في فصل الخريف والآخر في الربيع وترك الثالث بدون زراعة , ثم يتم التبادل بينهم بحيث تترك الأرض التي زرعت في الخريف بدون زرع وتزرع الأرض التي زرعت في الربيع في الخريف على أن تزرع الأرض التي تركت العام الماضي في الربيع .[395] وكان يزرع الحقول أحدهما شعيرًا أو شوفانًا [396] بينما يزرع الأخر قمحًا أو شيلمًا [397],من الملاحظ أن النظام الثنائي اتبع في الحقول الخصبة , بينما اتبع النظام الثلاثي في المناطق الأقل خصوبة.[398]

وقُسِّم الحقل الواحد الذي زُرِع أو الذي سيُزرع إلى شرائط طويلة ضيقة وعلى شكل متساوٍ بين الفلاحين , فكان لكل أسرة نصيب فدان أو نصف فدان مُوزع بطريقة مبعثرة , ولعل الهدف من ذلك هو حصول كل فلاح على جزء صالح للزراعة وأخر يحتاج إلى استصلاح , تولى موظفي الضيعة ـ على الأرجح أنه وكيل السيد الإقطاعي والذي تولى إدارة أملاك السيد أو كبير الفلاحين الذي شرف على الحصاد ـ تسليم تلك القطع على الفلاحين . [399]

والجدير بالذكر أن تلك المساحات كان يفصل بينها شريط غير مزروع مغطى بأغصان الأشجار أو بسلسلة من الحشائش . ارتبطت تلك القطع بمساكن الفلاحين ؛ إذ تألف المسكن من كوخ وحديقة مسورة وبعض أشجار الفاكهة . [400]

لقد ساعدت طريقة تقسيم الأرض على شكل شرائط على بث روح التعاون بين الفلاحين خاصة في أيام الحرث والحصاد , وذلك لأن الفلاح لم يكن في مقدروه العمل بمفرده لقلة إمكانياته إذ كان نظام الزراعة يحتاج إلى عدد من الثيران لجر المحراث الزراعي والذي يعتبر ثقيلاً . [401]

ونتيجة لثقل المحراث وتخلف العدة التي يجهَّز بها الثور احتاج الفلاح إلى أربعة أو ثماني ثيران , كانت تواجهه مشكلة وهي توفير العلف (الدريس) للثيران صيفًا وشتاءًا , ونتيجة لبطء حركة الثور قسمت الأراضي كما تحدثنا سابقًا إلى أشرطة ضيقة طويلة لتقلل من حاجة الثور إلى الدوران .[402]

---

395 العريني , الحضارة والنظم ,القسم 1, ص 57 , 58 عاشور , حضارة ونظم , ص 419 . كولتون , معالم العصور, ص 83 , 84 .

396 الشوفان : هو نبات علفي من الفصيلة النجلية . للمزيد من المعلومات انظر : مصطفى وآخرون , المعجم الوسيط , الجزء 1 , ص 1038 .

397 الشيلم : نبات يطبخ بماء العسل ويفيد عرق النسا . للمزيد من المعلومات انظر : الرازي , الحاوي , الجزء 3 , ص 512 .

398 الشيخ , النظم والحضارة , ص 53 .

399 عمران , حضارة أوروبا , ص 68 . فرح , الحضارة الأوربية , ص 80 ,81 . يوسف , تاريخ , ص 109 .

400 العريني , الحارة والنظم , القسم 1 , ص 57 . فرح , الحضارة الأوروبية , ص86 , 87 .

401 بيرين , تاريخ أوروبا , ص 69 . الشيخ , النظم والحضارة , ص 53 , عاشور , حضارة ونظم , ص419 . العريني , تاريخ أوروبا ,ص 387 . عمران , حضارة أوروبا , ص 68 . كولتون , عالم العصور ,ص 85.

402 عاشور , حضارة ونظم , ص 420 . العريني, الحضارة والنظم , ص 57 . العريني , تاريخ أوروبا , ص 387 . عمران , حضارة أوروبا , ص 68 .

اتبع فلاحو القرية طريقة واحدة لزراعة الأرض إذ عملوا على حرث الأرض وغرس المحاصيل في فصل الربيع , ليأتي فصل الصيف ويقومون بعملية التسميد ومن ثم عملية الحصاد والتي تتم في فصل الخريف , وبهذا كان التعاون واجبًا بين الجميع وخاصة وقت الحصاد لأن محاصيل الشيلم والحنطة والشوفان تحتاج إلى سرعة التخزين حتى لا تتساقط حباتها , وبالنسبة للمحاصيل إضافة لما سبق كانت تزرع الغلال , البسلة , الفول , الفاصوليا , اللوبيا , البازلاء و الكتان [403] واستخدم الفلاح لاستصلاح الأرض نوعًا من التراب الحراري [404] يعرف بالمرل (Marl) وتقلب الأرض بالمحراث لخلط التربة بجذوع الزروع وجذاماتها , وبعد انتهاء عملية جمع المحصول يقسَّم بنسبة الحصص على كل الفلاحين في الضيعة أو القرية [405] , وكان بجانب الأرض الزراعية أرض مشاع يمتلكها صاحب الضيعة , وكانت هذه الأرض من حق الجميع إذ استغلها الفلاحون لرعاية مواشيهم وجمع الأخشاب الجافة للوقود. [406]

نظام التبعية :-

تعتبر التبعية أحد العناصر الأساسية التي ارتكز عليها النظام الإقطاعي , إذ كانت تعتمد على علاقة قائمة بين السيد (Lord) والتابع (Vassal) الذي يتوجب عليه تقديم فروض الطاعة والولاء لهذا السيد لغرض حصوله على الحماية في ظل انفلات الأمن .[407] كما قام المحاربون بتقديم الولاء لأحد السادة مقابل تبادل المنافع . إذ كان على المحارب الوقوف في ساحات القتال مساندًا لسيده الذي يقوم بدوره بإعطائه قطعة أرض يقوم على زراعتها والاستفادة من محصولها.[408]

وإذا رجعنا إلى ما قبل القرن العاشر بقليل نجد أن الدولة الكارونيجية قد عرفت نظام التبعية القائمة على أساس العلاقة التي تربط رئيس القبيلة بأفراد رعيته من خلال أداء يمين الولاء والإخلاص , وخير دليل على ذلك القسم الذي عقده تاسيلو دوق بافاريا للملك بيبن الثالث [409] ملك الدولة الفرانكونية .[410]

والسؤال المهم أين وكيف كانت تتم عملية القسم أو إدلاء يمين الولاء ؟ وللإجابة عن ذلك يتوجب علينا الخوض في تفاصيل إدلاء اليمين , إذ كانت عملية الحصول على الإقطاع تتم في

---

[403] بيشوب , تاريخ أوروبا , ص 249 . الشيخ , النظم والحضارة , ص 53 . عاشور, حضارة ونظم , ص420 . كوبلاند , الإقطاع , ص 30 .

[404] كوبلاند , الإقطاع , ص 17 . يوسف , تاريخ , ص 130 .

[405] كوبلاند , الإقطاع , ص 17 .

[406] بيرين , تاريخ أوروبا , ص 70 . ترحيني , معالم , ص 145 . كوبلاند , الإقطاع , ص 30 .

[407] الربيعي , إسماعيل نوري , تاريخ أوروبا في العصور الوسطى , ط1 , دار ومكتبة الحامد , الأردن , 2002م , ص 121 . سيشار له لاحقًا : الربيعي , تاريخ أوروبا . انظر أيضًا :

-Purdon : Liam O . Vitto : Cindy L , The rusted Hauberk : Feudals of order and their Decline , University press of Florida , Gainesville . FL , 1994 , P. 16 .

[408] Ganshof , Feudalism , P. 7.

[409] بيبن الثالث : ابن كارل مارتل وروترودتريد , ووالد كارل الأول وشارلمان , كان عمدة قصر نوستريا وأستراسيا , ثم أصبح ملك للفرنجة ما بين سنتي (751 - 768 م) . للمزيد من المعلومات انظر :

- Ganshof , Feudalism , P.13 .

[410] العريني , الحضارة والنظم , القسم 1 , ص 27 .

حفل ويتمثل في ثلاث احتفالات أولها : حفل خاص بالبيعة والذي يُعقد عادةً أمام الأرض التي سيستلمها التابع أو أمام مقر إقامة السيد .[411]

وثانيها : هو حفل إدلاء يمين الولاء , إذ يمثل فيه التابع أمام سيده حاسرًا رأسه مجردًا من سلاحه راكعًا على قدميه , ثمَّ يقسم على قبر قديس أو قديسة أو على الإنجيل يمين الطاعة والولاء والإخلاص للسيد والهدف منه هو صبغ الرابطة بصبغة مقدسة [412]. ويكون ذلك من خلال وضع يديه بين يدي سيده ويردد بصوت مرتفع أنه سوف يكون تابعًا أو فاصلاً مطيعًا , وأنه لن يوالي أحدًا غير سيده الذي تحصل منه على الإقطاع . كانت هذه العملية تتم في حضور مشرف وعدد كبير من الجمهور .[413]

وترى الباحثة أن يمين الإخلاص لم تترتب عليه في معظم الأحيان سوى علاقة شخصية بحتة , ولم يترتب عليه أي امتيازات اقتصادية , في حين أن يمين الولاء الذي يشمل التبعية تطلب ضمان العيش والحصول على الأرض , وعلى الرغم من أنه لم يكن ضروريًا - في بعض الأحيان - وجود ارتباط بين التبعية والأرض , فإن ارتباطهما أصبح شائعًا بعد حكم شارل مارتل الذي جمع بينهما .

وبعد ذلك يوافق السيد الإقطاعي على ما قاله التابع وما أقسم عليه , وينهضه من الأرض ويمسك بيديه ويبادله قبلة القسم التي تؤكد نجاح عملية القسم , ثم يبدأ السيد ببعض الإجراءات لتأكيد تسليم الإقطاع منها : أخذ حفنة من تراب الأرض ترمز إلى تسلّم التابع للإقطاع , ويسلمه سنبلة أو سكينًا , وعلمًا وعكازًا كرمز لسلطة السيد على الإقطاع , كما يلبسه صولجانًا يرمز إلى تنصيبه لمهمة جديدة , أخيرًا يسلمه براءة كتبت فيها أوصاف الأرض الممنوحة ومساحتها , وهذا هو الحفل الثالث ويسمى حفل تولية التابع قطعة الأرض .[414] من الملاحظ أن السيد لم يقطع على نفسه يمين الإخلاص لتابعه غير أنه مجرد موافقته على ما قدمه التابع من مظاهر الطاعة يعتبر عهدًا مقطوعًا عليه يتحتم فيه على السيد الوفاء بحقوق التابع التي تضمنتها أعراف مكتوبة أو غير مكتوبة .[415]

ويجوز فسخ أو إلغاء عقد التبعية من قبل أحد الأطراف وأمام عدد كبير من الناس إذا لم يف أحد الأطراف بالتزاماته التي أقسم عليها , فإذا كان الخطأ واردًا من جانب السيد مثلاً : إذا

---

[411] يوسف , جوزيف نسيم , تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها , دار المعرفة الجامعية , الإسكندرية , 1988م , ص 123 . سيشار له لاحقًا : يوسف , تاريخ العصور الوسطى . انظر أيضًا :

-Speed: Peter (edi) , Those Who fought An Anthology of medieval Sources , Italica press , New York , 1996 ,P . 10,11 .

[412] الحجي , ملاحظات , ص142 . الشيخ , الحضارة والنظم , ص 26 . أنظر أيضًا : كانتور , التاريخ الوسيط , القسم 1 , ص 339 .

[413] مدني , تاريخ العصور الوسطى , ص 448 . انظر أيضًا :

-David : Herlihy (edi) , The History of Feudalism , United States , 1970 , P. 13 -16 .

[414] كانتور , العصور الوسطى , ص 339 , 340 . أنظر أيضًا : العريني , الحضارة والنظم , القسم1 , ص 27 هامش رقم 1 . انظر أيضًا :

- Keen , Maurice , Medieval Europe , London , 1968, P. 56

[415] Ganshof , Feudalism , P.29-30 . David : (edi) , The History of Feudalism , P. 17 .

حاول أن يجعل تابعه عبدًا له , وإذا حاول اغتصاب زوجة التابع أو ابنته , إذا حاول ضرب تابعه , وغير ذلك من الالتزامات المفروضة عليه ,[416] ويحق للتابع هنا الاحتفاظ بالأرض على أن ينقل ولاءه والتزاماته إلى سيد السيد . [417]

وأما إذا كان الخطأ من جانب التابع , أي إذا استصعب عملاً يستطيع القيام به , وإذا لم يدافع عن سيده في المعارك , وإذ حاول ضرب سيده , إذا تسبب في خراب ممتلكات سيده , وإذا طعن في شرف سيده أو في عَدْلِه , [418] فيحق للسيد هنا مصادرة أرض الإقطاع واستعادتها , وكان ذلك يتم وفق طقوس خاصة وأمام عدد كبير من الشهود , حيث يقف الطرف المتظلم ويلقى بخصلة من شعره أو بخيوط من ردائه على الأرض , كعلامة على بطلان علاقة التبعية.[419]

ونلاحظ من خلال ذلك أن التبعية تتم بوجود الطرفين على قيد الحياة ووجود روح الاحترام المتبادل بينهما , أي أن أبرز صفات العقد الإقطاعي هو الاستمرار والديمومة , أما عند وفاة أحد الطرفين فماذا يصبح مصير الإقطاع والتبعية ؟

وإذ توفى أحد الطرفين يتوجب تجديد العقد الإقطاعي ؛ فإذا توفي السيد على التابع أن يطلب من وريث السيد تجديد العقد الإقطاعي , أما إذا توفي التابع فيصبح الوريث مجبرًا على تجديد العقد الإقطاعي نظرًا لحاجته لأرض الإقطاع [420]. وفي هذه الحالة يتوجب على التابع أو وريثه أن يقسم يمين الإخلاص للسيد أو وريثه , ومع الزمن تطورت هذه العملية إلى ضريبة يدفعها التابع [421] تسمى ضريبة الحلوان . [422]

كان الإقطاع إذًا قبل القرن الحادي عشر كمكافأة لقاء خدمة معينة , وبحلول القرن الحادي عشر الميلادي أصبحت الحيازة الإقطاعية هي المهيمنة على كل صور امتلاك الأراضي التي عمت كل مدن غرب أوروبا , إذا غدا من الصعب على التابع الذي يريد زيادة ثروته من دون حصوله على إقطاعات جديدة [423] , لذا لجأ إلى بذل التبعية لأكثر من سيد , فصار بمقدور

---

[416] العريني , الحضارة والنظم , القسم 1 , ص 28 . أنظر أيضًا :

-Purdon and Vitto , Feudal ideals , P . 15 .

[417] الشيخ , النظم والحضارة , ص 27 . أنظر أيضًا :

-David (edi) , The history of feudalism , P 16 .

[418] فرح , الحضارة الأوروبية , ص 42 - 43 . كولتون , عالم العصور الوسطى , ص 40 .

[419] اليوسف , العصور الوسطى , ص 121- 122 . انظر أيضًا

- Painter , The Rise of , P. 2-5 .

[420] ساليفان , ورثة الإمبراطورية , ص 124 .

[421] Keen , Medieval Europe , P . 56 .

[422] ضريبة الحلوان : هي ضريبة تدفع في حالة وفاة التابع , وذلك لأن لأرض تعود مؤقتًا للسيد , ليقلدها بدوره جريًا على العرف الإقطاعي للوريث الشرعي للتابع , مع العلم بأن مثل هذا التقليد تطلب مبلغًا كبيرًا من المال أو غيره يدفعه التابع الجديد للسيد . للمزيد من المعلومات انظر : العريني , تاريخ أوروبا , ص 500 . كوبلاند , ج . و , وفينوجرادوف , ب , الإقطاع والعصور الوسطى في غرب أوروبا , ترجمة : محمد مصطفى زيادة , ط3 , دار النهضة المصرية , القاهرة , 1958 , ص 76 - 79 . سيشار له لاحقًا : كوبلاند , الإقطاع .

[423] Keen , Medieval Europe , P . 56 .

[423] الترحيني , معالم التاريخ الأوروبي , ص 124 . العريني , تاريخ أوروبا , ص 402 . أنظر أيضًا :

التابع ضم العديد من الإقطاعات من سادة عديدين , فمثلاً إذا تزوج أحد أبناء التابع من فتاة ورثت إقطاعًا من أبيها هنا ينتقل إليه الإقطاع ويصبح في هذه الحالة تابعًا لذلك السيد بالإضافة إلى تبعيته لسيده الأول .[424]

وإذا توفي التابع وكان ابنه يتبع سيدًا أخر غير الذي يتبعه أبوه , يتوجب عليه أن يصبح تابعًا لسيد أبيه مع بقائه تابعًا لسيده الأول , وتطور الأمر أكثر من ذلك إذا توزعت أغلب أراضي شمال فرنسا بين كبار السادة الإقطاعيين الذين دخلوا في حروب ضد ملوك فرنسا , وبذلك نلحظ نشوء فئة جديدة وهي فئة أتباع الأتباع نتيجة لتعدد التبعية التي يدين بها التابع .[425]

ويجب ملاحظة أن الأراضي التي كانت ملكيتها ملكية خاصة كانت أكثر الأراضي التي دخل أتباعها من الأحرار في نظام التبعية إذا ما قيست بالنسبة للأراضي التي وضعت عليها اليد بطريقة الانتفاع .[426]

الحقوق والواجبات الإقطاعية :

أ ـ واجبات السيد :

ترتب على السيد الإقطاعي سواءً أكان نبيلاً أو رجل دين عدد من الواجبات اتجاه أتباعه , والتي لم تكن مفروضة إلا من الناحية النظرية فقط , أما من الناحية العملية فلم يقم السيد بأي منها , ولكن وبعد شروق شمس القرن العاشر الميلادي وضعت مواثيق محددة تبين تلك الحقوق والواجبات والتي منها :

1- المحافظة على الأمن داخل الإقطاع , والتكفل بحماية التابع في حال تعرضه لأي خطر خارجي , أو وقوعه في ضائقة مالية ؛ وهنا نسوق مثلاً على ذلك ما قام به ملك فرنسا عندما قدم مساعدة إلى تابعه في كونتيه فلاندر , حينما حاول روبروت الفرزباني اغتصاب أملاكه .

2- قيامه بالتنظيم الاقتصادي داخل الإقطاع , وذلك من خلال الإشراف على الأسواق والمكاييل والموازين وعمليات التبادل الزراعي.

3- عليه تحقيق العدالة بين أتباعه ؛ فهو الحاكم المحلي وبالتالي تقع عليه مسؤولية فض النزاعات التي قد تقع بين أتباعه .

4- المحافظة على شخصية وشرف التابع في حياته وبعد مماته .

5- ألا يحاول سحب الإقطاع من تابعه ما لم يقم الأخير بشيء يخل بالتزاماته .

-Scott : Martin , Medieval Europe , edi Second impression , London , 1964 , P . 26 .

424 هلستر , أوروبا , ص 144 . كانتور , التاريخ الوسيط , القسم 1 , ص 342 .

425 الترحيني , معالم التاريخ الأوروبي , ص 116 . كولتون , عالم العصور الوسطى , ص 43 .

426 حاطوم , العصر الوسيط , القسم 1 , ص 384 . انظر أيضًا : فرح , الحضارة الأوروبية , ص 34 . انظر أيضًا :

-Seeped (edi) , Those Who fought , P. 12 .

6- السماح لتابعه بعرض قضية التظلم أمام محكمة سيد السيد , إذ أساء له سيده .

7- عليه توفير التكفل بتوفير الغذاء لتابعه في حالة حدوث مجاعة .

8- على السيد مشاورة أتباعه أو (أفصاله) في شن الحرب الهجومية , أو في الاشتراك بالحملة الصليبية , أو في اختيار زوجة له أو لابنه , أو زوج لأحدى بناته .

9- يستطيع السيد إجبار أتباعه على العمل بالسخرة في الأراضي الزراعية التابعة له. [427]

ب ـ واجبات التابع :

تعددت الواجبات المفروضة على عاتق الفلاح من مدينة لأخرى في الغرب الأوروبي وفقًا لظروف والملابسات النظام الإقطاعي الذي ساد تلك المدن , منها ما هو حربي , ومنها ما هو اجتماعي , ما هو مالي والذي سنتحدث عنه بشيء من التفصيل .

أولاً : الواجبات الحربية :

لقد كانت الصفة القتالية هي الصفة الغالبة في مجتمع غرب أوروبا في العصور الوسطى , فمن الطبيعي أن تكون أولى واجبات الأفصال هي المشاركة في هذه الحروب سواء أكانت هجومية والتي حددت مدتها بأربعين يومًا في السنة , أو مشاركتهم في حراسة قصر اللورد إذ تراوحت مدتها ما بين ثلاثين وأربعين يومًا في السنة . ومن هنا يمكن القول إن هذه الواجبات كانت هي السبب المباشر في منح الإقطاع . [428]

ثانيًا : الواجبات الاجتماعية :

تعددت الواجبات الاجتماعية وتنوعت نظرًا لطبيعة العلاقة الإقطاعية التي ربطت السيد بأتباعه , إذ يأتي في مقدمتها التزام التابع (الفصل) في الحضور لمقر السيد عندما يُطلب منه , وكانت هنالك أغراض متنوعة تستدعي حضور التابع منها رغبة السيد في استشارة أتباعه في القضايا التي تخص عالمهم الصغير , وهنا كان على التابع أن يقدم مشورته لسيده , كما توجب على التابع حضور محكمة السيد عند الضرورة , كما كان على التابع أن يحصل على موافقة سيده في أمور تتعلق بزواج ابنه أو ابنته , لأن هذا الزواج قد يترتب عليه انتقال الإقطاع لشخص أخر . [429]

---

[427] بيشوب , تاريخ أوروبا , ص 122 , 123 . انظر أيضًا :

-Ganshof , Feudalism , P . 94 , 129 .

[428] الشيخ , النظم والحضارة , ص 28 ,29 . ديورانت , قصة الحضارة , الجزء14 , ص 408 , 409 . كوبلاند , الإقطاع , ص 71 . هلستر , أوروبا , ص 146 . مدني , تاريخ العصور , ص 458 , 459 .

[429] الشيخ , النظم والحضارة , ص 30 , 31 . العريني , الحضارة والنظم , القسم 1 , ص 41 . كوبلاند , الإقطاع , ص 77 . انظر أيضًا :

-Ganshof ,Feudalism ,P . 83 .

ثالثًا : الواجبات المالية :

مثلت هذه الواجبات العبء الذي أرهق الفلاحين , نتيجة لكثرتها وتنوعها واختلافها من مدينة لأخرى . والتي يمكننا أن نقسمها إلى ثلاثة أقسام أساسية وهي :

أ ـ الخدمات :

ارتبطت الخدمات بما يقدمه التابع من خدمة للسيد الإقطاعي في أيام معلومة حددت بثلاثة أيام في الأسبوع وكانت هذه الخدمة بدون مقابل أي بالسخرة , ومن ثم يعود الفلاح للعمل في أرضه باقي أيام الأسبوع , نظير تقديمه لعدد لا يحصى من الالتزامات .[430]

ويضاف إلى ما سبق اجبار الفلاح على القيام بالعمل بالسخرة في أوقات المواسم أي عند الحراثة أو عند الحصاد وجمع المحصول الذي يتطلب السرعة , كما أجبر الفلاحون على حفر الخنادق منها الخندق المائي الذي يحيط بالقلعة , وإصلاح أسوار القلعة , وإنشاء الطرق وإصلاح الجسور , وتجفيف المستنقعات , وقطع أشجار الغابات .[431]

ب ـ المقررات (الضرائب) :

تنوعت الضرائب وتعددت أنواعها ومنها :

1 ضريبة الرأس : تدفع للدولة إما نقدًا أو عينًا , وتدفع بشكل سنوي .

2- ضريبة العُشر : وهي ضريبة مقررة على ما تخرجه الأرض من الماشية والمحاصيل الزراعية , ومقدرها العُشر .

3- ضريبة الجبن : كانت تدفع مقابل استغلال مراعي الضيعة وبركتها .

4- ضريبة الضيافة : لم تكن هذه الضريبة محددة في بادئ الأمر إذ توجب على التابع أن يكرم سيده وحاشيته في أي وقت يختاره السيد ليزور تابعه , ولكن ومع مرور الزمن حُددت هذه الزيارات فأصبح السيد غير قادر على زيارة تابعه أكثر من عدد معين من المرات , كما حدد عدد أفراد حاشيته .

5- رسم الولاية : وهي ضريبة شخصية تفرض على التابع كرمز لتبعيته لسيده .[432]

6- كان على الفلاح دفع ضريبة إذ تزوج أو توفي له أحد أو رزق بمولود جديد .

7- توجب عليه دفع رسم إذ أراد رفع قضية أمام محكمة السيد .

---

[430] بيشوب , تاريخ أوروبا , ص 125 . الشيخ , النظم والحضارة , ص 53 . انظر أيضًا :
-Ganshof , Fedalism , P. 83 , 133 .

[431] بيشوب , تاريخ أوربا , ص 125 . ديورانت , قصة الحضارة , الجزء 14 , ص 411 . الشيخ , النظم والحضارة , ص 53 . عاشور , حضارة ونظم , ص 421 .

[432] الشيخ , النظم والحضارة , ص 54 . عاشور , حضارة ونظم , ص 422 . عمران , حضارة أوروبا , ص 65 . كوبلاند , الإقطاع , ص 32 ,33 ,34 , 37 . يوسف , تاريخ العصور , ص 126 . انظر أيضًا:
-Durant ,The Age of , P . 555 .

8- أن يقدم الفلاح أكواخًا من جذوع الأشجار مقابل الأخشاب والأحطاب التي يستعملها كوقود .

9- كما توجب عليه دفع فدية لإطلاق سراح سيده إذ أسر . [433]

10- يتوجب على التابع تقديم مساعدة مالية لسيده إذ خرج في الحروب الصليبية .[434]

ج ـ الاحتكارات :

قام السادة الإقطاعيين بفرض مجموعة من الاحتكارات على الفلاحين وكان عليهم قبولها رغمًا عنهم , ومنها :

1- فرض على الفلاح ضرورة طحن غلته في مطحنة السيد مقابل مبلغ مالي .

2- إجبار الفلاحين على استخدام معصرة السيد وفرنه , مقابل دفع مبلغ من المال أو مقدار من الغلة .

3- لم يكن من حق الفلاح بيع الفائض من محصوله إلا بعد فراغ السيد من بيعه بأسبوعين .

4- كان عليه أن يبيع جزءًا من الخمر في كل عام للسيد .

5- لا يحق للتابع امتلاك طيور الحمام . [435]

ومن خلال ما سبق يتضح أن النظام الإقطاعي حدد وضع المقاتلين ونظم حياتهم العامة والخاصة , ونظام الضيعة قد حدد الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لأهم طبقات المجتمع ـ من وجهة نظري ـ أي طبقة الفلاحين والعمال , مع ملاحظة الرابط الذي يربط النظامين ألا وهو رابط الأرض , فالنظام الإقطاعي قام على أساس علاقة تربط رجلاً حرًا برجل حر أخر وتبعية سيد لسيد أخر أقوى منه ويتم ذلك وفق إطار من الحقوق والواجبات المتبادلة بين الأطراف , في حين أن نظام الضيعة قام على أساس علاقة اللورد الذي يمتلك الأرض وفلاحين أو مزارعين ـ يمكن أن نطلق عليهم عبيد ـ أي علاقة بين سيد حر وقن خاضع ومقيد بالأرض وملزم بتأدية واجبات أثقلت كاهله .

---

[433] ديورانت , قصة الحضارة , الجزء14 , ص 408 ,409 . الشيخ , النظم والحضارة , ص 54 . كوبلاند , الإقطاع , ص 36 , 48 - 50 . يوسف , تاريخ العصور, ص 131 - 133 .

[434] Danshof , Feudalism , P . 153 .

[435] بيرين , تاريخ أوروبا , ص 70 . بيشوب , تاريخ أوروبا , ص 25 . عاشور , حضارة ونظم , ص 422 . عمران , حضارة أوروبا , ص65 . كوبلاند , الإقطاع , ص 35 . يوسف , تاريخ العصور, ص 133 , 134 . انظر أيضًا :

-Durant , The Age of , P. 560 . Ganshof , Feudalism , P . 129 , 153 .

الملكية الفرنسة والملكية الإنجليزية [436] :

جاء اختيار الدراسة لفرنسا وإنجلترا لأنهما من أكثر الدول نموًا وازدهارًا في الأنظمة الإقطاعية , إضافة إلى التغيرات الزمنية والمكانية التي شهدتها كلتا الدولتين .

أ ـ الملكية الفرنسية :

كان الإقطاع في القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين اكتملت شروطه في فرنسا وخاصة في شمالها ؛ إذ تمتع الكونتات باستقلال شبه تام عن الدولة , في حين كان الجنوب الفرنسي فوضويًا لدرجة لم ينجح معه الكونتات في السيطرة على من هم أقل منهم مرتبة . [437]

وكانت فرنسا بعد انتهاء حكم الدولة الكارولنجية وسيطرة أسرة آل كابيه على الحكم مقسَّمة إلى اثنتي عشرة أو خمس عشرة إمارة إقطاعية , تولى حكمها الكونتات والأدواق الذين كوّنوا دولاً حقيقة وراثية لها أنظمتها وقوانينها وتقاليدها , فكان عددهم ستا وخمسين أسرة يسكون نقودهم بأنفسهم , كان هذا في فترة حكم الملوك الأربع الأوائل من آل كابيه وهم هيو 987 ـ 996 م , وروبرت الثاني 996 ـ 1031 م , هنري الأول 1031 ـ 1060 م , فيليب الأول 1060 ـ 1108 م . [438]

ويتضح من ذلك أن الملك الفرنسي كان سيدًا على كبار السادة الإقطاعيين , ولكنه في حقيقة الأمر لم يكن كذلك ؛ إذ لم يتمتع بأي سلطة على أفصاله الصغار , طالما كان عاجزًا عن إلحاق الهزيمة بكلٍ من دوق نورماندي الذي كان يمتلك جيشًا قويًا , إضافة إلى أن الفرسان النورمان لم يعترفوا بالملك , وكونت تولوز وهما كانا يتبعانه من الناحية الرسمية , وبهذا لم يكن الملك إلا دوق باريس . [439]

ولكن هذا الوضع لم يستمر طويلاً ؛ إذ سرعان ما بدأت الملكية الفرنسية تقوى ويشتد عودها في عهد الملك لويس السادس (1108 -1137 م) الذي تمتع بشخصية قوية فاستطاع كبح جماح السادة الإقطاعيين ومن ثم إخضاعهم تحت سلطانه ؛ فغدا بذلك سيدًا إقطاعيًا في بلاطه بل في مملكته كاملة , إذ أصبح باستطاعة الملك التجول في الأراضي الإقطاعية دون الحاجة إلى حراسة , كما نجح لويس في تكوين جيش قوي تألف من أتباعه في دوقية فرنسا . كان النبلاء

---

[436] للمزيد من المعلومات انظر الملحق رقم 9 .

[437] Durant , The Age of , P. 553 . Strayer , Joseph , R . Western Europe in middle ages , Appltn century crofts , New York , 1955 . P . 63 . Painter , Sidney , the Rise of , P 14 – 16 .

[438] زيادة , عالم العصور , ص 98 , 99 . انظر أيضًا :
-Ganshof , Feudalism , P . 160 . Scott , Medieval Europe , P . 152 .

[439] زيادة , عالم العصور , ص 100 . كانتور , العصور الوسطى , ص 342 , 343 .

مستعدين للاعتراف بأنهم أتباع الملك , ولكن وعلى الرغم من ذلك فإنهم لم يقوموا بتقديم الخدمات إلا نادرًا . (440)

وفي الواقع لم تكن فرنسا وعلى الرغم من كل تلك النجاحات التي حققها لويس دولة واحدة , بل كانت عبارة عن مجموعة من الولايات تربطها سلطة الملك الواهية , والتي كانت أضعف بكثير من أغلب أتباعه الأقوياء , ومن خلال ذلك يتضح أن الملك لم تكن له أي سلطات خارج حدود فرنسا.(441)

الملكية الإنجليزية :

عرفت إنجلترا النظام الإقطاعي منذ العصر الأنجلو ـ سكسوني ؛ حيث تنازل الملوك عن الأراضي للأمراء مع احتفاظهم بالسلطة الملكية , ولكن مع بداية القرن الحادي عشر زادت قوة هؤلاء الأمراء لدرجة أن الملوك سلموا بهذا النظام , وبدأوا يقطعون أتباعهم المحاربين إقطاعات مقابل الخدمة العسكرية . (442)

وبهذا وُجدت أرضية خصبة لينشأ عليها نظام إقطاعي جديد أدخل للبلاد سنة (1066 م) مع تعيين وليم الفاتح ملكًا على إنجلترا (1066م) , والجدير بالذكر أن وليم تربى ونشأ في بيئة إقطاعية فرنسية , وأصبح دوقًا لنورماندي سنة (1035 م) , وجعل نفسه أقوى الأفصال التابعين للملك الفرنسي .

وعمل وليم الفاتح على إخضاع النظام الإقطاعي لما يخدم السلطة الملكية , وذلك نتيجة مشاهدته لما حل بالملكية الفرنسية من ضعف نتيجة خضوعها لسلطان الكونتات وبهذا حاول عدم تكرار نفس النموذج الفرنسي (443) , فاتخذ جملة من القرارات والإجراءات منها :

1- أعلن نفسه المالك لجميع الأراضي بمجرد تمكنه من بسط سيطرته على كامل التراب الإنجليزي .

2- عمل على تجريد الأمراء من أراضيهم ووزعها على أتباعه المخلصين النورمان مقابل تقديم الإيجار , وقد كان هذا التوزيع بالغ الدقة بحيث كانت أراضي كل بارون مبعثرة في مختلف أنحاء المملكة بحيث يمنع هؤلاء البارونات من محاولة الانقلاب عليه فقلل بذلك خطرهم هذا من جهة , ومن جهة أخرى سهّل عليه القضاء على أي بارون يحاول التمرد والعصيان .

---

[440] إبراهيم , حسن إبراهيم وآخرون , معالم التاريخ الأوروبي الوسيط , دار المعرفة الجامعية , الإسكندرية , 2003 م , ص 319 . عزيز , كميل , تاريخ أوروبا في العصور الوسطى , ط1 , دار المعرفة الجامعية , الإسكندرية , 2010 م , ص 254 - 257 . انظر أيضًا :

-Scott , Medieval Europe , P . 152 .

[441] Ganshof , Feudalism , P .160 .

[442] Painter , Sidney , the Rise of , P . 18 – 20 .

[443] كانتور , العصور الوسطى , ص 343 . انظر أيضًا :

- Painter , Sidney , the Rise of , P . 25 – 30 . Sellery , Medieval Civilization , P, 174 , 175 .

3- صادر أراضي الرافضين لحكمه ,غير أنه سمح لهم بافتدائها بالمال على شرط تحول أصحابها إلى تابعين لسلطته .

4- حرص على أن يقوم النبلاء وأتباعهم بحلف يمين الولاء والطاعة والتبعية له والهدف من ذلك هو إضعاف نفوذ النبلاء .

5- عين موظفين على كل مقاطعة وهؤلاء ارتبطوا به ارتباطًا مباشرًا ؛ كان هذا الموظف أو الشريف كما أطلق عليه قابلاً للعزل والتغيير من قبل الملك , تعددت مهام الشرفاء من بين الإشراف على ممتلكات الملك وجمع الضرائب .

6- قام وليم سنة (1083 م) بمسح شامل لأراضي المملكة وإحصاء السكان وثرواتهم , استمر العمل بهذا السجل ثلاث سنوات , سُجلت خلالها المعلومات التالية :

أ ـ مسح جميع الأراضي الزراعية وغير الزراعية .

ب ـ حصر عدد الفلاحين الأحرار والأقنان .

ج ـ تسجيل أسماء كبار الملاك وحصر ممتلكاتهم .

د ـ تعرف على مختلف الضرائب المفروضة على الفلاحين .

7- أمر النبلاء ببناء القلاع والحصون في الأراضي التي تحصلوا عليها وشحنها بالمحاربين تحسبًا لأي اعتداء خارجي تتعرض له المملكة .

8- كان على الفرسان أداء الخدمة العسكرية ومدتها أربعون يومًا [444] .

9- وجدت ثلاث محاكم محلية :

أ ـ محكمة المقاطعة : كانت تحت نفوذ الشريف , وهدف هذه المحكمة هو جعل كل المقاطعة تابعة له .

ب ـ محكمة الدسكرة " المانور " : شملت أعمالها الأمور الجنائية والمدنية للأحرار وغيرهم , وهذه المحكمة كانت تعتبر منحة من الملك , وله الحق في إلغائها إذا شاء . كان عليها المحافظة على النظام وجمع الضرائب .

ج ـ محكمة الملك الإقطاعية : وهي محاولة من الملك في التدخل في الشؤون المحلية , وهي تنعقد بناءً على أمره .

10- فرض الملك وليم عدد من الضرائب أهمها : ضريبة الذهب , وضريبة عرفت باسم مال الترس وكانت تدفع مقابل الإعفاء من الخدمة العسكرية , أيضًا فرض ضريبة للمشاركة في

---

[444] Painter , The Rise of , P 44 – 56 .

الحملات الصليبية , والضريبة الرابعة فرضت على الأراضي التي لم تقطع على أساس الخدمة العسكرية. (445)

وخلاصة القول إن النظام الإقطاعي الأوربي لا يعني في أي حال من الأحوال الفوضى والتشتت, لأنه كان نظامًا تعاقديًا , قام على أساس ثابت من الحقوق والواجبات المتبادلة بين الأطراف . والصحيح أن النظام الإقطاعي ظهر مصحوبًا بانحلال وتفكك الإمبراطورية الكارولنجية وما نتج عنها من ممالك , غير أن هذا الانحلال لم يكن نتيجة لظهور النظام الإقطاعي , الذي ليس له ذنب في ضعف سلطان الملك الفرنسي وعدم مقدرته على بسط نفوذه في دولته , أو في ازدياد قوة الملكية الإنجليزية . ومن هنا يمكن القول إن النظام الإقطاعي ظهر كحل لمواجهة الأخطار التي تعرض لها الغرب الأوروبي في العصور الوسطى , فغدا الوسيلة المناسبة لإيجاد نوع من الحكم يفي بالحاجات الحربية والإدارية والقضائية للدولة .

ومن المؤسف إنه لم توفر في المصادر العربية معلومات تفصيلية عن الإقطاع الحربي في الدولتين البويهية والسلجوقية , كتلك التي تتوفر حول الإقطاع الأوروبي , فيما يتعلق بالعلاقة بين المقطع والفلاح , وتفاصيل الخدمات المطلوبة كالضرائب المؤرخة من المقطع . غير أن هناك مجالاً للمقارنة بين النظامين , وهذا ما ستتصدى له الدراسة في الفصل الرابع والأخير .

445 Ganshof , Feudalism , P . 160 . Strayer , The Western Europe , P, 63 .

الفصـــــــــل الرابع

الإقطاع العسكري الإسلامي والإقطاع الأوروبي : دراسة مقارنة .

أولا : أوجــه الشبــه :

1/ من حيث مصطلح التعريف .

2/ من حيث النشأة والتكوين .

3/ التشابه في بعض التنظيمات الإقطاعية .

4/ التشابه من حيث الالتزامات المفروضة .

5/ التشابه في النتائج المترتبة على الإقطاع .

6/ التشابه في وجود تسلسل إقطاعي .

7/ التشابه في أنواع الإقطاعات .

ثانيًا : أوجـه الاختـلاف :

1/ الاختلاف في التعريف .

2/ الاختلاف من حيث الخصائص الإقطاعية .

3/ الاختلاف من حيث التنظيمات الإقطاعية .

4/ الاختلاف في تركيبة الجيوش الإقطاعية .

5/ الاختلاف من حيث أنواع الأراضي المقطعة ومصطلحاتها .

6/ الاختلاف من حيث الاحتكارات .

وجد تشابه بين النظام الإقطاعي الذي ساد في المشرق الإسلامي وبين النظام الإقطاعي الذي ساد في الغرب الأوروبي خلال فترة القرنين الرابع والخامس الهجريين / العاشر والحادي عشر الميلاديين ولكن هذا التشابه لم يكن مطلقًا ؛ إذ وجد اختلاف كبير بينهما , وأن كانا متقاربين زمنيًا , والجدير بالذكر أنه داخل البلاد الإسلامية وجد اختلاف في تطبيق نظام الإقطاع بين الأقاليم , وهذا له نظيره في أوروبا ؛ إذ نلحظ أن الإقطاع انتشر في المشرق الإسلامي قبل المغرب الإسلامي , وهذا ما يشبه أوروبا إذا انتشر الإقطاع في الغرب الأوروبي قبل انتشاره في الشرق الأوروبي , ولعل هذه السمة عززت مبدأ الخلاف بينها . ومن هذا المنطلق رأينا أن نتحدث في هذا الفصل عن أوجه الشبه والاختلاف بين النظامان وأقصد بذلك النظام الإقطاعي الذي ساد في المشرق الإسلامي بذلك الذي ساد في الغرب الأوروبي في فترة العصور الوسطى [446] .

أولا : أوجه الشبه :

1- من حيث مصطلح التعريف :

وتشابه النظامان على وجود قطعة أرض تمنح من قبل سيد إقطاعي أو ولي لأمر لأحد أفراد الرعية . [447]

تشابه النظامين أيضًا من حيث أطلاق مصطلحين مرتبطين بحماية الأرض ؛ لذا نجد في المشرق الإسلامي مصطلح التلجئة والذي يشابه نوعًا ما مصطلح البريكوريوم الذي عرف في الغرب الأوروبي . [448]

2- من حيث النشأة والتكوين :

نشأ النظام الإقطاعي سواءً في المشرق الإسلامي أو في الغرب الأوروبي نتيجة لأوضاع سياسية واجتماعية واقتصادية عمت المنطقتين وأدت إلى تبلور نظام جديد كان صمام الحياة لأوروبا بينما كان مساعدًا للنظم الأخرى في المشرق الإسلامي . وهذا النظام الجديد نشأ من وسط قبلي عشائري , ففي الغرب الأوروبي نشأ النظام الإقطاعي عند القبائل الجرمانية التي منحت الإقطاعات الواسعة .

وفي المشرق الإسلامي كانت الخلافة منهارة والخلفاء على درجة كبيرة من الضعف , فترتب على ذلك سيطرة عناصر غريبة [... ـ البويهيين ـ السلاجقة .. ألخ] على المناصب العليا في الدولة ووصولهم لسدة الحكم , وهذا ترتب عليه تغيير كبير في مختلف أوضاع البلاد ؛ فانتشرت الفوضى وعم الخراب وتدهورت الزراعة , فتناقصت بالتالي موارد بيت المال , وأمام هذا الوضع الخطير ونتيجة لمطالبة الجند بمستحقاتهم المالية لجأ معز الدولة البويهي إلى حل

---

[446] إسماعيل , سوسيولوجيا , الجزء6 , ص 15 .

[447] طرخان , النظم الإقطاعية , ص 50 .

[448] آن لامبتون , نظرات في الإقطاع , ص 275 .

أدخل الخلافة في بوتقة جديدة , إذ عمل على استبدال المال أو النقود بالأراضي نتيجة لفراغ الخزينة .[449]

فقام بإقطاع القادة والجند إقطاعات زراعية بدلاً من الدفع النقدي ومن هنا بدأ ما يعرف بالإقطاع العسكري الذي حدد مسكويه (ت421هـ/1030م) أصله قائلاً " ...أن الإقطاع العسكري أصله بويهي وان معز الدولة هو أول من أقطع قواده وجنده الضياع السلطانية ... " .[450]

وعانى الغرب الأوروبي أيضًا من نفس الظروف ؛ إذ عمت الفوضى الإمبراطورية وانتشر الخراب والفساد نتيجة لانقسامها إلى ثلاث ممالك متناحرة فيما بينها , ويضاف إلى ذلك التهديد الخارجي المستمر لحدود الإمبراطورية , وإزاء هذه الأوضاع ونتيجة لفراغ الخزينة اضطر شارل مارتل إلى منح القادة والجند إقطاعات زراعية بدلاً من الدفع النقدي مقابل قيامهم بالخدمة العسكرية , ومن هنا نشأ الإقطاع الأوربي , وتجدر الإشارة هنا إلى أن الإقطاع المدني لم يتنهِ في الغرب الأوروبي بل ظل ملازمًا للإقطاع العسكري .[451]

3- التشابه في بعض التنظيمات الإقطاعية :

اتفق النظامان الإقطاعيان الإسلامي والأوروبي على أن الأرض هي قوام المجتمع الإقطاعي الذي قام في جوهره على أساس العلاقة الشخصية والاقتصادية والعسكرية التي ارتبطت بحيازة الأرض , ترتب عليها مجموعة التزامات سيأتي ذكرها فيما بعد .

تشابه النظامان أيضًا في طريقة توزيع إقطاعات الجندي الواحد في عدة أماكن وهو ما عرف ببعثرة الإقطاعات ؛ ففي المشرق الإسلامي قام الوزير السلجوقي نظام الملك الطوسي بتطبيق هذا النظام وذلك نتيجة لازدياد نفوذ أصحاب الملكيات الكبيرة , الأمر الذي جعل نظام الملك يطبق هذا التنظيم خوفًا من ازدياد تعاظم نفوذ أصحاب هذه الطبقة أكثر من ذي قبل , ولكنه بواسطة هذا النظام يحد من تلك القوة التي يمكن أن تهدد الدولة .[452]

وجد هذا التنظيم أيضًا في إنجلترا زمن الملك وليم الفاتح والذي عاصر الملكية الفرنسية ورأي ما حل بها نتيجة لتعاظم نفوذ كبار الملاك , فلجأ إلى بعثرة إقطاعات الجندي الواحد في أماكن مختلفة من الدولة لكي لا يتمكن المقطع من جمع أنصار حوله وبالتالي يهدد بهم الدولة.[453]

---

449 مسكويه , تجارب الأمم , الجزء15 , ص 281 . آشتور , التاريخ الاقتصادي , ص 230 ..

450 نفس المصدر , الجزء15 , ص 281 .

451 عاشور , حضارة ونظم , ص 397 , 380 . كوبلاند , الإقطاع , ص 60 - 65 . مدني , تاريخ العصور الوسطى , ص 432 - 434 .

452 البنداري , أل سلجوق , ص 55 , 56 . ابن الأثير , الكامل , الجزء 10 , ص224 . الطوسي , سياست نامه , ص 76 .

453 كانتور , العصور الوسطى , ص 343 . انظر أيضًا :

- Painter , Sidney , the Rise of , P . 25 – 30 . Sellery , Medieval Civilization , P, 174 , 175 .

ويتفق النظامان أيضًا في وجود نظام الإلجاء الإقطاعي (الحماية) الذي لجأ إليه صغار الملاك وبعض الفلاحين الأحرار الضعاف ؛ إذ قاموا بمنح أراضيهم لكبار الملاك أو لأحد القادة الأقوياء مقابل حصولهم على الحماية التي كانت أهم شيء بالنسبة لهم , فعملوا في أراضيهم كمستأجرين لها وليس كملاك كما كانوا .[454]

واتفق النظامان على تعاظم نفوذ المقطعين أكثر من ذي قبل ؛ ففي المشرق الإسلامي توسعت ملكيات القادة وأصبحت وراثية فيما بعد بل حتى أن ألقاب أصحابه أصبحت وراثية , وهذا نجده جليًا في العهد السلجوقي الذي ظهرت فيه الأتابكيات ـ وهو نظام عسكري وإداري ـ الذي قام به القادة والجنود البارزون في الدولة والذين سيطروا على أقاليم شاسعة وجمعوا حولهم عددًا كبيرًا من الأنصار , وأصبحوا يتمتعون باستقلال تام عن جسم الدولة السلجوقية ونتج عن ذلك الاستقلال ظهور دولة آل زنكي التي أصبحت من أقوى الدول مواجهة للحملات الصليبية .[455]

وهذا نجد له نظيرًا في الغرب الأوروبي وخاصة في فرنسا التي وصل ضعف ملوكها الحد الذي ازداد فيه نفوذ السادة الإقطاعيين نتيجة لما جمعوه تحت أيديهم من ثروات طائلة وأراض زراعية شاسعة استطاعوا منى خلالها تكوين حكومات مستقلة عن جسم الدولة , إذ وصل عددهم ما يقرب (ستة وخمسين) أسرة إقطاعية , كما أن ألقابهم أيضًا أصبحت وراثية , ومن هنا صارت فرنسا عبارة عن مجموعة من الإقطاعيات الكبيرة المستقلة عن جسم الدولة.[456]

واستطاع السلاجقة مد نفوذهم إلى إيران والعراق وأسيا الصغرى , وأكثر بلاد الشام واليمن.وهذا مشابه لما قام به وليم الفاتح الذي بسط نفوذه على كامل المملكة الإنجليزية وتنصيب نفسه ملكًا عليها .[457]

وجد تشابه بين عملية المسح التي قام بها نظام الملك ووليم الفاتح وكان الهدف من هذه السجلات هو التعرف على أوضاع البلاد الاقتصادية المالية والاجتماعية , وإحصاء عدد السكان.[458]

---

454 إسماعيل , سوسيولوجيا , الجزء 6 , ص15 . آشتور , التاريخ الاقتصادي , ص 233 .

455 أشتور , التاريخ , ص 213 -214 . رباح , تاريخ المشرق , ص 235 - 236 . كاهن , تاريخ , 246 - 247 .

456 Durant , The Age of , P. 553 . Strayer , Joseph , R .Western , Appltn century crofts. P . 63 . Painter , Sidney , the Rise of , P 14 – 16 .

456 زيادة , عالم العصور , ص 98 , 99 . انظر أيضًا :

-Ganshof , Feudalism , P . 160 . Scott , Medieval Europe , P . 152 .

457 البنداري , دولة آل سلجوق , ص55 -56 . انظر أيضًا .

_ Ganshof , Feudalism , P .160 .

458 الطوسي , سياست نامه , ص 170 . المقريزي , الخطط , الجزء 1 , ص95 .

_ Ganshof , Feudalism , P . 160 . Strayer , The Western Europe , P, 63 .

4- التشابه من حيث الالتزامات المفروضة :

اشترك النظامان الإسلامي والأوروبي في سلسة من الالتزامات التي فرضت على السادة الإقطاعيين والفلاحين منها التزامات مفروضة على السادة : إدلاء يمين الولاء , تعهد المقطع تقديم المعونة المالية للدولة وتقديم الهدايا في حالة تولي سلطان أو ولي عهد جديد في المشرق الإسلامي , أو تولي ملك أو حصول ابنه على لقب فارس في الغرب الأوروبي , وتقديم عدد من الجند للدولة عند الحاجة لهم فتوجب على المقطعين تجهيزهم بكامل عدتهم وعتادهم , والاشتراك في تشكيل الجيوش ومنها الجيوش التي تشكلت للمشاركة في الحملات الصليبية ـ الغرب الأوروبي ـ أو تلك التي تشكلت لمواجهة الحملات الصليبية . ودفع مبالغ مالية للدولة بشكل سنوي , وذكر اسم السلطان على المنابر في خطب الجمعة وهذا طبق في المشرق الإسلامي , ثانيها الضرائب المفروضة على الفلاحين : إذ فرض السادة المقطعون عدد من الضرائب على الفلاحين , وإجبار الفلاحين على العمل بالسخرة , [459]

5- التشابه في النتائج المترتبة على الإقطاع :

تحولت الأراضي الزراعية إلى ملكيات خاصة ولهذا عدة نتائج منها إيجابية أدت إلى : تحسن الزراعة وتعدد أنواع المحاصيل الزراعية سواءً في الغرب الأوروبي أو المشرق الإسلامي , إذ حرص كل مقطع على تحسين إقطاعه وتحسين طرق الزراعة لكي تدر الدخل المناسب الذي يغطى نفقات السيد والفلاح , ولكن لهذا نتائج سلبية أدت إلى التجزئة السياسية وتدهور العمران في المنطقتين لأن المقطع حرص على ازدهار أقطاعه ولم يلتفت إلى الأراضي الخارجة عن إقطاعه . [460]

ويضاف إلى تلك النتائج السلبية أثر الإقطاع في المشرق الإسلامي سلبًا على الحياة الاقتصادية ؛ فأدى إلى سوء توزيع الموارد الطبيعية , وظهور الطبقات , وانتشار الظلم الاستغلال للفلاح الذي عاش حياة بائسة , كما أثر أيضًا على انتشار الأمراض والأوبئة وارتفاع الأسعار[461], وهذا مشابه تمامًا لما حصل في الغرب الأوروبي من ظهور الطبقات وما رافقها من استغلال الفلاحين الذين تحولوا إلى طبقة عبيد الأرض ـ الأقنان ـ , كما أدي إلى ظهور الأوبئة والأرض , وانتشار المجاعات . [462]

---

[459] الراوندي , راحة الصدور , ص 202-203 . الأصفهاني , أل سلجوق , ص 60 . الطوسي , سياست نامة , ص 76 . أبو نصر , السلاجقة , ص 382 . طرخان , النظم , ص 184 . بيشوب , تاريخ أوروبا , ص 122 , 123 . انظر أيضًا :

-Ganshof , Feudalism , P . 94 , 129 .

[460] إسماعيل , سوسيولوجيا , الجزء 6 , ص 16 .

[461] ابن مسكويه , تجارب الأمم , الجزء 5 , ص 293 . خليل , الإقطاع الشرقي , ص 164 . الدوري , المقدمة , ص 87 - 95 .

[462] عمران , حضارة أوروبا , ص 67 . انظر أيضًا .

-David , The History , P. 84 . Durant , The Age , P . 555 .

6- التشابه في وجود تسلسل إقطاعي :

عرف النظام الإقطاعي تسلسلاً إقطاعيًا والهرمية الإقطاعية سواءً في المشرق الإسلامي أو في الغرب الأوروبي ؛ إذ وجد السيد الأعلى (Overlord) السلطان السلجوقي , الملك أو الإمبراطور , السيد الأوسط (Medius lord) الأمير أو السيد الإقطاعي , التابع (Vassal) , تابع التابع (Subtenant) الفلاح .[463]

7- التشابه في أنواع الإقطاعات :

وجد تشابه كبير في أنواع الإقطاعات المقطعة في النظامين الإسلامي والأوروبي منها : إقطاعات الملوك أو الأباطرة والهدف منها كسب ود هؤلاء الأشخاص الذين يتمتعون بنفوذ كبير , إقطاعات السادة أو الأمراء , إقطاعات القادة أو الجند .

<u>ثانيًا : أوجه الاختلاف :</u>

1/ الاختلاف في التعريف :

الإقطاع الأوروبي يعني خضوع رجل حر لرجل حر آخر هو السيد , وأدى له يمين الولاء والخدمة ولاسيما الخدمة الحربية نظير ذلك التزم السيد بحماية تابعه والإنفاق عليه ثم تطور الأمر إلى حد منحه قطعة أرض اتخذت اسم إقطاع , إذًا فالإقطاع يحدد موقف الشخص بمن هو أعلى منه ومن هو أدنى منه , وهذا لم يحدث في المشرق الإسلامي .

2/ الاختلاف من حيث الخصائص الإقطاعية :

ساعد الإقطاع الإسلامي على الدفع بحركة التجارة والصناعة , وذلك لحاجة المقطع إلى الأسواق لبيع فائض إنتاجه في أي سوق يناسب بضائعه أو يرغب به , فكان له الحق في تحديد السعر الذي يراه مناسبًا وفقًا لأسعار السوق , وأيضًا له الحق في شراء البضائع التي يريد . كما كان الإقطاع الإسلامي عاملاً مشجعًا على قيام النشاط الحرفي وتقدمه .[464]

في حين كان الإقطاع الأوروبي متسمًا بالجمود والانغلاق ؛ إذ تقلصت التجارة وتدهورت الحرف ؛ وذلك بسبب سياسة الاكتفاء الذاتي التي اعتمد عليها الإقطاع حيث أن كل إقطاعية تنتج وتستهلك جميع احتياجاتها وأن احتاجت لبعض المنتجات مثل بعض الأخشاب أو بعض المعادن فإنها تحتاج إلى جهد كبير لتجد السوق المناسب لهذه البضائع , ولكن وعلى الرغم من ذلك كانت هناك عمليات تبادل تتم بين الإقطاعيات فالفلاح كان لا يسمح له ببيع فائض إنتاجه إلا بعد فراغ سيده من بيعه بأسبوعين ـ فيما يبدو ـ أنها أسواق بسيطة .[465]

---

[463] طرخان , النظم , ص 54 .
[464] حلمي , السلاجقة , ص 200 . الصلابي , السلاجقة , ص 150 .
[465] عاشور , حضارة ونظم , ص 414 . كوبلاند , الإقطاع , ص 104 .

3- الاختلاف من حيث التنظيمات الإقطاعية :

لم يكن الإقطاع الإسلامي قائمًا عوضًا عن السلطة المركزية , بل كانت الدولة تتولى عملية الإشراف على الإقطاعات فنظام الملك الطوسي قام بإرسال مندوبين عنه لتفقد أحوال الإقطاعات والفلاحين ومعاقبة المخالفين , ومن هنا فأن جميع الإقطاعيات خاضعة لسلطة الدولة , هذا كان في أوائل الحكم السلجوقي ولكن في أواخر السلطة السلجوقية ونتيجة لضعف السلاطين استقلت الإقطاعيات بنفسها وكونت دول مستقلة .[466]

إما الإقطاع في الغرب الأوروبي فقد كان بديلاً عن الدولة وذلك لأن كل إقطاعية تشكل حكومة مستقلة عن غيرها . هذا في فرنسا , أما في انجلترا فقد سيطر وليم الفاتح على كل الإقطاعات وعمل على إجبار السادة الإقطاعيين على الإدلاء بيمن الولاء له لكي يعرف التابع أن سيده لديه سيد أعلى منه فإذ صدرت منه أهانه توجه التابع للملك مباشرة ورفع قضيته .[467]

واختلف النظامان أيضًا في اعتماد الإقطاع الأوروبي على الكنيسة التي عملت على تدعميه من خلال صبغ رابطة الولاء بالصبغة الدينية المتمثلة في قسم يمين الإخلاص على الإنجيل , كما أنها قامت بتطبيق النظام الإقطاعي وامتلكت مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية كانت أكبر من المساحات التي يمتلكها الإمبراطور نفسه . في حين لم يكن لرجال الدين في الإقطاعي الإسلامي أي تأثير .[468]

وشمل النظام الإقطاع في الغرب الأوروبي لكل مناحي الحياة فكان بذلك هو النظام الوحيد الذي طبقه الغرب الأوروبي في العصور الوسطى , أما المشرق الإسلامي فلم يكن الإقطاع يشمل لكل مناحي الحياة بل كان عبارة عن تنظيم اقتصادي ومالي ثم عسكري فيما بعد .

وتفرد الإقطاع الإسلامي في العهد البويهي والسلجوقي بإقامة السيد الإقطاعي في المدن وتعيين وكلاء عنه لإدارة شوؤن الإقطاع , وهذا أدى إلى خراب الأراضي الزراعية ؛ وذلك لان هؤلاء الوكلاء لم يكن همهم الوحيد هو جمع أكبر قدر من الأموال , وهذا لم يعرفه الغرب الأوروبي الذي تميز بازدهار الإقطاعيات وانتعاش الزراعة وذلك لأن السيد الإقطاعي كان يشرف مباشرة على الإقطاع لأنه كان مقيمًا فيه .[469]

وكان السيد المقطع في الإقطاع الذي ساد الغرب الأوروبي غير خاضع لتدخل الدولة في أقطاعه , فهو يتولى جميع السلطات داخل إقطاعيته ويتصرف فيها بما يروق له إذ مارس القضاء وفرض الضرائب والرسوم التي أثقلت كاهل الفلاح الأوروبي , أما السيد أو الأمير في

---

[466] الطوسي , سياست نامه , ص 170 . المقريزي , الخطط , الجزء1 , ص95 . أشتور , التاريخ , ص 213 -214 . رباح , تاريخ المشرق , ص 235 - 236 . كاهن , تاريخ , 246 - 247 .

[467] Ganshof , Feudalism , P . 160 . Scott , Medieval Europe , P . 152 .

[468] كانتور , التاريخ الوسيط , القسم 1 , ص 342 . انظر أيضًا :

-Lamonte , The World of ,P. 222 .

[469] مسكويه , تجارب الأمم , الجزء 5 , ص 290 . لامبتون , نظرات , ص 283 . طرخان , النظم , ص 23. انظر أيضًا :

- Ganshof , Feudalism , P . 161 .

ظل الإقطاع الإسلامي فقد كان محدود السلطات وخاضعًا لمراقبة الدولة وموظفيها باستمرار .ومن هنا تفرد الإقطاعي الإسلامي بخاصية تبديل الإقطاعات ومصادرتها من قبل الدولة . [470] إذا ما أخل المقطع بالالتزامات المؤرخة عليه تجاه الفلاحين المقيمين بالإقطاع .

وكانت الإقطاعات في المشرق الإسلامي غير وراثية بل مؤقتة بمدة معينة , إذ كان نظام الملك يغير السادة كل سنتين أو ثلاث سنوات من مكان لأخر وبهذا الإقطاعات لم تكن وراثية , ولكن تغيرت فأصبحت وراثية في نهاية الدولة السلجوقية مع ظهور نظام الأتابكيات . [471]

وأما الإقطاعات في الغرب الأوروبي فقد بنيت على الوراثة فإذا توفي السيد أو التابع انتقل الإقطاع مباشرة لابن الأكبر ليصبح هو مالكها أو المشتغل عليها فظهر تبعًا لذلك نظام تعدد التبعية إذ اضطر أحيانًا الابن الأكبر إلى قبول الأرض التي كان والده يشتغل بها فيصبح بذلك تابع لسيد والده إضافة إلى تابعيته لسده الأول . وبهذا فلم يعرف النظام الإقطاع الإسلامي تعدد التبعية الذي عرفه الإقطاعي الأوروبي . [472]

وحكمت علاقة الفلاح بالسيد الإقطاعي في الغرب الأوروبي عدة قيود وضوابط منها العقد الإقطاعي الذي حدد حقوق وواجبات الطرفين , وهذا لم يوجد له نظير في المشرق الإسلامي . وكان الفلاح في الغرب الأوروبي يقطع مع الأرض التي يعمل عليها , بينما لم يوجد ذلك في المشرق الإسلامي .

وتفرد الإقطاع الإسلامي بمعرفة نظام الضمان والذي يعني قيام الأمير بتضمين منطقة أو إقليم لأحد أتباعه بهدف الحصول على أكبر قدر من الأموال , ولم يوجد لهذا نظير في الغرب الأوروبي . [473]

وجد في النظام الإقطاعي للغرب الأوروبي محاكم محلية داخل الإقطاعية تحت سلطة السيد وكانت تنظر في كل القضايا وأخرى خارج الإقطاعية وتقع تحت حكم الإمبراطور أو الملك وكانت مهمتها تقتصر على البت في القضايا الخاصة بالإعدام [474]. وهذه المحاكم لم يعرفها النظام الإقطاعي الإسلامي .

---

[470] الطوسي , سياست نامة , ص 76 . أشتور , التاريخ , ص 276 . العريني , تاريخ أوربا , ص 397 . عمران , حضارة أوروبا , ص 82 . انظر أيضًا ـــــ

- Painter , The Rise of the , P , 12 .

[471] الطوسي , سياست نامة , ص 76 . أشتور , التاريخ , ص 213 -214 . رباح , تاريخ المشرق , ص 235 - 236 . كاهن , تاريخ , 246 - 247 .

[472] Keen , Medieval Europe , P . 56 .

[473] زيدان , التمدن الإسلامي , الجزء 1 , ص 244 . كاهن , تطور الإقطاع , ص 220 .

[474] ديورانت , قصة الحضارة , الجزء 14 , ص 430 . العريني , تاريخ أوربا , ص 397 . عمران , حضارة أوروبا , ص 82 .

4- الاختلاف في تركيبة الجيوش الإقطاعية :

عرف الغرب الأوروبي نظام الفروسية الذي تكون في العادة من أبناء النبلاء الذين التحقوا به, فكان وقف طقوس معينه يتم بها تدشين الشخص وإطلاق عليه كلمة فارس , وهذا لم يعرف في الإقطاع الإسلامي . (475)

وعلى الرغم من أن النظام الإقطاعي في المشرق الإسلامي قام على أساس الخدمة الحربية ولكنه لم يعرف الحروب التي عرفها الإقطاع الأوروبي وذلك لأن القادة والجند كان عليهم المشاركة في الحروب التي يقوم بها السلطان لمحاربة أحد المتمردين عليه أو لمهاجمة أعداء الإسلام , وهم غير خاضعين لسلطة سيد إقطاعي . (476)

في حين تعددت الحروب الإقطاعية التي عرفها الغرب الأوروبي منها الحروب الخاصة بالسيد الإقطاعي والتي أجبر الفلاح على المشاركة فيها وخاصة في حالة الحروب الدفاعية أما الحروب الهجومية فقد تحددت مدتها بأربعين يومًا في السنة , كما أوجد الفرسان نظام المبارزة في أوقات الفراغ والذي يتحصل بموجبه الطرف الغالب على شرف كبير وكانت هذه المبارزات تتم في العادة بين أسرتين متخاصمتين . (477)

5- الاختلاف من حيث أنواع الأراضي المقطعة ومصطلحاتها :

عرف المشرق الإسلامي عدة أنواع من الإقطاعيات منها : ـ إقطاع الاستغلال (إقطاع المنفعة ـ إقطاع الاستغلال ـ إقطاع الرقبة) , إقطاع أراضي الموات و الصوافي , إقطاع الأراضي الخراجية , إقطاعات أراضي الوقف , أقطاع الضياع السلطانية , وهذا لم يوجد له نظير في الغرب الأوروبي الذي عرف الإقطاع التمليك وعرف الأراضي الزراعية والمراعي البور.

كما ظهرت في المشرق الإسلامي عدة صيغ للإقطاع منها الإلجاء , الإيغار , التلجئة , الطعمة .... ألخ من الصيغ الإقطاعية التي لم يعرفها الغرب الأوروبي .

واختلف النظامان أيضًا في الألفاظ التي تطلق على الأشخاص الذين يتولون عمليات الزراعة أو الإقطاع أو المسئولين عنها في المشرق الإسلامي : الأشخاص الذين يقطعون الأراضي " السلاطين (معز الدولة ـ عضد الدولة ـ ركن الدولة ... ألخ) , الأمراء , الوزراء منهم نظام الملك الطوسي الوزير السلجوقي , القادة , الجند . أما الفلاحون فقد كانوا في أغلبهم من الأحرار.

في حين عرف النظام الإقطاع في الغرب الأوروبي ألفاظًا مثل الإمبراطور, الملوك , الأدواق, الكونتات , الفيكونتات الماركيز , القادة , الجند , رجال الكنسية " الراهب ـ القس ـ الأسقف " , أما الفلاحين فقد كانوا إما عبيدًا , أو أحرارًا , أو أقنانًا .

---

475 Dance , The Middle Ages , P , 157 . Durant , The Age of , P . 569 .

476 بانتر , تاريخ الحروب , ص 23 .

477 الشيخ , حضارة ونظم , ص 29 . كانتور , التاريخ الوسيط , القسم 1 , ص 340 . كولتون , معالم العصور الوسطى , ص38 هامش رقم 1 .

كما أطلق الغرب الأوروبي على الإقطاع اسم الضياع أو القرى أو العزب , وهذا لم يوجد له نظير في المشرق الإسلامي .[478]

وعرف الغرب الأوروبي نوعين من الأراضي هي الأراضي الزراعية والتي تقوم على تخصيص حصص معينة لكل فلاح تتناسب مع عدد أفراد أسرته , وأراضي المراعي ـ البور ـ وهي مخصصة لرعي الحيوانات وهي تابعة للسيد , ولكن يحق لجميع الفلاحين استغلالها. [479]

6- الاختلاف من حيث الاحتكارات :

لقد تمتع السيد الإقطاعي في الغرب الأوروبي بعدد من الواجبات التي فرضها على الفلاحين والتي سميت احتكارات منها إجبار الفلاحين على استقبال السيد وأفراد حاشيته , إجبار الفلاح على طحن حبوب ورعي المواشي وعصر العنب وصنع الخبز في مطحنة ومعصرة وفرن السيد . [480]

وهذا لم يوجد له نظير في المشرق الإسلامي الذي مارس فيه المقطع عددًا من الفروض على الفلاحين .

إن غياب التفاصيل الدقيقة حول تطور الإقطاع العسكري الإسلامي قياسًا بما يتوفر بين أيدينا من الدراسات المفصلة حول الإقطاع الأوروبي , تحول دون المقارنة المعمقة لأوجه الشبه والاختلاف ,غير أن الفرق الجوهري بين الإقطاعية الإسلامية والأوروبية أن الإقطاع العسكري في العصرين البويهي والسلجوقي هو إقطاع استغلال , وإقطاع التمليك , ويتألف أساسًا من الأرض الخراجية , وهو بديل للراتب , على عكس الإقطاع الأوروبي الذي هو إقطاع تمليك .

كما أن الإقطاع العسكري الإسلامي لا يتضمن أي حقوق سيادية على الفلاحين المقيمين في الإقطاع , على عكس الإقطاع الأوروبي الذي أتى بالفلاح إلى وضع القنانة والعبودية , وعلاقة المُقطع بالأرض في الإقطاع الإسلامي هي علاقة موارد , وهو تحيل الضرائب المؤرخة على الإقطاع , وما عدا ذلك فالفلاح يملك , الحرية , وهذا ما وضحه نظام الملك في كتابه سياست نامه , غير أنه مع ظهور نظام الأتابكيات في أواخر العصر السلجوقي أصبح الإقطاع العسكري أكثر ميلاً إلى التوريث , غير أنه توريث لحق المنفعة لا لرقبة الأرض , وهو ما صبغ لتطور الإقطاع في الفترات اللاحقة في عصر الدولتين الأيوبية والمملوكية .

---

[478] العريني , الحضارة والنظم , القسم1 , ص 59 .

[479] بيرين , تاريخ أوروبا , ص 70 . ترحيني , معالم , ص 145 . كوبلاند , الإقطاع , ص 30 .

[480] . كوبلاند , الإقطاع , ص 35 . يوسف , تاريخ العصور, ص 133 , 134 . انظر أيضًا :
-Durant , The Age of , P. 560 . Ganshof , Feudalism , P . 129 , 1

الخاتمة

يتضح لنا من هذه الدراسة أن المشرق الإسلامي عاني من تردي في الأحوال الاقتصادية والتي أدت إلى ظهور نام الإقطاع العسكري , الذي طبقه البويهيين نتيجة لحاجتهم لأموال لسد رواتب الجند التي توقفت بسبب لقلة الأموال الناتجة عن سوء الإدارة وضعف الخلفاء العباسيين. وبحكم أن البويهيين عناصر غير عربية لذا لم يكن يهمهم شيء سوى الحصول على الأموال اللازمة لتغطية احتياجات القادة والجند , الذين يعدون أساس لسلطة البويهيين السياسية .

ولكن وعند استعراضنا لحكم بأهم الأمراء البويهن ولاسيما معز الدولة وعضد الدولة , لاحظنا الإصلاحات الاقتصادية التي عملوا على تطبيقها لتلافي العجز القائم في الدولة , غير أن هذه الإصلاحات لم تنجح إلا لفترة بسيطة , ولعل ذلك يعود لأنها حلول أنية من جهة ومتقطعة من جهة أخرى .

وإذ انتقلنا للسلاجقة نجد أن دولتهم كانت عسكرية بحتة قائمة على القادة والجند , ولكن وبسبب الفراغ الذي كانت تعاني منه خزينة الدولة لجأ السلاجقة إلى تطبيق وتعميم النظام الإقطاعي العسكري , نجد الوزير نظام الملك الطوسي قام بإرساء قواعده وتعميمه في كل البلاد التي حكمها السلاجقة , فقسم الأراض إلى إقطاعيات ووضع على رأس كل منها حاكم عسكري إقطاعي يعتبر مسؤول عنها .

يتضح إن النظام الإقطاعي العسكري الإسلامي كان إقطاع استغلال , ولكن وبظهور الأتابكيات السلجوقية ظهر ميل إلى تحويل الإقطاع إلى توريث .

كانت القوانين التي وضعها نظام الملك تحتم على كل حاكم إقطاعي تقديم عشر وارد الأراض التي يشرف عليها للخزينة , ولكن شيء من ذلك لم يحصل , إذ عمل الإقطاعيين على تطبيق سياسية تعسفية بحق الفلاحين , حيث أساءوا إليهم وفرضوا عليهم ضرائب باهظة , أدت إلى قيام الفلاحين بترك الأراض , يضاف إلى ذلك لجأ المقطعين إلى استبدال الأراض التي أصبحت غير صالحة للزراعة و لا تدر الأموال اللازمة بأخرى صالحة للزراعة , وهذا أدي إلى تحول الأراض إلى بور ومن ثم قلت المواد الغذائية وارتفعت الأسعار .

إن النظام الإقطاعي العسكري الذي عرف الغرب الأوروبي , له قواعد وقوانين وأسس حكمت علاقة الفلاح مع المقطع , وعلاقة المقطع مع الدولة , ولكن هذا لم يعني بأي حال من الأحوال الفوضى والتشتت , بل كانت العلاقة تعاقدية مبنية على أساس وشروط واضحة بين الفلاح والسيد الإقطاعي تمثلت في الحقوق والواجبات الإقطاعية .

ولكن هذا لا يعنى أن سلطة الملك كانت قوية فالملك الفرنسي كان ضعيف وليس لديه من القوة والنفوذ ما يباشر به سلطته في الدولة , وهذا على عكس ملك إنجلترا الذي تمتع بشخصية قوية جعلته يطبق النظام الإقطاعي في دولته بشكل كامل , كما جعلته يقوم بمسح شامل لعدد السكان ووضع قوانين تحكم حياتهم .

ومن خلا استعراضنا لنظام القرى تبين أن القرى أو الضياع هي المكان الذي يطبق فيه الإقطاع الأوروبي , وذلك لوجود كل أسس النظام من بين السيد وكوخ الفلاح والكنيسة وقطعة الأرض التي هي قوام المجتمع الإقطاعي .

حدد الإقطاع العسكري الأوروبي وضع المقاتلين ونظام حياتهم , وعي حين حدد نظام الضيعة الأوضاع الاقتصادية والعلاقات الاجتماعية لأهم طبقات المجتمع الإقطاعي , ونلاحظ هنا أن الأرض هي رابط بين النظامين .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية

1/ ابن آدم , يحي بن آدم القرشي (ت 203 هـ / 818 م) , الخراج , تحقيق : حسين مؤنس , ط1 , دار الشروق القاهرة , 1987 م.

2/ ابن أعثم , أبو محمد بن أحمد بن أعثم الكوفي (ت 314 هـ / 926 م) , الفتوح , 8 أجزاء , ط1 , دار الكتب العلمية , بيروت , 1986 م .

3/ الأصفهاني , عماد الدين محمد (ت 597 هـ / 1200م) , تاريخ دولة آل سلجوق , ط1, (د.ن) , بيروت , 2004 م.

4/ البغدادي , أبو بكر أحمد بن علي الخطيب (ت 463 هـ / 1070م) , تاريخ مدينة بغداد , الملكية السلفية , المدينة المنورة , (د , ت) .

5/ البغدادي , صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت 739 هـ / 1338 م) , مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع , تحقيق : علي محمد البجاوي , 3 أجزاء , ط1 , دار الجيل , بيروت , 1992 م .

6/ البلاذري , أحمد بن يحي بن جابر (ت 279 هـ / 892 م) فتوح البلدان , تعليق : رضوان محمد رضوان , ط1 , المطبعة المصرية بالأزهر , مصر , 1931 م .

7/ .... , جُمل من أنساب الأشراف , تحقيق : سهيل زكار ورياض زركلي , 13جزء , ط1 , دار الفكر , بيروت , (د.ت).

8/ ابن تغري بردي , جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت 874 هـ / 1419 م) , النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة , تحقيق : محمد حسين شمس الدين , 16 جزء , دار الكتب العلمية , بيروت , 1992 م .

9/ ابن الأثير , عز الدين أبو الحسن علي بن محمد (ت 630 هـ / 1232 م), الكامل في التاريخ , تحقيق : أبي الفداء عبد الله القاضي , 12 جزء , دار الكتب العلمية , بيروت , 1987م .

10/ ابن الجوزي , عبد الرحمن بن علي (ت 597 هـ / 1200 م) , المنتظم في تاريخ الملوك والأمم , تح : محمد ومصطفى عكا , 18جزء , ط2 , دار الكتب , بيروت , 1992 م .

11/ ابن حزم , أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الظاهري الأندلسي (ت 456 هـ / 1063 م) , جمهرة أنساب العرب , تحقيق : عبد السلام محمد هارون, ط5, دار المعارف , القاهرة ,(د.ت).

12/ **الحسيني** , صدر الدين بن علي (ت622 هـ / 1225م) , أخبار الدولة السلجوقية , ترجمة : محمد إقبال , لاهور , (د , م) , 1933 م .

13/ **ابن حوقل** , أبي القاسم محمد الحوقلي البغدادي (ت 367 هـ / 977 م) , المسالك والممالك , طبعة بريل , لندن , 1873 م.

14/ **الحموي** , شهاب الدين أبو عبيد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت 626 هـ / 1228م) معجم البلدان , تحقيق : فريد عبد المنعم الجندي , 7 أجزاء , ط1 , دار الكتب العلمية , بيروت , 1990 م .

15/ **ابن خلدون** , عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت 808 هـ / 1405م) , تاريخ ابن خلدون المسمى بديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر , 8 أجزاء, ط2 , دار الفكر العربي , بيروت , 1988 م .

16/ **ابن خلكان** , أبو العباس شمس الدين أحمد بن إبراهيم (ت 681 هـ / 1282م) , وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان , تحقيق : إحسان عباس , 8 أجزاء , دار صار بيروت , 1968 م

17/ **الخوارزمي** , أبو عبد الله محمد بن أحمد يوسف الكاتب (ت 387 هـ /997 م) , مفاتيح العلوم , دار الكتب العلمية بيروت , (د.ت) .

18/ **خياط** , خليفة ابن خياط (ت240 هـ /854 م) , تاريخ خليفة ابن خياط , تحقيق : أكرم العمري , دار الرسالة , بيروت , 1977 م .

19/ **الذهبي** , أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الشافعي (ت 748 هـ / 1314 م) , سير أعلام النبلاء , تحقيق : شعيب الأرناؤوط , 25 جزء , ط7 , مؤسسة الرسالة , بيروت , 1990 م.

20/ **الراوندي** , محمد بن علي بن سليمان (ت 599 هـ / 1202 م) راحة الصدور وأية السرور , ترجمة : إبراهيم أمين الشواربي وآخرون , (د.ن) , القاهرة , 1960 م .

21/ **الرازي** , أبو بكر محمد بن زكريا (ت313هـ / 925م) , الحاوي في الطب , تحقيق : هيثم خليفة طعيمى , دار إحياء التراث العربي , بيروت , 2003 م.

22/ **السمعاني** , أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت 562 هـ/ 1116 م) , الأنساب , تعليق : عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني , 12 جزء , ط2 , مكتبة ابن تيمية , القاهرة , 1980 م.

23/ **أبو شجاع** , محمد بن الحسين بن محمد بن عبد الله الروذراوري (ت 884هـ / 1095 م) , ذيل كتاب تجارب الأمم , تحقيق : أبو القاسم أمامي , ط1 , دار الكتب العلمية , بيروت , 2003م.

24/ الصابي , إبراهيم بن هلال (ت 384هـ / 994 م) , المنتزع من كتاب التاجي , تحقيق : محمد الزبيدي , دار الحرية , بغداد , 1977 م.

25/ الصابي , هلال بن المحسن (ت448 هـ / 1056م) رسوم دار الخلافة , تحقيق : محمد ميخائيل عواد , ط2 , دار الرائد العربي , بيروت , 1986 م.

26/ ...... , الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء , تحقيق : خليل المنصور , ط1 , دار الكتب العلمية , بيروت , 1998 م.

27/ الإصطخري , أبو إسحاق بن محمد (ت القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) , المسالك والممالك , تحقيق : محمد جابر عبد العال , (د.ن), القاهرة , 1961 م .

28/ الصفدي , صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي (ت 763 هـ / 1361 م) , الوافي بالوفيات , تحقيق : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى , 29 جزء , ط1 , دار إحياء التراث العربي , بيروت , 2000 م .

29/ الصولي , محمد بن يحي (ت 335 هـ/ 946 م) , أخبار الراضي بالله والمتقي , تحقيق : ج. هيورث , ط2 , دار المسيرة , بيروت , 1979 م .

30/ الطبري , أبو جعفر بن جرير (ت 310 هـ / 922 م) , تاريخ الرسل والملوك , تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم , 13 جزء , ط4 , دار المعارف , بيروت , (د , ت) .

31/ ابن الطقطقي , محمد بن علي بن طباطبا (ت 709 هـ / 1309 م) , الفخري في الآداب السلطانية و الدول الإسلامية , دار صادر , بيروت , (د.ت) .

32/ الطوسي , نظام الملك , سير الملوك أو سياست نامه , ترجمة : يوسف بكار , مكتبة الأسرة , عمان , 2012 م.

33/ ابن عبد الحكم , أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت 257 هـ / 871 م) , فتوح مصر والمغرب , تحقيق : عبد المنعم عامر , جزأن , الهيئة العامة للطباعة والنشر , (د.م) , 1961 م.

34/ أبو عبيد , القاسم بن سلام (ت 664هـ / 837 م) , الأموال , تحقيق : محمد عمارة , ط1 , دار الشرق , بيروت , 1989 م .

35/ ابن العديم , كمال الدين عمر بن أحمد أبي طردة (ت 660 هـ / 1216 م) , بغية الطلب في تاريخ حلب , تحقيق : سهيل زكار , 11 جزء , دار الفكر , دمشق , 1408 هـ .

36/ ابن عساكر , تقه الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبه الله الشافعي(ت571هـ/1175م) , تاريخ مدينة دمشق , تحقيق : محب الدين أبي سعيد بن عمر بن غرامة العمري , 80 جزء , دار الفكر , بيروت , 1995 م .

37/ ابن العماد , شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن الحنبلي الدمشقي (ت1089هـ/1601م) , شذرات الذهب في أخبار من ذهب , تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرناؤوط , 4 أجزاء , ط1 , دار ابن كثير , دمشق , 1989 م .

38/ قدامه , بن جعفر (ت337هـ/ 948م) , الخراج وصناعة الكتابة , تحقيق : محمد حسين الزبيدي , دار الرشيد , العراق , 1981 م .

39/ ابن القلانسي ,أبو يعلي حمزة بن أسد (ت 555 هـ / 1160م) , ذيل تاريخ دمشق , تحقيق : سهيل زكار , دار حسان , دمشق , 1983 م.

40/ القلقشندي , شهاب دين أحمد بن علي بن أحمد (ت 821 هـ / 1418 م) , صبح الأعشى في صناعة الإنشاء , تعليق : محمد حسنين شمس الدين , 14 جزء , دار الكتب العلمية , بيروت , 1987 م .

41/ .... , مآثر الأناقة في معالم الخلافة , تحقيق : عبد الستار فراح , 3 أجزاء , عالم الكتب , بيروت , 1980 م.

42/ ابن كثير , أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت 774 هـ / 1374 م) , البداية والنهاية , تحقيق : عبد الله بن عبد الحسن , 21 جزء , ط1 , دار هجر , مصر , 1997 م .

43/ ابن لعبون , حمد بن محمد بن لعبون الوائلي الحنبلي النجدي (1260هـ/1844م) , تاريخ ابن لعبون ,ط2 , مكتبة المدني , السعودية , 1408 هـ .

44/ الماوردي , علي بن محمد بن حبيب (ت 450 هـ / 1058 م) , الأحكام السلطانية , تحقيق : أحمد مبارك البغدادي , دار قتيبة , الكويت , ط 1 , 1989 م .

45/ المسعودي , أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت346هـ/957م) , مروج الذهب ومعادن الجوهر , تحقيق : مفيد محمد قميحة ,4 أجزاء , دار الكتب العلمية , بيروت , 1989م

46/ مسكويه , أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت 421 هـ / 1030 م) , تجارب الأمم وتعاقب الهمم , تحقيق : سيد كسُري حسن ,6 أجزاء , دار الكتب العلمية , بيروت , 2003 م .

47/ الفيروز آبادي , مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت817 هـ / 1415 م) , قاموس المحيط , 3 أجزاء , ط1 , مؤسسة الرسالة , بيروت , 1406 هـ .

48/ المقدسي , أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 380 هـ / 990 م) , أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم , تحقيق : شاكر لعبي , دار سويدان , أبو ظبي , 2001 م.

49/ المقريزي , تقي الدين أحمد بن علي (ت 845 هـ / 1331 م) , المواعظ الاعتبار بذكر الخطط والآثار , تحقيق : زينهم و مديحة الشرقاوي , 3 أجزاء , مكتبة مدبولي , القاهرة , 1998م.

50/ **..........** , السلوك لمعرفة دول الملوك , تحقيق : محمد حلمي محمد , لجنة إحياء التراث الإسلامي , القاهرة , 1973 م .

51/ **ابن منظور**,أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور لإفريقي (ت 711هـ/ 1311م) , لسان العرب , 15 جزء , دار صادر , بيروت , (د , ت) .

52/ **ابن هشام** , عبد الملك بن هشام بن أيوب (ت213 هـ/ 828 م) , السيرة النبوية , تحقيق : جودة محمد جودة , 4 أجزاء , ط1 , دار ابن الهيثم , القاهرة , 2009 م.

53/ **أبو يوسف** , يعقوب بن إبراهيم (ت 182 هـ / 798م) , الخراج , دار المعرفة , بيروت , 1979 م .

ثانيًا : المراجع العربية والمعربة :-

1/ **إبراهيم** , حسن وآخرون , معالم التاريخ الأوروبي الوسيط , دار المعرفة الجامعية , الإسكندرية , 2003 م .

2/ **إسماعيل** , محمود , سوسيولوجيا الفكر الإسلامي , ط1 , سينا للنشر , مصر , 2000 م.

3/ **أشتور**, التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى , ترجمة : عبد الهادي عبله , دار قتيبة , دمشق , 1985 م.

4/ **باركر**, أرنست , الحروب الصليبية , ترجمة: السيد الباز العريني , ط4 , دار النهضة العربية , بيروت , (د.ت) .

5/ **ببيز** , نورمان , الإمبراطورية البيزنطية , مطبعة لجان التأليف والنشر , (د.م) , 1950م.

6/ **بروكلمان** , كارل تاريخ الشعوب الإسلامية , ترجمة: نبيه أمين فارس , ط5 , دار العلم للملايين , بيروت , 1968 م .

7/ **بروي**, آدوارد , القرون الوسطى " تاريخ الحضارات العام " ترجمة: يوسف داغر وفريد داغر , 7مجلدات , عويدات للطباعة والنشر , بيروت , 2003 م.

8/ **بيشوب** , موريس , تاريخ أوروبا في العصور الوسطى , ترجمة : علي السيد علي , المجلس الأعلى للثقافة , القاهرة , 2005 م .

9/ **بيرين** , هنري , تاريخ أوروبا في العصور الوسطى (الحياة الاقتصادية والاجتماعية) , ترجمة: عطية القوصى , الهيئة المصرية العامة للكتاب , مصر , 1996 م .

10/ **بيومي ,** زكريا محمد , المالية العامة في الإسلام , مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي , القاهرة , 1979 م.

11/ **ترحيني** , محمد , معالم التاريخ الأوروبي الوسيط , ط1 , دار الهادي , (د , م), 1992م.

12/ **تولد** , بارتولد , تاريخ الحضارة الإسلامية , تحقيق : حمزة طاهر , ط1 , دار المعارف , القاهرة , 1966 م .

13/ **حاطوم** , نور الدين , تاريخ العصر الوسيط , جزأن , دار الفكر العربي , دمشق , 1992م.

14/ **حسنين** , عبد المنعم , دولة السلاجقة , مكتبة الأنجلو المصرية , مصر , 1975 م.

15/ **حسون** , محمد رفعت و أحمد حسون , معالم العصور الوسطى , ط5, (د , ن) ,(د,م) , 1996 م .

16/ **حلمي** , أحمد كمال الدين , السلاجقة في التاريخ والحضارة , دار البحوث العلمية , الكويت , 1975 م.

17/ **الحفنى** , عبد المنعم , موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية , ط1 , دار الرشد , القاهرة , 1993 م.

18/ **خطاب** , محمود شيت , قادة فتح بلاد فارس " إيران " , ط1, دار الفتح , بيروت , 1965م.

19/ **خليل** , فؤاد , الإقطاع الشرقي : بين علاقات الملكية ونظام التوزيع , دار المنتخب العربي , (د.م) , (د.ت) .

20/ **دورانت** , ول وايريل , قصة الحضارة , ترجمة : محمد بدران , (د , ن) ,(د , م) , (د , ت).

21/ **الدوري** , عبد العزيز , مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي , دار الطليعة , بيروت , 1969 م .

22/ **..........** , تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري , دار الشرق , بيروت , 1984 م .

23/ **..........** , دراسات في العصور العباسية المتأخرة , ط1, مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت , 207 م.

24/ **دسوقي** , محمد عزب , القبائل العربية في بلاد الشام , الهيئة المصرية العامة للكتاب , مصر , 1998 م.

25/ الربيعي , إسماعيل نوري , تاريخ أوروبا في العصور الوسطى , ط 1 , دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع , عمان , 2002 م .

26/ رنسمان , ستفين , الحضارة البيزنطية , مكتبة النهضة المصرية , مصر , 1961 م.

27/ الريس , محمد ضياء الدين , الخراج والنظم المالية الإسلامية , دار الأنصار , القاهرة , 1977م .

28/ الزبيدي , محمد حسين , العراق في العصر البويهي " التنظيمات السياسية والإدارية والاقتصادية , دار النهضة العربية , بيروت , 1969 م.

29/ الزركلي , خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (1396هـ/ 1976م) , الأعلام , 21 جزء , ط15 , دار العلم للملايين , بيروت , 2002 م .

30/ زيادة , نقولا , عالم العصور الوسطى في أوربة , ط1 , المكتبة العصرية , يافا,1948 م.

31/ زيدان , جرجي , تاريخ التمدن الإسلامي, تعليق: حسين مؤنس, 5أجزاء , دار الهلال , القاهرة , 1972 م .

32/ ساليـڤـان , ريتشارد . أ , ورثة الإمبراطورية الرومانية " الغرب الجرماني , العالم الإسلامي , الدولة البيزنطية " , ترجمة: جوزيف نسيم يوسف , ط1 , مؤسسة شباب الجامعة , الإسكندرية , 1985 م.

33/ سيتني . ل . ج , تاريخ العالم الغربي , ترجمة : مجد الدين حنفي ناصف , دار النهضة العربية , القاهرة , 2003 م.

34/ سيد , أشرف صالح محمد , قراءة في تاريخ وحضارة أوروبا العصور الوسطى , شركة الكتاب العربي الإلكتروني , لبنان , 2008 م .

35/ الشيخ , محمد محمد , النظم والحضارة الأوروبية في العصور الوسطى , الشهباني للطباعة والنشر , القاهرة , 1998 م .

36/ .... , تاريخ الممالك الجرمانية في أوروبا العصور الوسطى , مؤسسة شباب الجامعة , القاهرة , 1994 م .

37/ الشامي , فاطمة قدورة , الحضارة البيزنطية , دار النهضة العربية , بيروت , (د .ت) .

38/ الشيال , جمال الدين , تاريخ الدولة العباسية , دار الفكر العربي , القاهرة , 1993 م.

39/ الصلابي , علي محمد محمد , دولة السلاجقة , مؤسسة اقرأ , القاهرة , 2006 م.

40/ طرخان , إبراهيم علي , النظم الإقطاعية في الشرق الأوس في العصور الوسطى , دار الكتاب العربي, القاهرة , 1968 م.

41/ طقوش , محمد سهيل , تاريخ السلاجقة في بلاد الشام " 471-511هـ / 1078-1117 م) , ط3 , دار النفائس , بيروت , 2009 م.

42/ العابد , مفيد رائف , معالم تاريخ الدولة الساسانية (عصر الأكاسرة) , ط1 , دار الفكر , بيروت , 1999 م .

43/ عاشور , سعيد عبد الفتاح, تاريخ أوروبا في العصور الوسطى , دار النهضة العربية , بيروت , 1982 م .

44/ .... , الحضارة والنظم الأوروبية في العصور الوسطى ,(د , ن) , القاهرة , 1963م.

45/ العبادي , أحمد مختار , في التاريخ العباسي والفاطمي , مؤسسة شباب الجامعة , الإسكندرية , 1993 م.

46/ العبادي , مصطفى , الإمبراطورية الرومانية , دار النهضة العربية , بيروت , (د.ت).

47/ العريني , السيد الباز , تاريخ أوروبا في العصور الوسطى , دار النهضة العربية , بيروت, (د , ت) .

48/ .... , الحضارة و النظم الأوربية في العصور الوسطى , دار النهضة العربية , بيروت , 1963 م .

49/ عزيز , كميل , تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ,ط1 , دار المعرفة الجامعية , الإسكندرية , 2010 م.

50/ علي , محمد كرد , تاريخ الحضارة الأوروبية في القرون الوسطى والحديثة , مطبعة التقدم , مصر , (د , ت) .

51/ علي , جواد , المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام , 7ج , ط2 , دار العلم للملايين , بيروت , 1978 م.

52/ عمران , محمود سعيد , معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى , دار المعرفة الجامعية , بيروت , 1986 م .

53/ ...., حضارة أوروبا في العصور الوسطى , دار المعرة الجامعية , بيروت , 1998م.

54/ عمارة , محمد , قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة , ط1 , دار الشروق , بيروت , 1993 م .

55/ **الغوج** , محمد مصطفى , تاريخ أوروبا في العصور الوسطى , 2ج , دار ومكتبة الشعب , مصراته , 2009 م .

56/ .... , الإمبراطورية البيزنطية , ط1, دار ومكتبة الشعب , مصراته , 2009 م.

57/ **فرح** , نعيم , الحضارة الأوروبية في العصور الوسطى , منشورات جامعة دمشق , دمشق , 1995 م .

58/ **فشر** , هـ . أ , تاريخ أوروبا العصور الوسطى , تحقيق : محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العريني , دار النهضة , مصر , 1966 م.

59/ **كانتور** , نورمان ف , العصور الوسطى الباكرة ,(القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي) , ترجمة : قاسم عبده , عين للدراسات والبحوث والإنسانية والاجتماعية , مصر , 1969 م .

60/ **.......** , التاريخ الوسيط , ترجمة : قاسم عبده , جزأن , ط5 , عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية , مصر , 1997 م .

61/ **كاتبي** , غيداء خزنه , الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث الهجري , مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت , 1994 م .

62/ **كرسيتينس** , أرثر , إيران في العهد الساسانيين , طبعة لجنة التأليف و الترجمة ,(د , م) , 1957 م .

63/ **كوبلاند . ج . و** , الإقطاع والعصور الوسطى بغرب أوروبا , ترجمة : محمد مصطفى زيادة , مكتبة النهضة المصرية , القاهرة , 1994 م .

64/ **كولتون . ج . ج** , عالم العصور الوسطى في الحضارة والنظم , تحقيق : جوزيف نسيم يوسف , مؤسسة شباب الجامعة , الإسكندرية , 1983 م .

65/ **كين** , موريس , حضارة أوروبا العصور الوسطى , ترجمة: قاسم عبده قاسم , ط1, عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية , القاهرة , 1994 م.

66/ **لسترنج** , كي , بلدان الخلافة الشرقية , تر: بشير فرنسيس وكوركيس عواد , ط2 , مؤسسة الرسالة , بيروت , 1985 م .

67/ **مدني** , صلاح , تاريخ العصور الوسطى في أوروبة (بين القرن الرابع والقرن الحادي عشر الميلاديين) , مطبعة الإنشاء , بيروت , 1973 م .

68/ **منمية** , حسن , تاريخ الدولة البويهية السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي "مقاطعة فارس" , الدار الجامعية , بيروت , 1987 م.

69/ ميتز , أدم , تاريخ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ,مجلدان , ترجمة : محمد عبد الهادي أبو ريدة , جزآن , القاهرة , 1991 م .

70/ موس . هـ , ميلاد العصور الوسطى , ترجمة : عبد العزيز جاويد , عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية , القاهرة , 1967 م.

71/ أبو النصر , محمد عبد العظيم يوسف , السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري , ط1 , عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية , مصر , 2003 م.

72/ هلستر , س . وُرن , تاريخ أوروبا في العصور الوسطى , ترجمة : محمد فتحي الشاعر , مكتبة الأنجلو المصرية , القاهرة , 1988 م.

73/ هنتس , فالتر , المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري , تر : كامل العسلي , الجامعة الأردنية , عمان , 1982 م .

74/ ويفز . **هـ . و** , أوروبا في العصور الوسطى , ترجمة : عبد الحميد حمدي محمود , ط1 , منشأة المعارف , الإسكندرية , 1984 م .

75/ يوسف , جوزيف نسيم , تاريخ العصور الوسطى وحضارتها , مؤسسة شباب الجامعة , القاهرة , 1984 م .

76/ .... , تاريخ الإمبراطورية البيزنطية , دار المعرفة الجامعية , مصر , 1999 م.

77/ اليوسف , عبد القادر أحمد , الإمبراطورية البيزنطية , المكتبة العصرية , بيروت , (د.ت) .

78/ يوسف , عصام , تاريخ أوروبا , ط1 , الدار العالمية للكتب والنشر , مصر , 2011 م .

ثالثًا : المراجع الأجنبية :-

1/ **Adams** : George Burton , Civiliztion the Middle Ags : Especially in Relation Modern Civiliztions , Charles Scribnes Sons , New York , 1922 .

2/ Dance , E. H . Europe And The Old World : The Middle Ages , London , 1953

3/ Devid : Herlihy , The History of Feudalism , edi : first published , United Kingdom , 1971 .

4/ Durant : Will , The Age of Faith : A history of medieval civilization Christian , Islamic and Judaic – from Contantine to Dante , A . D (325 - 1300) , Simon and Schuster , New York , 1950.

5/ Ganshof : F.L , feudalism , Tra : Philip Grierson , Edi : Second English , the Academy Library , New York , 1961 .

6/ Hollister .C . W , Medieval Europe : A Short History , London , 1964.
7/ Keen , Maurice , Medieval Europe , London , 1968.
8/ Lamonte : John , The World of the Middle Ags : Areorientation of Medieval history , france, 1949.
9/ Painter , Sidney , the Rise of the Feudal Monarchies , edi ; Fourth Printing , Cornell University Press, Now York , 1959.
10/ Purdon : Liam O . Vitto : Cindy L , The rusted Hauberk : Feudals of order and their Decline , University press of Florida , Gainesville . FL , 1994 .
11/ Schutz : Herbert , the Caroligans in Central Europe , their history , arts and architecture : Acultural history of central Europe (750-900) , Brill Bston , 2004.

12/ Scott : Martin , Medieval Europe edi , second , london , 1964.

13/ Sellery: George Clarke, Medieval Civilization, Dana Carleton munr (translator) , century , New York , 1907.

14/ Speed : Peter (edi) , Those Who fought An Anthology of medieval Sources , Italica press , New York , 1996.

15/ Strayer , Joseph , The Western Europe in middle ages , Appelon Century Crofts , Now York , 1955. **Speed**: Peter (edi) , Those Who fought An Anthology of medieval Sources , Italica press , New York , 1996.
16/ Tout .t. f ., France And England Their Relations In The Middle Ages Now , London , 1922.
17/ Western : Europe in middle ages , Appltn century crofts , New York , 1955.
18/ Yonge , C. M ., History of France , London , 1907.

رابعًا : الرسائل العربية:-

1/ الجالودي, عليان عبد الفتاح , تطور السلطنة وعلاقتها بالخلافة خلال العصر السلجوقي " 447 - 590 هـ / 1055 - 1193 م) , رسالة دكتوراه غير منشورة , الجامعة الأردنية , عمان , 1997 م.

2/ ابو حطب , آمنه محمود , الملكية في عصر الرسول , رسالة ماجستير , جامعة النجاح الوطنية , نابلس , 2004 م .

3/ دراغمة , بلال أحمد محمود , الإقطاع التمليك - الاستغلال - المنفعة في صدر الإسلام (دراسة تاريخية) , رسالة ماجستير , جامعة النجاح , نابلس , 2008 م .

4/ الزواهرة , عمر خلف عبد الحسن , العراق خلال عهد عضد الدولة البويهي"367 -372 هـ / 978 - 983 م" , رسالة ماجستير غير منشورة , جامعة آل البيت , المفرق , 2010 م.

5/ الشرمان , أحمد سليم شحادة , الجيش السلجوقي , رسالة ماجستير غير منشورة , جامعة اليرموك , أربد , 1987 م .

6/ القاعود , طارق السعيد حسن , مظاهر الحياة في إنجلترا خلال عصر هنري الثاني "1154 -1189 م" , رسالة دكتوراه غير منشورة , جامعة طنطا , مصر , 2010 م.

7/ كردي , نفين ظافر, الأوضاع الدينية و السياسية والاجتماعية والاقتصادية في الغرب الأوروبي من القرن التاسع حتى القرن الحادي عشر الميلاديين , رسالة ماجستير , الجامعة الإسلامية , غزة , 2011 م .

سادسًا : المقالات العربية والمعربة :-

1/ إسماعيل , محمود , الإقطاع في العالم الإسلامي (من منتصف القرن الخامس إلي أوائل القرن العاشر الهجري) , حوليات كلية الآداب , الحولية الحادية عشر , الرسالة التاسعة والستون , جامعة الكويت , 1990 م .

2/ أبو دمعة , أمين , الإقطاع العسكري في العهد العسكري , دراسات تاريخية , ع29 - 30 , 1988 م .

3/ بوزورث , التنظيم العسكري عند البويهيين في العراق وإيران , ترجمة : عبد الجبار , مجلة المورد , مجلد 4 , ع1, 2 , 1975 م.

4/ التميمي , حمدي حسين علوان , السلاجقة وموقفهم من الخلافة العباسية في العراق "447 -590هـ) , مجلد2 , ع16 , مجلة آداب الفراهيدي , العراق , 2013 م.

5/ **الجالودي** , عليان , الإقطاع العسكري في عصر سلاطين السلاجقة الكبار ودور الوزير نظام الملك الطوسي في نشأته وتطوره , المجلة الأردنية للتاريخ والآثار , مجلد 2 , 2008م.

6/ **.........** , قواعد الحكم في سلطنة آل سلجوق من خلال كتاب (سياست نامه) للوزير السلجوقي نظام الملك الطوسي , المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية ,مجلد2 , ع1 , 2009م.

7/ **أبو الجدايل** , عائشة , الإقطاع الحربي , مجلة العصور , مجلد 15 , ج1 , لندن , بريطانيا , 2005 م .

8/ **الحجي** , حياة ناصر , ملاحظات حول نظام الإقطاع الأوروبي في العصور الوسطى , المجلة العربية الإنسانية , مجلد 1 , ع2 , (د , ت) .

9/ **خرابشة** , سليمان , الإقطاع السلجوقي في بلاد الشام , دراسات العلوم الإنسانية , مجلد 22 (أ) , ع6 , 1995 م .

10/ **الدوري** , عبد العزيز , نشأة الإقطاع في المجتمعات الإسلامية , الاجتهاد , ع 1 , بيروت , 1988 م .

11/ **أبو الرب** , هاني , الوزير نظام الملك ودوره في الحياة العامة في الدولة السلجوقية , مجلد 21 , مجلة النجاح للأبحاث "العلوم الإنسانية " , فلسطين , 2007 م .

12/ **شلق** , الفضل , الخراج والإقطاع و الدولة , الاجتهاد , ع 1 , بيروت , 1988 م .

13/ **طرخان** , إبراهيم علي , الإقطاع الإسلامي أصوله وتطوره , مجلد 6 , المجلة التاريخية المصرية , مصر , 1957 م .

14/ **العريني** , السيد الباز , الإقطاع في الشرق الأوسط من القرن السابع حتى القرن الثالث عشر الميلادي , حوليات كلية الآداب , ع4 , جامعة عين شمس , مصر , 1985 م .

15/ **علي** , جواد , أصول الحكم عند العرب الجنوبيين , مجلة المجمع العلمي العراقي ,مجلد 21 , الجزء2 , بغداد , 1980 م .

16/ **كاهن** , كلود , تطور الإقطاع الإسلامي ما بين القرنيين التاسع والثالث عشر , ترجمة : جورج كتورة , مجلة الاجتهاد , ع 1 , بيروت , 1988 م .

17/ **لامبتون** , آن , نظرات في الإقطاع , مجلة الاجتهاد , ع 1 , بيروت , 1988 م .

18/ **منيمة** , حسن , نشوء الإقطاع في الإسلام , مجلة الاجتهاد , ع1 , بيروت , 1988 م .

الملاحق

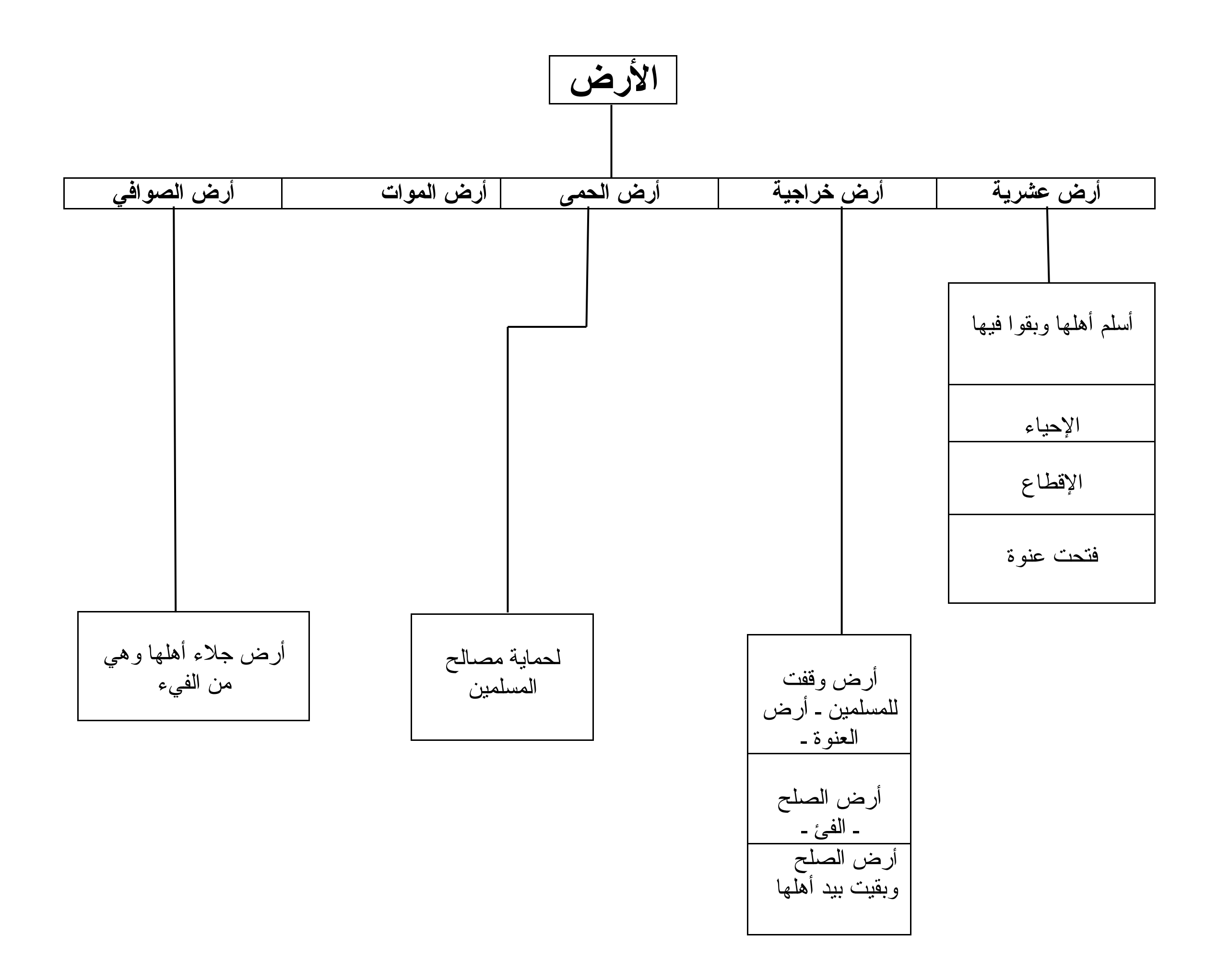
ملحق رقم (1)

جدول بين مراحل تطور الإقطاع خلال الفترة الزمنية من الدولة البيزنطية إلى الدولة الأيوبية

التاريخ	أسمها	المقطع	المستفيد من الإقطاع	نوع الإقطاع	مدة الإقطاع	نوع الأرض	مقدار الضريبة	الهدف من الإقطاع	أهم المصطلحات
(330 /1453 م)	الدولة البيزنطية	الإمبراطور النبيل	الفلاحون النبلاء - الجند	تمليك - استغلال	دائم بشرط الاستثمار	جميع الأراضي	تختلف من فترة لأخرى	الاستغلال - كسب الولاء - حماية الحدود	الحمى
(226 / 628 م)	الدولة الساسانية	الإمبراطور النبيل	الفلاحون النبلاء - القبائل العربية الجند	تمليك - استغلال	دائم بشرط الاستثمار	جميع الأراضي	تختلف من فترة لأخرى	الاستغلال - كسب الولاء - حماية الحدود	
(800/ 115 ق.م)	دولة عرب الجنوب - اليمن -	شيخ القبيلة	الفلاحون الجنود	تمليك - استغلال	دائم بشرط الاستثمار	جميع الأراضي	ليس محددة	الاستغلال - كسب الولاء - حماية الحدود	الحمى
(1 - 11 هـ / 622 - 632 م)	دولة الرسول - صلى الله عليه وسلم -	الرسول	الفلاحون المجاهدين	تمليك	دائم ولكن بشرط إحياء الأرض	أراضي الموات - وأراضي الفتوح	العُشر	إحياء الأراضي , الحدث على الجهاد	
(11 - 23 هـ / 632 - 643 م) (35 - 40 هـ / 655 - 660 م)	خلافة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب	الخلفاء	الفلاحون المجاهدون	تمليك	دائم ولكن بشرط إحياء الأرض في مدة لا تتجاوز ثلاث سنوات	أراضي الموات - وأراضي الفتوح	العُشر	إحياء الأراضي , الحدث على الجهاد الفتح والاستقرار	
(23 - 35 هـ / 643 - 655 م)	خلافة عثمان بن عفان	عثمان	الفئة الموالية إليه	تمليك	دائم بشرط استقرار التوزيع	أراضي الموات - أراضي الصوافي في السواد	العُشر	لاسترضاء فئة موالية للخليفة	
(41 - 132 هـ / 661 - 749 م)	الدولة الأموية	الخلفاء	الأسرة الحاكمة رؤساء القبائل	تمليك	دائم بشرط استقرار التوزيع	أراضي الموات - أراضي الصوافي - المراعي العامة - أراضي الوقف - أراضي الخراج ولكن بشرط جعلها عشرية	العُشر	توسيع ملكيات الأسرة الحاكمة ورؤساء القبائل الموالية لها	
(132 - 334 هـ / 749 - 945 م)	الدولة العباسية	الخلفاء	الأسرة الحاكمة القبائل الموالية لها	تمليك	دائم بشرط استقرار التوزيع	أراضي الموات - أراضي الصوافي - أراضي الضياع - أراضي الخراج ولكن بشرط جعلها عشرية	العُشر	زيادة الضياع السلطانية والممتلكات الكبيرة للأسرة الحاكمة والقبائل الموالية لها	الإلجاء - الإيجار - المقاسمة - التسويغ - الطعمة - الضمان
(334 - 447 هـ / 945 - 1055 م)	إمارة بني بويه	أمراء بني بويه	الخليفة القادة والجند	عسكري (استغلال)	مؤقت ولا يجوز توريثه	الأراضي الخراجية - ضياع السلطان - أراضي الوقف - أراضي الفارين	العِبرة	تغطية نفقات الجند مقابل تقديم الخدمة الحربية	الضمان
(447 - 511 هـ / 1055 - 1117 م)	سلطنة السلاجقة	أمراء البيت السلجوقي	القادة والجند	عسكري (استغلال)	مؤقت ولا يجوز توريثه	جميع الأراضي	العِبرة	نفقات الجند على أن يلتزم الجندي بتقديم العساكر للدولة عند الحاجة	الضمان

ملحق رقم (2)

أنواع الأراضي [481]



481 خليل , الإقطاع الشرقي , ص 125 .

ملحق رقم (3)

المماليك الجرمانية [482]

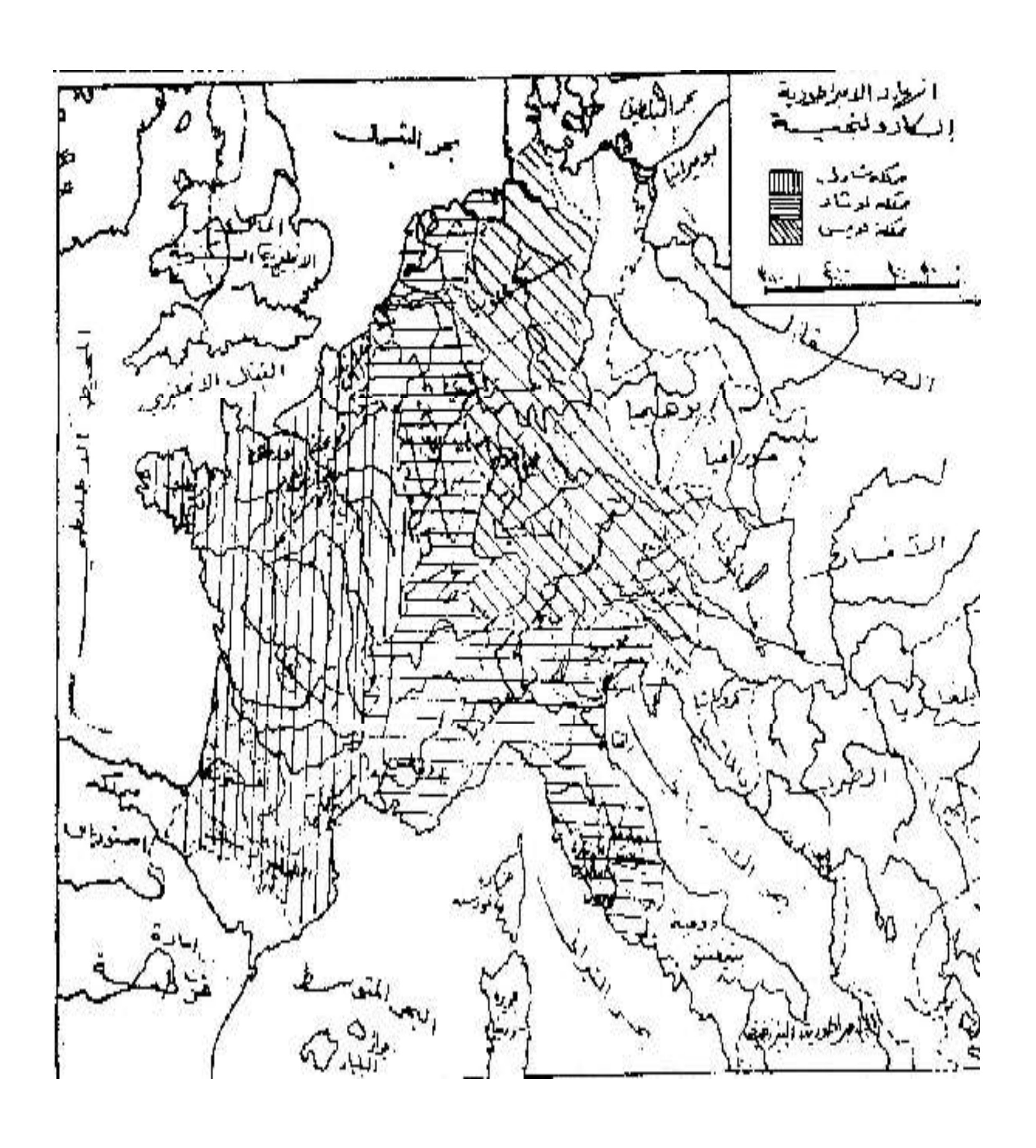


---

[482] عمران , معالم الحضارة , ص 338 .

ملحق رقم (4)

الإمبراطورية الكارولنجية [483]

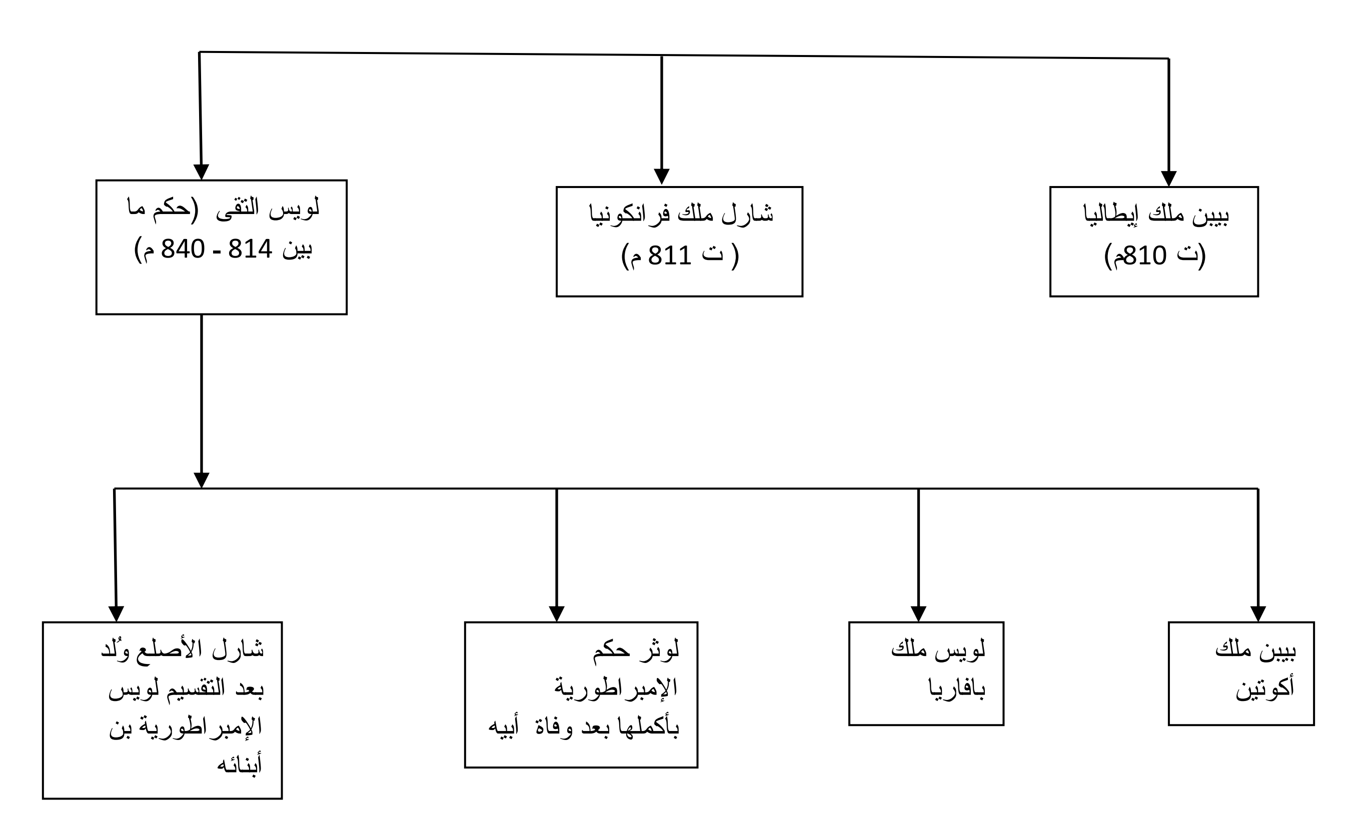


483 هرتمان وباركلاف , الدولة والإمبراطورية , ص 202 .

ملحق رقم (5)

أسرة شارلمان [484]

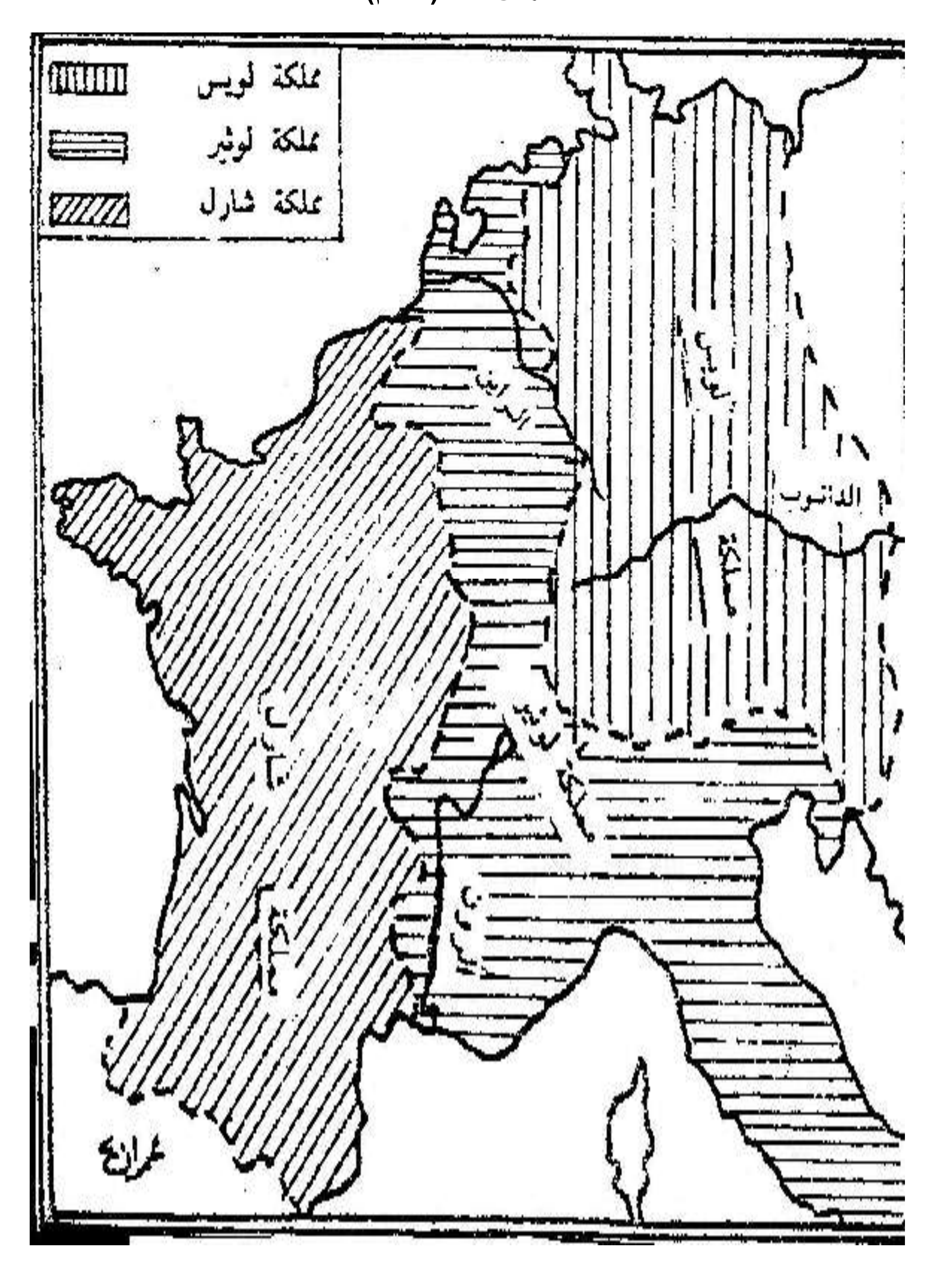
(768 -814 م)



484 كردي , الأوضاع , ص 227 .

ملحق رقم (6)

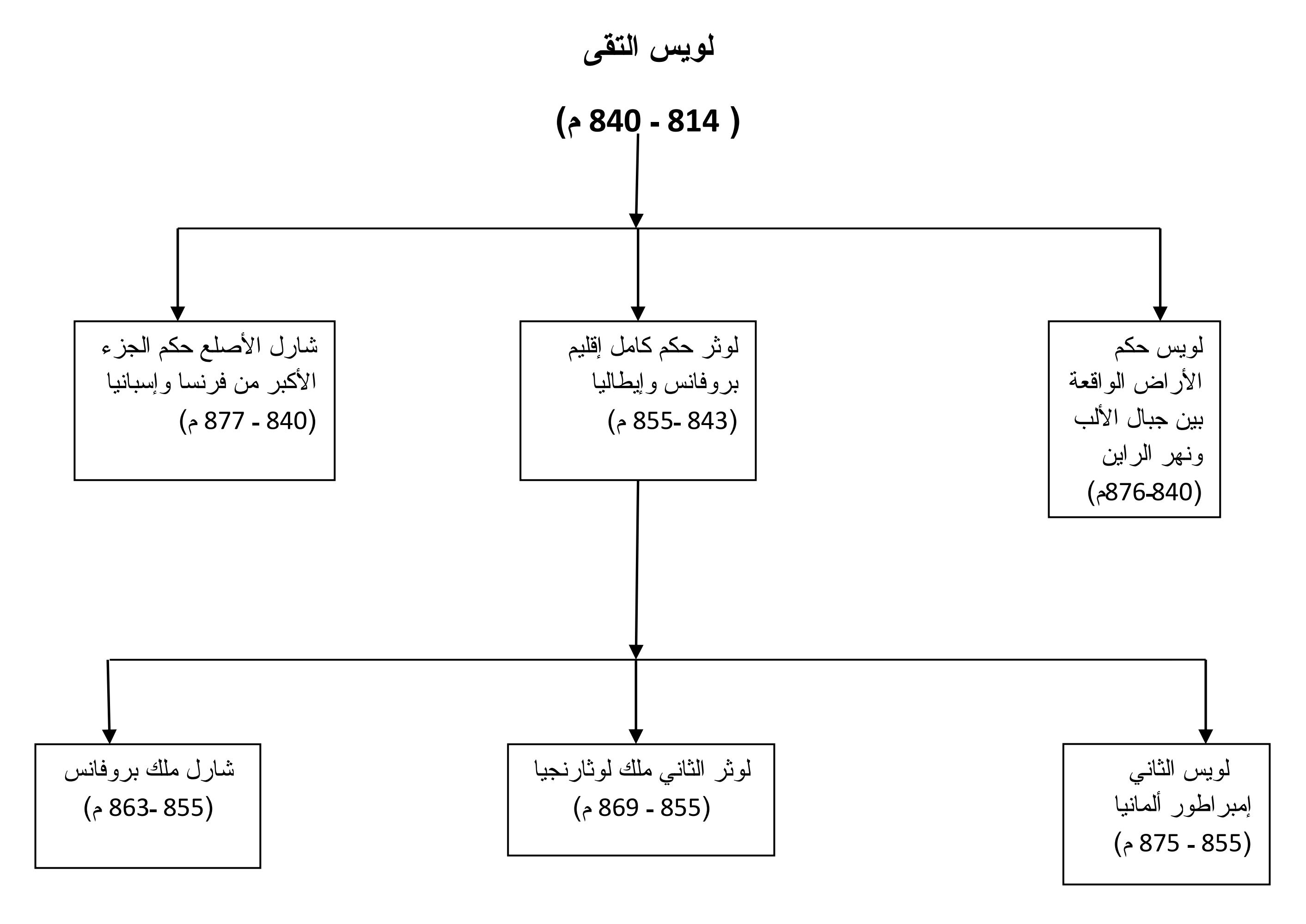
معاهدة فردان سنة (853م) [485]



[485] هارتمان وباركلاف , الدولة والإمبراطورية , ص 198 .

ملحق رقم (7)

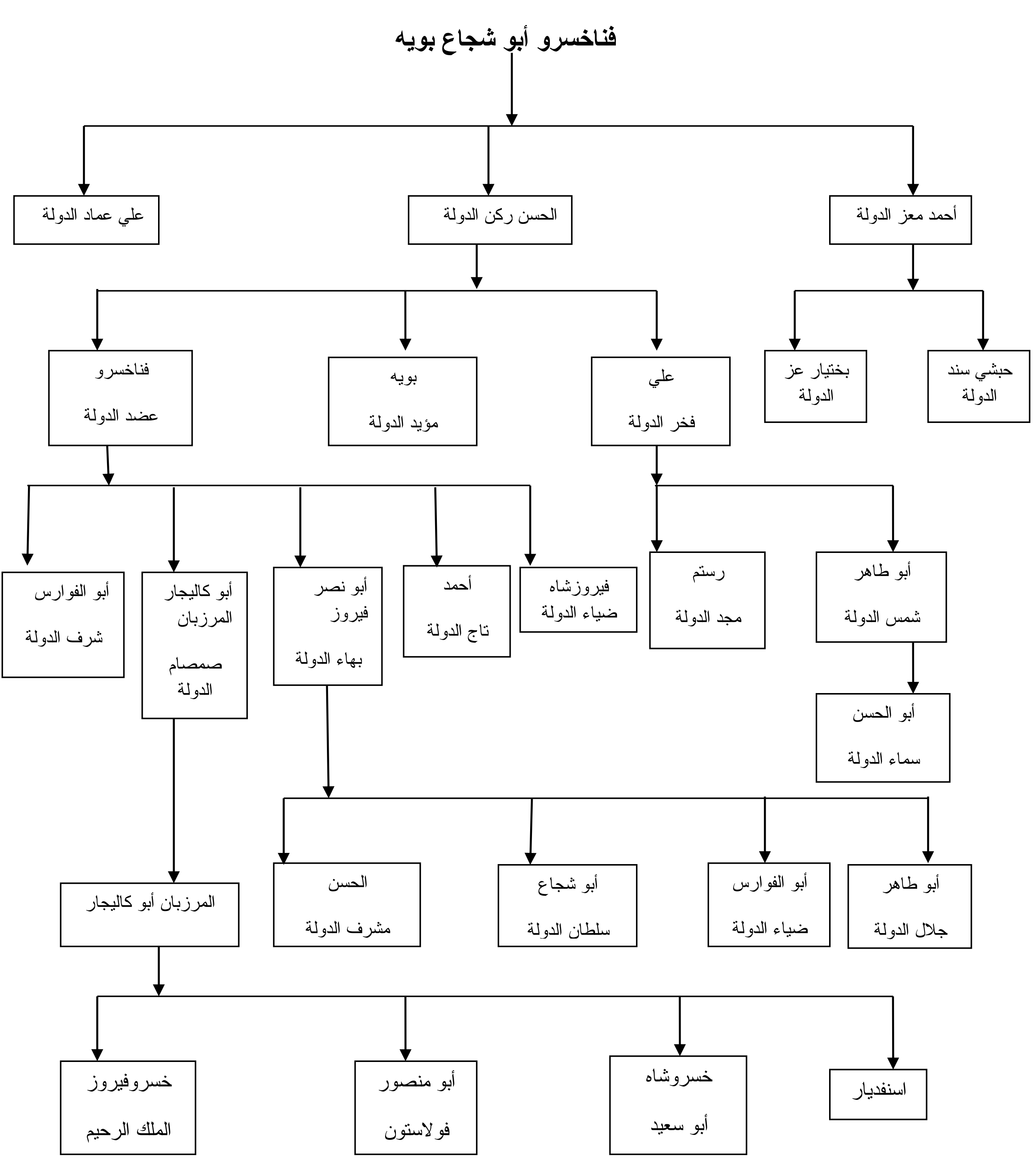
شكل يوضح تقسيم الأراض حسب معاهدة فردان سنة 853 م [486]



486 كردي , الأوضاع , ص 227 .

ملحق رقم (8)

شكل يبيَّن أعظم الأمراء البويهيين [487]



487 منمية , تاريخ الدولة البويهية , ص 410 .

ملحق رقم (9)

الدولة البويهية



ملحق رقم (10)

جدول يبيِّن أسماء سلاطين السلاجقة العظام

1 السلاجقة الكبار (429 - 590 هـ / 1038 - 1194 م)

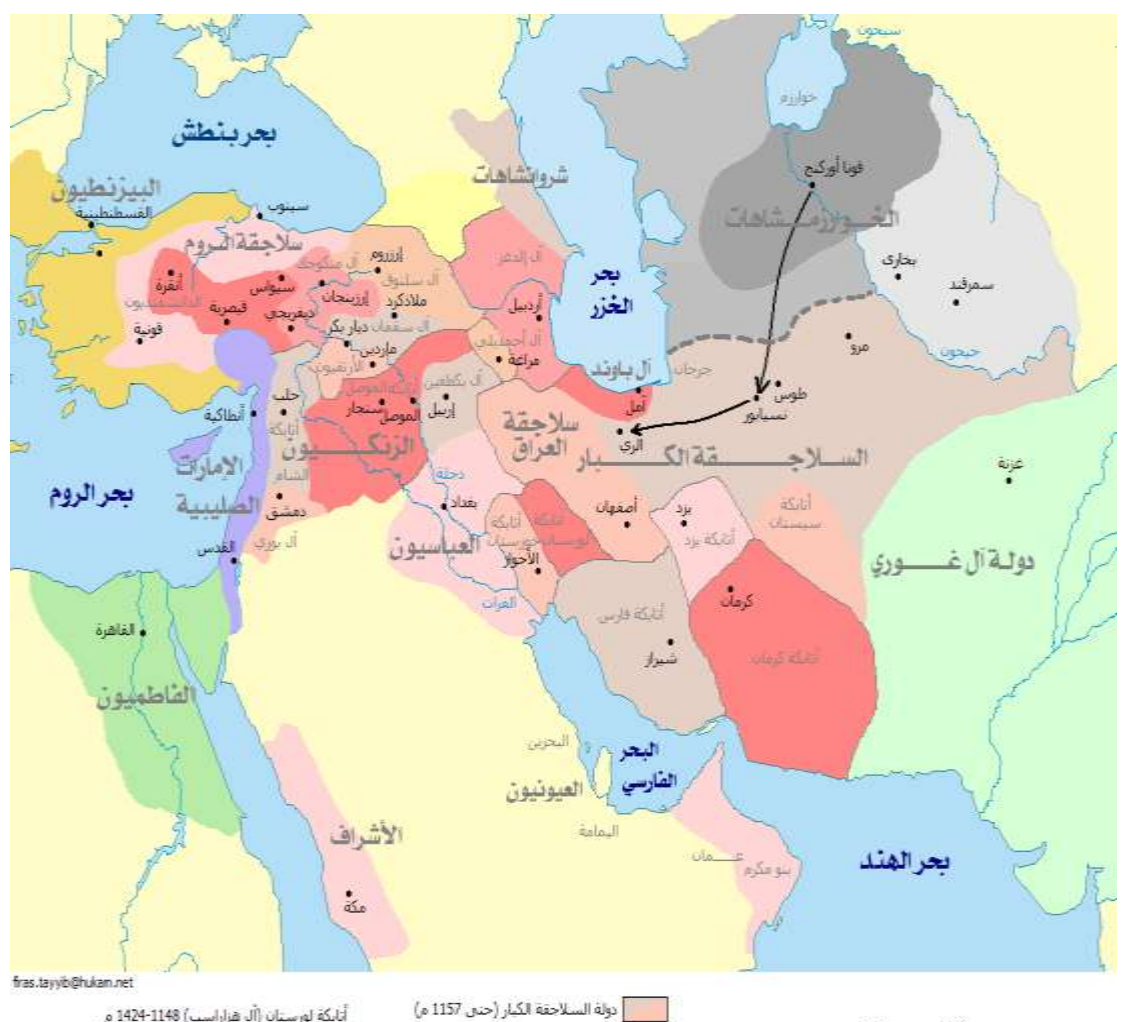
الرقم	السلطان	فترة الحكم
1	ركن الدنيا والدين طغرل بك الأول	429 هـ / 1038م
2	عضد الدولة ألب أرسلان	455 هـ / 1063 م
3	جلال الدولة ملك شاه الأول	465 هـ / 1072 م
4	ناصر الدولة محمود الأول	485 هـ / 1092 م
5	ركن الدولة بركيارق	487 هـ / 1105 م
6	غياث الدين محمد الأول	498 هـ / 1105 م
7	معز الدين سنجر	511 هـ / 1118 م

2 سلاجقة العراق وشرقي فارس

الرقم	السلطان	فترة الحكم
1	مغيث الدين محمود الثاني	511 هـ / 1118 م
2	غياث الدين داود	525 هـ / 1131 م
3	ركن الدين طغرل الثاني	529هـ / 1134 م
4	معين الدين ملكشاه الثالث	547 هـ / 1152 م
5	ركن الدولة محمد شاه	548 هـ / 1153 م
6	غياث الدين سليمان شاه	555 هـ / 1161 م
7	معز الدين أرسلان	556 هـ / 1161 م
8	ركن الدين طغرل الثالث	751 - 590 هـ / 1176 - 1194 م

ملحق رقم (11)

الدولة السلجوقية



ملحق رقم (12)

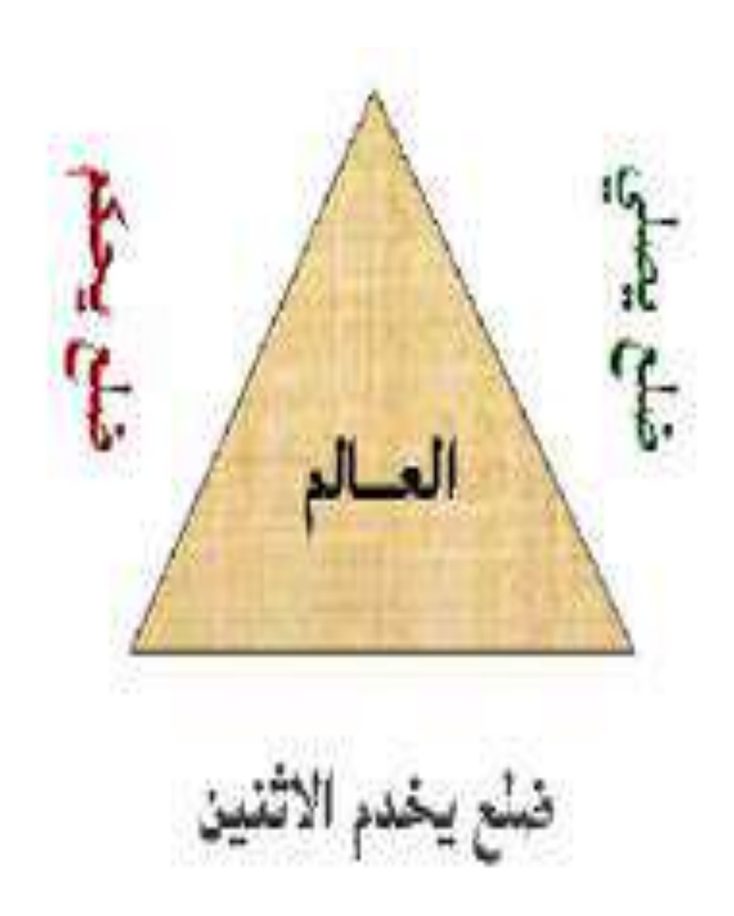
سلم الأمراء في أوروبا [488]



[488] أشرف , قراءة في تاريخ أوروبا , ص 32 .

ملحق رقم (13)

نظرية ألفريد العظيم ملك إنجلترا القرن العاشر [489]



---

489 أشرف , قراءة في تاريخ أوروبا , ص 29 .

الملحق رقم (14)

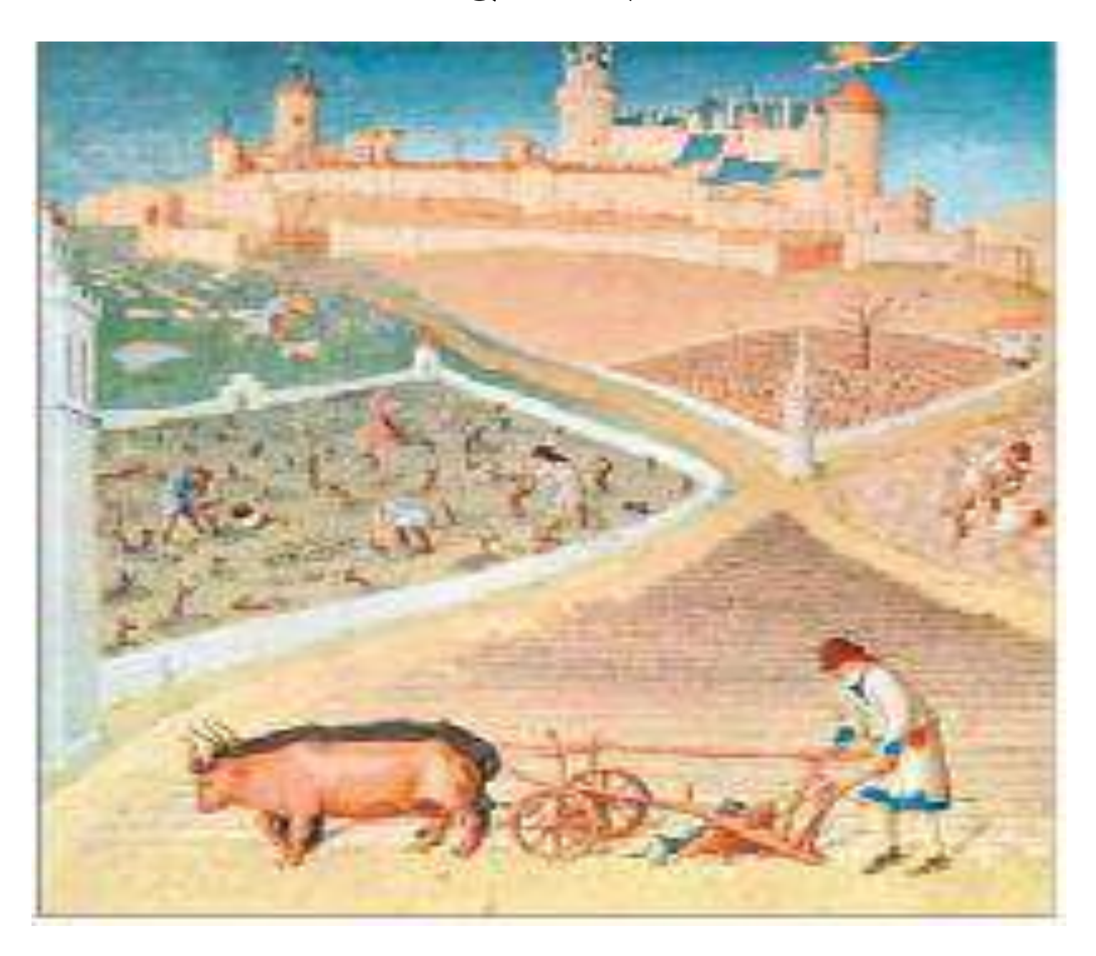
فارس من العصور الوسطى أثناء استحمامه [490]



490 أشرف , قراءة في تاريخ أوربا , ص 36 .

ملحق رقم (15)

طبقة الفلاحين [491]

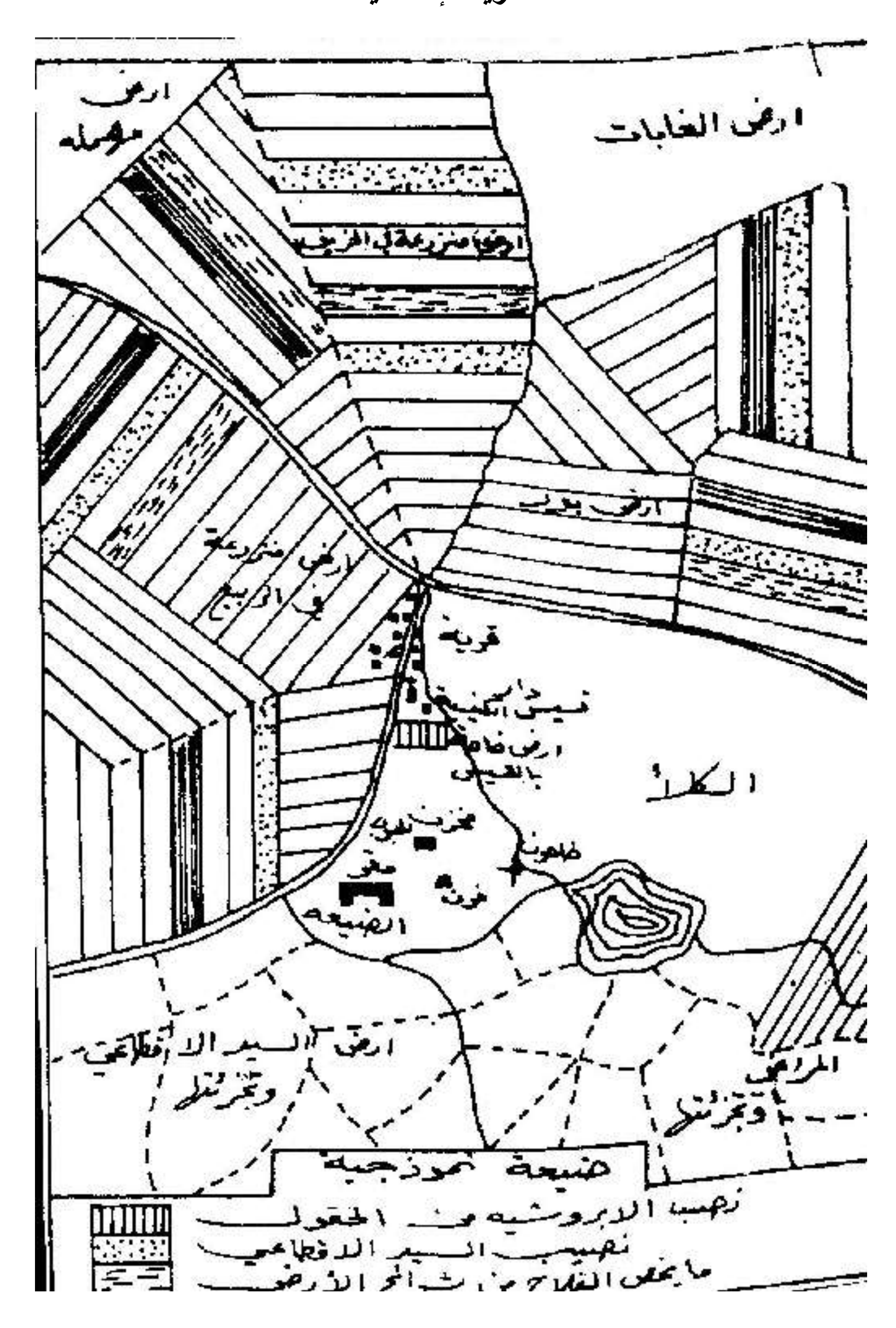


الفلاحون الطبقة الثالثة في شعوب أوروبا في العصور الوسطى , وكانوا يعملون في الأرض لكسب لقمة العيش لأنفسهم ولرجال الدين والسادة .

[491] أشرف , قراءة في تاريخ أوروبا , ص 34 .

ملحق رقم (16)

القرية الإقطاعية [492]



---

[492] كولتون , عالم العصور , ص 79 .

ملحق رقم (17)

الدول الإقطاعية في أوروبا سنة (1096 م) [493]



توضح هذه الخريطة التقسيم السياسي في أوروبا عام 1096 م , حيث كانت فرنسا والإمبراطورية الرومانية المقدسة مكونة من كثير من الدول الإقطاعية , وقد حكم كل نبيل إقطاعي (لورد) . أما الملوك فقد حكموا الأراضي الملكية فقط وفي فرنسا حكم الملك منطقة (أيل دو فرانس) " جزيرة فرنسا " التي تظهر باللون الأصفر . وكانت إنجلترا مملكة موحدة حكمها (وليم الثاني) .

---

[493] أشرف , قراءة في تاريخ أوروبا , ص 37 .

Abstract

The lslamic military feudalism and European feudalism between(4-6 A.H / 10-12 A.D)

"Acomparative study"

The study reviews the issue of Islamic and European Feudality between the forth to the fifth Hijri centuries / tenth to eleventh A.B. centuries; a subject which was not well addressed despite of the great significance and results impeded therein.

The subject was selected with an aim to track the developments simultaneously taking place to the different systems while they emerged and defused; and to stand on the points of similarities and differences between the two. Up to the knowledge of the researcher, there is no previous study that has so far addressed this issue from similar aspects within the lapse chosen or even thereafter.

Chapter One of the study presents the economic condition prevailing in the Islamic orient part of the world as well as in the western European part prior to the Feudality System emerging;the definition of theFeudality System in the Islamic orient and in the western European worlds.

Chapter Two of the study elaborates on the Military Feudality both during the Buweyhiand the Saljouqi eras, in which the conditions prevailing during the Abbasi Caliphate are prescribed prior to BaniBuweyh enters the area. The Chapter further introduces other related issues as the: definition of Military Feudality,causes justifying why it has arisen, the most significant economic reforms that took place therein, the Security and the Warrantee Systems, Facts about the Buweyhi Feudality System, the circumstances characterizing the Abbasi Caliphate prior to Seljuks enter Bagdad, the reasons why the royal regime approved the Feudality System, the policy the royal regime followed to distribute feudalities, and the Security and the Warrantee Systems. The Atabaki-SeljuksFeudality System is also introduced in this Chapter, the different types of Seljuks feudalities, the consequences of Seljuks Feudality System,while the Chapter concludes presenting a comparison between the Buweyhiand the SeljuksFeudality Systems.

Chapter Three on the other hand is devoted to introduce Feudality System in the European continent where the components constituting this System therein are listed such as Seigneurs Classincluding the Royals, the Clergy, the Knights and the Knighthood Class and the feudal wars. Then the Subordinates Class is introduced including the free peasants, and the land slaves on whom the feudal community is established mostly composed of the hamlet and villages agricultural system, the Subordination System, the feudal military, social and financial rights and duties related to the Master and the Subordinate. The French and English ownership systems are driven as examples on the above systems.

The comparison study is introduced in Chapter Four between the military Islamic and European Feudality, where similarities in terms of: definition,rise and emergence, feudal organizations, obligations, the feudal hierarchy, types of feudalities and consequences resulting therefrom are listed. Whereas the differences arrived at from the study between the two are summarized in terms of: definition, feudal characteristics, feudal organizations, types of lands allocated and their relevant definitions as well as monopolies.

Finally the study concludes to highlight the significant findings stating the Islamic Feudality was based on driving benefits and utilization of land rather than a system of land property. Yet, with the rise of Atabakis at the end of theSeljuks era, Feudality tended to be bequeathed, which is contrary to the European Feudality originated as a property system since its first beginning.